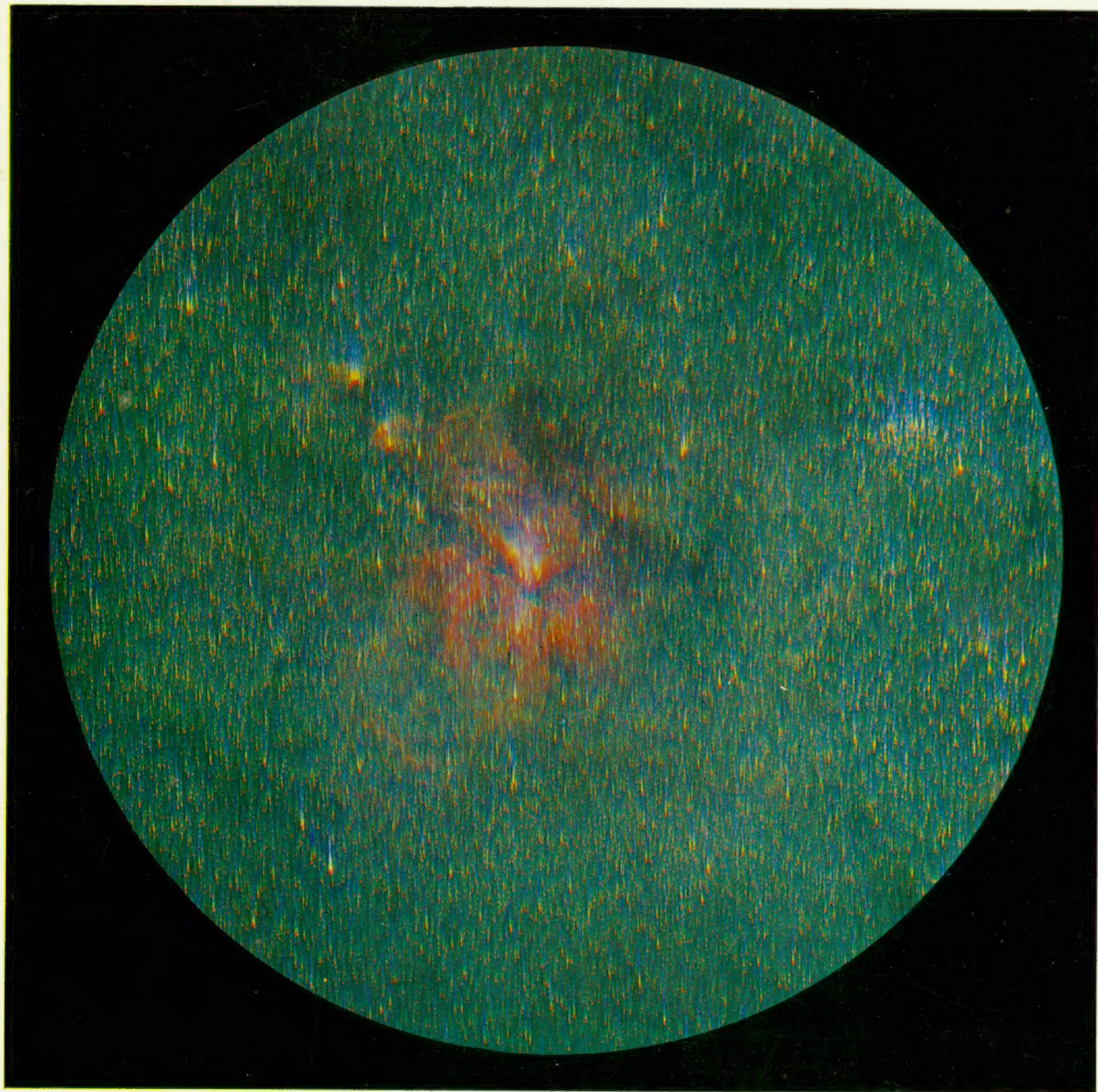


فِكْرٌ وَفَن

۱۱



يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ

وَمَا فِي الْأَرْضِ وَالْمَلِكِ

الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ

«الجمعة ١»

ES PREISET GOTT,

WAS IM HIMMEL UND AUF ERDEN IST —

DEN KÖNIG, DEN HEILIGEN,

DEN MÄCHTIGEN, DEN WEISEN.

SURA 61, VERS 1

العدد الحادى عشر ١٩٦٨ العام السادس

يصدرها: البرت تايلو و انامارى شيمل



الفهرست

- ٥ كارل اولمر، الحقيقة العلمية فى تنوعها ووحدةها
Karl Ulmer, Vielfalt und Einheit in Wissenschaft und Wahrheit
- ٩ كورت فاخهلدر، المناقشة الدائرة حول نشوء الحياة على سطح الارض
Kurt Wacholder, Über den Ursprung des Lebens
- ٢٢ ادولف بوتناند، ماهو معنى الحياة من وجهة نظر الكيمياء البيولوجية؟
Adolf Butenandt, Was ist Leben, vom chemisch-biologischen Standpunkt gesehen?
- ٣٤ انامارى شيمل، ورقة من تاريخ الاستشراق فى المانيا: جيورج ياكوب (١٨٦٢-١٩٣٧)
Annemarie Schimmel, Georg Jakob 1862—1937
- ٤١ اوتو شيبس، بصمات شرقية فى الادب الالماني الوسيط
Otto Spies, Der Orient in der deutschen Literatur des Mittelalters
- ٥٩ هوجو فون هوفمنستال، الف ليلة وليلة
Hugo von Hofmannsthal, Einleitung zu Enno Littmanns Übersetzung von 1001 Nacht
- ٦٦ الشاعر ريلكه يطوف الشرق
Rilke und der Orient
- ٧٣ اوسكار كوكوشكا، المغرب الاقصى فى لوحاتى
Oskar Kokoschka, Meine Marokko-Bilder

يقدم الناشر ودار النشر شكرهم لكل من شرفهم بمعونه فى إعداد هذا العدد
وبدون مساعدتهم كان من المحال ان تحصل هذه المجلة على شكلها الحالى الجميل
نشاد القراء الكرام ان يداوموا فى ارسال معاوتهم وآرائهم القيمة ونحن لهم من الشاكرين

ترجمات: Dr. Muhammad Ali Hachicho, Köln; Dr. Arnold Hottinger, Beirut; Magdi Youssef, Bonn.

الفهرست

٧٦ تاريخ: وفاة العالمين المستشرقين: هلموت شيل وفرانتس بابنجر
Nachrufe auf Helmuth Scheel und Franz Babinger

٨٠ طلائع الكتب

٨٣ فهرس مجلة «فكر وفن» ١ — ١٠
Register von Fikrun wa Fann 1 — 10

صورنا الغلافتين:

سديم كوكبة الجوزء في جنوبي قبة السماء. ويعد هذا السديم من أغرب ظواهر مجرتنا. فقد كان منذ أربعمائة عام جرما من الحجم الرابع، ثم سطع فجأة في مطلع القرن التاسع عشر بقوة تماثل نور «كلب الجبار». واليوم صار يرى بالكاد، بعد أن أصبح جرما من الحجم الثامن. وتحيط به سحب من الهيدروجين تمتد كحجاب من الضباب حتى تكاد أن تبلغ حواف الصور المنشورة في هذا العدد. وهي علاوة على ذلك تبين في أعلى اليمين مجموعة كواكب NGC ٣٥٣٢، وأيضا من جهة اليسار، فوق كومة الأجرام NGC ٣٢٩٣، تشكيلة كثيفة من الكواكب الحارة الحديثة النشوء، وقد تناثرت حولها هي الأخرى سحب الهيدروجين.

التقطت صورة الغلاف الأول في هذا العدد بواسطة منشور ثلاثي يكسر الضوء، وهي لسديم كوكبة الجوزء. ومن خلال هذا المنشور نشأت خطوط ما هي إلا طيف النجوم. ويظهر سديم الجوزء على شكل بقع، أما اللون الأحمر فهو الوحيد الذي يحتفظ بصفائه. ويبعد عنا سديم النجم بمقدار ٣٥٠٠ سنة ضوئية. عن كتاب: الكون في صور (أطلس صادر في عام ١٩٦٧).

Das Weltall im Bild. Photographischer Atlas. Unter Beratung und Mitarbeit von Hans Haffner, herausgegeben von Albert Eisenhuth. Verlag Styria, Graz, Wien. Köln 1967.

نشكر دار النشر لانعامها علينا بكليشيات هذه اللوحات وسماحها لنا بنشرها.

دار النشر: Übersee-Verlag, Hamburg 36, Neue Rabenstr. 28, Bundesrepublik Deutschland
تظهر مجلة «فكر وفن» العربية موقتا مرتين في السنة - الاشتراك: ١٥ مارك ألماني. - النسخة الواحدة: ٧,٥٠ مارك ألماني؛ ممن الاشتراك التخفيض للطالبة:

٣ مارك ألماني، النسخة الواحدة: ماركان. - تقدم طلبات الاشتراك إلى دار النشر

تصنع الكليشيات: Chemiegraphische Kunstanstalt Friedrich Heitges, Hamburg

الطباعة: Druck: J. J. Augustin, Buchdruckerei, Glückstadt © 1967 by Albert Theile بطرق ١٩٦٧

إدارة التحرير: Adresse der Redaktion: Albert Theile, CH 6314 Unterägeri, Zug, Switzerland



إن أشهر ما اكتشف من حفريات متحجرة في العالم عثر عليه في جنوبي ألمانيا، وعلى وجه التحديد في ناحيتي آيشتيت Eichstätt وزولنهوفن Solnhofen بين مدينتي نورنبرج وآوجسبورج. وهنا أيضا وجدت معالم أول طير عاش على سطح الأرض، لم يميزه عن سائر الحيوانات الزاحفة سوى أن كان يغطيه ريش يمكنه من الطيران. وتتميز هذه الحفريات بالتنوع. فلا يتوفر في منطقة أخرى من العالم ما يماثل هذه التشكيلة الواسعة من الزواحف الطائرة وأنواع السرطان والحشرات. وتقدم الصور التالية عرضا يبين مدى تنوع هذه المكتشفات الحفرية.

إيجر تيبولاريوس *Aeger tipularius* حشرة سرطان عثر عليها في الطبقات الجيرية «آيشتيت»، ويبلغ طولها ١٥،١ سم، وطول قرنيها : ٢١ سم.



آثار إحدى الزواحف الطائرة التي عثر عليها في «آبشتيت» وهي قصيرة الذيل ، وتدعى *Pterodactylos cf. scolopaciceps*



الحقيقة العلمية في تنوعها ووحدةها

بقلم كارل اوبر

من جهة الواقع جبروت المظهر، والحداع، وتيار النسيان المستمر الذى يتعرض له الانسان.

فاذا ما اختار المرء لنفسه ألا يتجه سوى نحو الحقيقة، مثلاً يحدث فى مجال العلم، كان سلوكه هذا متميزاً، لاسيما وأنه يمضى فى عكس التيار الذى يمضى فيه العنصر الأولى للكيان البشرى والعالم نفسه، ومن ثم يصير ضرورياً أن يستخرج دوماً هذا السلوك من ذلك التيار. وإنه ليكمن فى هذا المسلك ما ينفرد به استهداف الحقيقة من مكانة مرموقة. وكما أنه من سمات العلم دهشة غامرة بالسعادة تسرى فى لحظة التقاء مع الواقع كذلك صار يضاف إليها اليوم شجاعة احتمال الوجود المؤقت للحقيقة، والثبات فى مواجهة زوال اليقين.

٢ - قد يكون للحقيقة فى مجملها وحدة ونسق عام، حتى لو لم يعد لهذه الوحدة وذلك النسق طابع النظام System بمفهومه الفلسفى. وعليه صارت تتألف اليوم وحدة العلوم، وهى التى لم يسبق لها أن رأت النور، كما أنها

مع أن الكثير من القضايا الفلسفية المعاصرة لا يزال معلقاً إلا أنه فى إمكاننا أن نذكر بعض النقاط التى منها تتجلى لحظات ربط الحقيقة :

١ - تظل مكانة الحقيقة فى الذروة حتى لو لم يكن لها صفة الخلود أو الجزم الحاسم القاطع. فنذ أن حقق الاغريقون تلك النظرة الحرة إلى العالم - باعتباره كلاً - صارت هذه النظرة جزءاً لا يتجزأ من وضع الانسان فى العالم، بحيث لم يعد بدوره قادراً على النكوص عنها. ومعنى هذا أنه لا مناص للانسان من أن يتعرض بلا حدود للواقع بكل أعماقه وأبعاده كيما يتسنى له أن يحيط بتنوعه وأن يسبر أغواره. فهذا هو سبيله الوحيد الذى يهبط له أن ينتزع مكانته ومركزه فى العالم، وأن ينهض على صيانة هذه المكانة وذاك المركز. غير أنه لا تعتمل فى نفس المرء هذه الحاجة الأولية إلى الحقيقة فحسب، وإنما كذلك ما يقابلها من رغبة تستهدف مراوغة الواقع وتجنب الحقيقة، ومن ثم البقاء فى حالة هائمة غير محددة. وينظر ذلك

تشير إلى منبع مختلف. وهى - أى هذه الوحدة - لا يمكن أن تكون قد وجدت من قبل لأن شطرا كبيرا من المعارف الانسانية لم يتخذ صيغة العلم سوى أثناء القرن الماضى.

وقد بدأ يرافق هذه المرحلة الأخيرة تداخل بين مختلف فروع المعرفة التى نمت وتطورت متجاوزة مستقلة عن بعضها البعض؛ حيث تم هذا التعاشق أولا بين العلوم فرادى، ثم بين مجموعاتها منذ القرن الحالى. وهكذا أصبحت تبلور اليوم بازدياد مضطرد علاقة متبادلة بين الحقائق العلمية تنهض على استيحائها لبعضها البعض، واعتمادها على بعضها الآخر. أما وحدة العلوم بهذا المعنى فلا زالت فى طور النمو. وإن مواصلة هذا التطور لمستولية كبرى يضطلع بها العلم الحديث، حتى يناظر التداخل الحى فى العالم ككل. ذلك العالم الذى لم تقف الفلسفة حتى اليوم على بنيتها الجديدة.

٣ - وإن كانت الحقيقة العلمية لا تعطى الانسان معنى جازما قاطعا لحياته، إلا أنها تلعب اليوم دورا حاسما فى تشكيل وضعه فى العالم، بمواجهتها الدائمة التجدد للعالم ككل. وإنها لتقدم للانسان الأسس المناسبة لسلوكه فى مختلف ظروف حياته وعالمه. حيث تتزايد القيمة المباشرة للعلم فى كافة أمور الحياة. وإن كان لا يعنى هذا أن العلم قد يسلب الانسان قدرته على اتخاذ قراراته بشأن أهدافه، والعمل على تنفيذها، بقدر ما يقدم له فى ازدياد مضطرد، الأسس التى يقيم عليها هذه القرارات. ويتفق هذا مع زوال أهمية الصورة التقليدية عن الحقيقة الأبدية، وهى القائلة - من قديم - بالفصل بين الحقيقة النظرية وشقيقتها العملية. إذ أن المعرفة النظرية قد صارت اليوم، فى مجال التجربة مثلا، وثيقة الصلة بما يؤديه الانسان من فعل، وعكس ذلك أيضا صحيح، فالتعرف على إمكان الفعل صار ينبىء اليوم أيضا عن الواقع.

٤ - كأساس وقاعدة فى أمور الحياة تستخلص الحقيقة وتضان، باعتبارها ممثلة لعامة البشر. ولهذا فإن من معالم الحقيقة توصيلها للآخرين. إلا أن نشر الحقيقة يخضع لوجهتى نظر شديدتى التباين. فهى تعنى من جهة محاربة الجهل والزور والخطأ. وعليه يتعين على كل علم أن ينشر

كافة حقائقه وبلا حدود. وطالما أن لغة العلم لا يفهمها الجميع فمن واجب العلم أيضا أن ينشر حقائقه فى هذا العصر بصيغة تختلف عن لغته الأصلية. وعندئذ تحتفظ عملية نشر الحقيقة وتوصيلها فى صورتها المعدلة بقدرها وأهميتها.

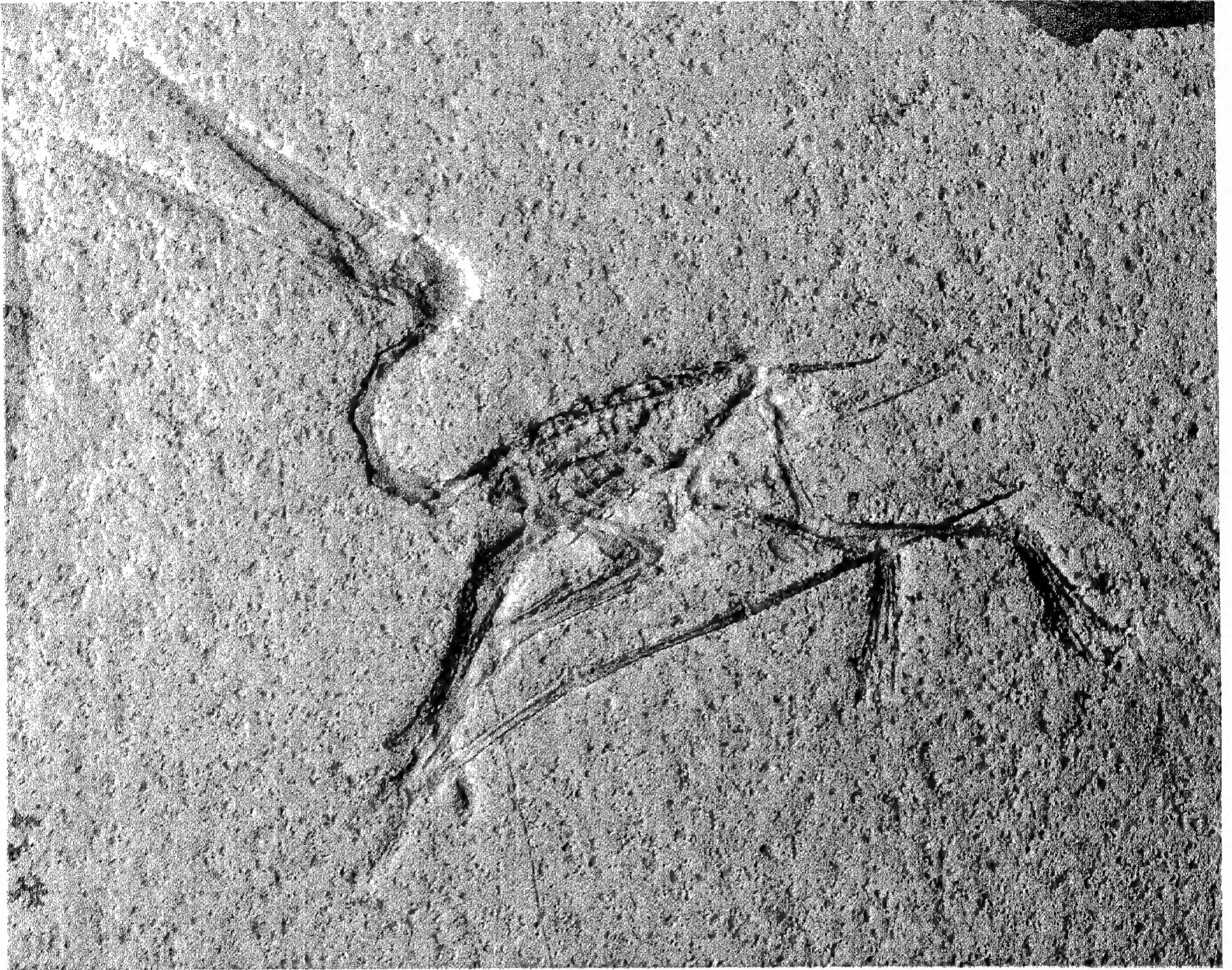
إلا أن توصيل الحقيقة يخضع كذلك لوجهة نظر تقول بدفع الحياة نحو ما هو أفضل. فلإن أخذنا فى اعتبارنا أن وجود الحقيقة يرتبط دوما بتوفر الطاقة، فقد يكون فى تجنب الحقيقة عند الانسان معنى حماية الحياة. وعليه يسأل كل نشر للحقيقة عما إذا كان يفيد الحياة أو يصبىها بالأذى، وبأى مقدار. ولابد من اعتبار نقاط ثلاث عند توصيل الحقيقة: لمن نوصليها، ومتى، وإلى أى حد يصح أن نوصليها. وإن ذلك يتضح بصورة جلية فى حقائق العلوم الطبية، وإن صح على كافة ما عداها من حقائق. لذلك كان من أعباء العلم المعاصر أن يضع من بين ما يضع فى حسابه عواقب حقائقه بالنسبة للانسان.

إذا ما تمسكنا بهذه الجوانب المشتركة التى تجمع بين العلوم فى علاقتها مع الحقيقة لما استطعنا أن ننكر ذلك الطابع الجديد للغاية الذى صار يميز الحقيقة وصلة الانسان بها. أى بعبارة أكثر تحديدا: إن قدرا هائلا من الحرية والمسئولية صار يقع اليوم على عاهل الانسان فى علاقته بالحقيقة، وبقدر لم يسبق أن أتيح له خلال تاريخه بأكمله. إذ لم يحدث قط فى الماضى أن خاطر الانسان بكل هذا القدر الذى يخاطره اليوم لبلوغ الحقيقة. وإن هذه هى المسئولية الكبرى التى تجمع وتربط بين كافة العلوم.

من أجل ذلك لم يسبق قط أن كانت الحاجة ملحة، بمثل ما هى عليه اليوم، للتذكير بالقاعدة المشتركة بين مختلف العلوم والتأكيد عليها. إذ أنه على هذه القاعدة وحدها يمكن أن يقوم التفاهم والتعاون بين العلوم جميعا، خاصة وأنه لازم لهوضها بأعبائها الكبرى.

أما عبء بلورة هذه القاعدة فى صورتها الكاملة فيقع على الفلسفة، التى لن تعود لتثبت حقها فى أن تصير الحقيقة الأسمى والأعمق طرا إلا بعد أن يتسنى لها تحقيق هذا المطلب.

ترجمة : مجدى يوسف



عثر على بقايا الزواحف الطائرة من نوع *Pterodactylos* (قارنها *Scolopaciceps*) في الطبقات الجيرية بناحية آيشتيت. وهي تتميز بقصر ذيلها، كما أنها تعد أقدم كائنات فقريّة. ويبلغ طول رأسها: ٨،٤سم، وطول جزءها ٦،٤سم.

الناقشة الدائرة حول نشوء الحياة على سطح الأرض

عن كورت فاخهلدر

فكرة أساسية عرفت، فيما بعد، بما يقال له «قضية بداية الحياة الأولى». ثم إن هذه القضية مالبثت أن تبلورت حتى أصبحت واحدة من نظريتين علميتين أساسيتين، تبحثان في كيفية بداية الحياة على سطح الأرض، في الأزمان الغابرة. وتسمى هذه النظرية، «نظرية بداية الحياة الأولى (Urzeugungslehre)»، كما أنها تتلخص فيما يلي:

إذا ما تواجدت الظروف الفيزيائية الكيميائية الملائمة لنشوء الحياة، فأن هذه الظروف، وحدها، كافية لنشوء الحياة ذاتياً، كافية لنشئها فجأة، وعلى حين غرة، كما أن ذلك يتم بفعل داخلي تمليه القوانين الطبيعية العامة وحدها، دون الحاجة إلى قوة خارجية خالقة.* هذا، ونشوء الحياة في مثل هذه الظروف أمر محتوم، ولذا فلا بد وأن تكون الحياة قد بدأت على كوكبنا بهذه الطريقة، يوماً ما.

ولا جدال في أن تعديلات عديدة قد أدخلت، مع مرور الزمن، على الصيغة التي أوردناها بعاليه. ويتلخص أول تعديل، من هذه التعديلات، في القول بأن الكائنات الحية لا تنشأ، بصورها الكاملة، من المواد غير العضوية مباشرة، كما أنها لا تنشأ أيضاً، من هذه المواد، فجأة. وزاد أنصار هذه النظرية على ذلك، ففرضوا وجود مواد عضوية وسيطة على سطح الأرض، قبل بداية الحياة الأولى، أي أنهم فرضوا وجود مواد وسيطة من نفس النوع الموجود في جميع الكائنات الحية، وفي كل ما له صلة بهذه الكائنات، مواد من نوع لا وجود له أصلاً في الطبيعة غير العضوية، وإن شئت، من نوع لا وجود له أصلاً في عالم الجحاد.

(*) لا يتفق المؤمنون بالكتب المنزلة، ومن بينهم مترجم هذا الكلام، مع أنصار هذه النظرية فيما يدعون، ولسوف نبين في هذا المقال مبلغهم من العلم، أن شاء الله، ويعلم الخالق جل شأنه، أنهم ما أوتوا منه إلا قليلاً.

يجب على الإنسان أن يكون قادراً على التمييز بين الحى من الكائنات وبين الجحاد، وذلك قبل أن يحق له أن يتساءل عن الطريقة التي كانت الحياة قد نشأت بها على سطح الأرض، في الأزمان الغابرة، وقبل أن يعتبر فهم هذه الطريقة معضلة كبرى.

ولم يكن هذا هو الحال فيما مضى، إذ كان الناس ينظرون إلى كل الكائنات على أنها مخلوقات حية أو كانوا يتصورون — على الأقل — أن كل شيء يمكن أن يصبح كائنات حية، بدون أدنى صعوبة، في يوم من الأيام. وما شد أحد من السابقين عن غيره في هذا، بما في ذلك الفيلسوف الأغريقي أرسطوطليس (Aristoteles). إذ كان هذا العلامة الكبير يتصور أيضاً، أن الحيوان بما في ذلك بعض ما ارتقى منه، مثل الضفادع وثناعيين البحار، تنشأ من الطين أو من الوحل، فجأة وعلى حين غرة.

ولقد استمر هذا التصور، بعينه، قائماً طوال القرون الوسطى، بل إنه بقي قائماً حتى بعد أن تعلم الناس كيف يميزون بين الحى وبين الجحاد، وبعد أن ظهر لهم ما بينهما من فروق. ويرجع ذلك إلى أن الناس كانوا لا يعتقدون في وجود فاصل واضح، لا يمكن التغلب عليه بين ما هو حى وما لا حياة فيه، بل إن ما تصوره كان على العكس من ذلك تماماً، إذ لم يقتصروا على الاعتقاد بأن نشوء الحى من الجحاد أمر ممكن فحسب، بل كانوا، علاوة على ذلك، على يقين من نجاح تجاربهم في هذا الشأن، في يوم من الأيام. أولم يدأب كيميائيو العصور الوسطى على خلط ما راقهم من مواد في بواقيهم، وعلى معالجة ما خلطوه بشئ الطرق، سعياً وراء تحقيق حلمهم الكبير، لا بتحضير أكسير الحياة، ذو الفاعلية اللامحدودة فقط، بل تعدى ذلك إلى خلق الهومونكولوس (Homunculus) أي خلق الإنسان الحى، أرقى الكائنات قاطبة، في تلك البوادي؟! ولقد ظهرت، أثناء تجارب القرون الوسطى الكيميائية،

وفي خلال القرن الثامن عشر، قام بعض مشاهير العلماء مثل نيدهام (Needham) البريطاني، وبوفن (Buffon) الفرنسي بغلي محاليل غذائية عضوية غليا تاما كافيا لقتل كل ما فيها من أحياء، ثم إنهم تركوا هذه المحاليل فترة طويلة من الزمن تبينوا بعدها نشوء أحياء جديدة في هذه المحاليل، فاستنتج هؤلاء العلماء من ذلك، أن نشوء هذه الأحياء الجديدة كان نتيجة تحلل ما في بقايا الأحياء المغلية من مواد عضوية، وأن هذا التحلل قد حدث بفعل شبيه بالتعفن. ثم إن هؤلاء العلماء فرضوا، بعد ذلك، أن جزيئات عضوية مماثلة تنتشر في كل مكان على سطح الأرض، وأستنتجوا من ذلك، قياسا على تجاربهم، أن أحياء ميكروسكوبية كانت قد نشأت من جزيئات مماثلة، في الأزمان الغابرة، على سطح الأرض. وزادوا فقالوا أن تكرار مثل هذا النشوء، أمر يمكن حدوثه، في كل زمان وفي كل مكان، وأن الميكروبات، التي تسبب الأمراض المعدية وتنقلها من مكان إلى آخر، أي ما يسمى اليوم بكتيريا (Bakterien) كانت، هي الأخرى، قد نشأت أيضا، بطريقة مماثلة، أي أنها نشأت من تحلل مواد عضوية بفعل شبيه بالتعفن.

ولقد تطلب إثبات خطأ هذه الفروض، وما بني عليها من أستنتاجات، عملا مضنيا خلال قرن كامل من الزمان، إذ تبين، بعد ذلك، بما لا سبيل إلى الشك فيه، أن علماء القرن الثامن عشر كانوا قد خلطوا بين سبب مذهبوا إليه ونتيجته. أما الحقيقة فهي أن البكتيريا (Bakterien) والأنفوزريا (Infusorien) أي النقيعيات، وما شاكلها من الأحياء الميكروسكوبية، لا تنشأ عن تحلل المواد العضوية، بل أن عكس هذا هو الصحيح، أي أنها هي التي تسبب تحلل هذه المواد وتعفنها. والعالم مدين بهذا الكشف ألهام للعالم باستور (Pasteur) الذي أثبت أن أية تربة غذائية، سواء في ذلك ما أحتوى منها على مواد عضوية أو غير عضوية، لا تتعفن ولا تتكون فيها أية أحياء ميكروسكوبية، حتى ولو تركت عشرات السنين، وذلك طالما حرص الإنسان على أن لا تصل إليها مثل هذه الأحياء من الخارج، أي مما حولها من الكائنات.

ولم يسلم الذين يؤمنون «بنظرية بداية الحياة الأولى»، على الرغم من ذلك، بهزيمتهم، إذ ادعى هيكل (Haeckel) في نهاية القرن الماضي، بمنتهى البساطة، أن باستور كان قد أجرى تجاربه في ظروف غير طبيعية، وبذا فأن نتائج هذه التجارب لا تضحد هذه النظرية بحال من

الأحوال، كما أعلن، بمنتهى البساطة أيضا، أن «نظرية بداية الحياة الأولى» تعتبر، في الواقع، ضرورة فكرية. وأدعى هيكل، علاوة على ذلك، أنه وجد في المركبات المخاطية اللزجة المنتشرة في قاع البحار، تلك الحلقة المفقودة التي تربط ما بين الحى والجما. ولقد أثبتت الأيام خطأ هيكل للمرة الثانية، إذ اتضح، فيما بعد، أن هذه المركبات المخاطية، ما هي إلا مركبات جيرية.

ولابد لنا الآن، من العودة مرة ثانية، الى ذلك الوقت البعيد، الذى بدأ اهتمام الناس ينصب فيه، على البحث عن كيفية بداية الحياة الأولى على سطح هذه الأرض، وذلك لأن هذه القضية كانت قد عولجت، في ذلك الوقت، من ناحية أخرى غير تلك، التي أوجزناها بعاليه، ونعني بذلك بحث هذه القضية من أساسها، أي معالجتها من الناحية الكيميائية.

ولعل القارئ يذكر، أن نيدهام وبوفن كانا قد فرضا في بحوثهم أنتشار جزيئات عضوية في كل زمان وفي كل مكان على سطح هذه الأرض، وأنهما لم يتعرضا فيما ذهبا إليه، الى مسألتين جوهريتين، تدخلان في صميم النظرية، التي نحن بصدددها، ونعني بذلك :

أولا : عما إذا كان تكوين المواد العضوية، أى المواد التي تدخل في تركيب الكائنات الحية من مواد أخرى غير عضوية، أمرا ممكنا من حيث المبدأ؟
ثانيا : وإذا كان هذا التكوين ممكنا، فكيف كان تكوين هذه المواد العضوية، على وجه التحديد، وقت بداية الحياة الأولى؟

وغير خاف، أن الأجابة على أسئلة من هذا النوع، لم تكن ممكنة في عصر هذين العالمين. ولقد مضى على هذا العصر زمن طويل أنهى العلماء فيه، إلى أنه نظرا لوجود جميع العناصر، التي تدخل في تركيب الأحياء الكيميائي، في الطبيعة غير العضوية، أى في عالم الجما، فليس هناك ما يمنع من تكوين مواد عضوية من أخرى غير عضوية، كيميائيا. ويقتصر الفرق بين ما هو عضوى وما هو غير عضوى، على أن ترتيب هذه العناصر لتكوين الجزيئات العضوية، يختلف عن ترتيبها لتكوين الجزيئات غير العضوية، وأن كان التكوين، في حد ذاته، يخضع في كلتا الحالتين إلى نفس القوانين.

ولقد كان العالم الألماني بفليجر (Pflüger)، هو أول من حاول عام ١٨٧٥، أن يجد بالتجربة العملية ما عسى أن يكون قد حدث على سطح الأرض في الأزمان السحيقة،

أى عند بداية الحياة الأولى، وذلك بالبحث عن طريقة تكوين الجزيئات العضوية من عناصر كيميائية غير عضوية. وبالرغم من أن أخطاء قد ظهرت، مع مرور الزمن، في تجربة بفليجر، إلا أن الفضل في توجيه البحوث إلى هذه الناحية، يرجع إليه وحده، إذ كان هو أول من نبه إلى ضرورة إجراء تجارب كتجربته، لكما يتسنى أن تؤخذ «نظرية بداية الحياة الأولى» على محمل الجد. ومجمل القول أن أنصار هذه النظرية فشلوا مرتين، حتى ذلك الوقت، في تقديم دليل عملي يعززها، كما أن فشلهم الأول كان على يد بفليجر، وفشلهم الثاني كان على يد هيكمل، كما أسلفنا.

ثم كانت، بعد ذلك، محاولة ثالثة لدعم هذه النظرية، محاولة بنيت على أسس علمية أكثر جدية عما سبقها بكثير، ونعني بذلك تلك المحاولة التي قام بها رختر (Richter)، عام ١٨٧٠، ثم استكملها هلمهولتز (Helmholtz)، من بعده، بالبحث والتعميق، وبيان ذلك فيما يلي :

بدأ هلمهولتز بحوثه من فرض تفرع العلوم الحديثة اليوم، ألا وهو أن الكرة الأرضية كانت، في أول أمرها، كرة ملتهبة، ولقد استمر لها فترة من الزمان، أنعدمت خلالها جميع أنواع الحياة، بطبيعة الحال، فوقها. ولا بد وأن تكون حرارة هذه الكرة الملهبة قد انخفضت، بعد ذلك، إلى القدر الذي يسمح بسيولة الماء على سطحها، على الأقل، وذلك قبل إمكان نشوء أى نوع من أنواع الحياة على هذا السطح. أما سبب ذلك فيرجع إلى أن وجود الماء هو الشرط الأساسى لوجود الحياة، فالماء يدخل في تركيب كل كائن حتى بنسبة الثلثين تقريبا، كما هو معلوم. ثم يستطرد هلمهولتز، قائلًا بأنه إذا كانت جهودنا، لخلق الأحياء من الجحاد، قد فشلت، حتى الآن، فإنه يجب علينا أن نتساءل عما إذا كانت الحياة قد نشأت بالفعل على سطح الأرض، في أى وقت مضى؟ وأن نتساءل أيضا عما إذا كانت الحياة ليست قديمة قدم المادة نفسها؟ وأخيرا أن نتساءل : «ولم لا تكون للحياة بذور أو جراثيم، تنتقل بين كواكب السماء، بحيث لا تزدهر الحياة إلا في تلك الكواكب، التي تتوافق ظروفها الطبيعية مع ما للكائنات الحية من مطالب؟»

يظهر مما تقدم أن ما تصوره هلمهولتز لا يتفق، في جوهره، مع ما تنص «نظرية بداية الحياة الأولى» عليه، إذ يرى هذا العالم النابه أن الكواكب العامرة بالحياة تلفظ ما يسمى كوزموزات (Kosmozoen)، أى بذور الحياة أو جراثيمها

فهم هذه في الكون على وجوهها، حتى تلتقي بكوكب ما، تتوافق ظروفه الطبيعية مع ما للأحياء من مطالب، فتترعرع هذه البذور على سطحه، وتنبت حياة جديدة على هذا الكوكب. وبعد ازدهار الحياة عليه، يلفظ هو الآخر بذورا جديدة، لا تلبث أن تنبت الحياة على كوكب مناسب آخر، وهكذا دواليك.

ولعله من المفيد أن نقارن الآن بين «نظرية بداية الحياة الأولى» وبين رأى هلمهولتز، في عبارة سهلة مبسطة. فبينما تنص هذه النظرية على أن الحياة كانت قد نشأت على كوكبنا من الجحاد، وذلك بعد أن توافرت الظروف المواتية لذلك، يرى هلمهولتز أن استمرار الحياة في هذا الكون، هو نتيجة لنوع من التناسل بين كواكب معينة، يحدث في مدد أزلية في طولها. وبذا، فليست الأرض إذن، هي أم الحياة، التي ازدهرت على سطحها، بل هي لا تعدو أن تكون مرضعة، تعهدت بذور الحياة، التي وصلت إليها من كوكب آخر، بالغذاء، وذلك دون أن تلد الأرض هذه البذور، في أى وقت مضى.

وعلى أساس ما تقدم، يصبح تبرير هيكمل «لنظرية بداية الحياة الأولى»، على أنها ضرورة فكرية تبريرا لا قيمة له. غير أن ذلك لا يعفيها، بحال من الأحوال، من بحث أقوال هلمهولتز بحثا علميا معززا بالتجارب، وذلك لكي نعرف نصيب هذه الأقوال من الصحة، إذ أنها أقوال بنيت على تصورات يعوزها الأثبات، ولنبادر بذلك فيما يلي :

نعلم من دراستنا للكون، حتى الآن، أنه يتعين على بذور الحياة أو جراثيمها، أن تتعرض، أثناء انتقالها في الكون، لظروف أقل ما يمكن أن يقال فيها، هو أنها ظروف شديدة العدا لئى نوع من أنواع الحياة، ولذا فإن أول سؤال يواجهنا، في هذا الصدد، هو عما إذا كانت هذه البذور قادرة على المحافظة على حياتها أثناء تلك الفترات الزمنية الطويلة، التي تتعرض فيها لظروف الكون الشديدة العدا لحياتها؟ والجواب على ذلك أنه قد ثبت منذ أمد بعيد، أن جميع الأحياء تقريبا، فيما عدا الحيوانات الفقرية والإنسان، تمتلك قدرة عجيبة، ألا وهي تلك القدرة على إيقاف كل ما تتطلبه حياتها من تفاعلات كيميائية وعمليات تنظيمية حيوية، في باطنها، وذلك بصفة مؤقتة، أو بعبارة مبسطة، أن هذه الأحياء، قادرة على إيقاف ساعة حياتها مؤقتا، وذلك عندما تتعرض لظروف طبيعية خارجية لا تلائم حياتها. كما أنه من

الثابت أيضا، أن هذه الأحياء قادرة كذلك على تسيير ما تتطلبه حياتها من تفاعلات كيميائية وعمليات تنظيمية في باطنها، مرة ثانية، وذلك بمجرد تحسن الظروف الخارجية المحيطة بها، إلى درجة تجعلها ملائمة لحياتها. ومجمل القول أن هذه الأحياء لها قدرة التظاهر بالموت، لفترات زمنية معينة، أو كما اصطلاح العلماء على تسمية مثل هذه الحالة، قدرة على الحياة «حياة كامنة» تمكنها من عبور الفترات، التي تتعرض حياتها فيها للخطر، بسلام.

ولقد تبين أيضا، أن لهذه الأحياء القدرة، على أن تحيا حياة كامنة، عندما تتعرض لدرجات حرارة الكون الشديدة الانخفاض، على أن يكون ذلك خلال فترات زمنية قصيرة فقط. أما الدليل على صحة ما نقول، فهي تجارب أجريت على ميكروبات السل لهذا الغرض، عرضت فيها هذه الجراثيم لدرجة (٢٧٢-) مئوية، أي لتبريد يكاد يصل في شدته إلى الصفر المطلق، وكان ذلك لفترات تراوح بين بضع ساعات وبضعة أيام، ثم استنبتت وريبت سلالات قوية، بعد ذلك، من الجراثيم المبردة، وكان ذلك بعد تدفئتها بحذر.

ولا تقوى الجراثيم على احتمال درجات الحرارة المرتفعة، وبذا فقد أخطأ هلمهولتز الصواب، عندما تصور أن جراثيم الحياة أو الكوزموزات، كانت قد وصلت إلى كوكبنا مع ما وصل إليه من نيازك، في الأزمان الغابرة، إذ أن النيازك تتوهج، كما هو معلوم، عندما تسرع في غلاف الكرة الأرضية الجوى، بفعل الاحتكاكية. ومن جهة أخرى، فإنه لا يمكن، أن تكون جراثيم الحياة قد وصلت إلى الكرة الأرضية، قبل تكوين غلافها الجوى، إذ أن مصير كل كائن حي كان قد وصل إلى سطح الأرض، قبل تكوين غلافها الجوى، هو الفناء العاجل لتحقيق، وذلك بفعل الأشعاعات الكونية الشديدة، التي تمتصها طبقات أجو العليا، منذ أن كان للأرض غلاف جوى. وهذه قاعدة عامة، إذ لا يمكن أن تزدهر الحياة على أى كوكب سماوى، بدون وجود غلاف جوى حوله، يمنع الأشعاعات الكونية من الوصول إلى سطحه، وذلك بامتصاصها.

وينتج عن هذه القاعدة العامة صعوبة ثانية تقف عثرة في سبيل إثبات صحة نظرية الكوزموزات، ألا وهي عدم وجود كواكب تقرب من الأرض قريبا كافيا، ولها أغلفة جوية، وتسمح ظروفها الطبيعية، في الوقت نفسه، بازدهار الحياة على سطوحها. ويمكن، مع التساهل، استثناء بعض كواكب مجموعتنا الشمسية مما تقدم، غير أن

هذه الكواكب كانت، هي الأخرى، في ظروف طبيعية غير ملائمة للحياة، في نفس الوقت الذي كانت الأرض فيه كذلك، ولذا فلا يمكن اعتبار هذه الكواكب صالحة لأثبتات تصورات هلمهولتز. لما تقدم، لا يبقى أمامنا، سوى أن نفرض أن جراثيم الحياة كانت قد انتقلت إلى الكرة الأرضية من كوكب بعيد، لا ينتمى إلى مجموعتنا الشمسية. غير أن هذا الفرض يثير، بدوره، مشكلة جديدة، ألا وهي طول الفترة الزمنية اللازمة لانتقال جراثيم الحياة من هذا الكوكب البعيد إلى الأرض، وذلك حتى مع الفرض، بأن هذه الجراثيم أو البذور كانت قد انتقلت في الكون بسرعة الضوء، كما فعل ليدوف (Lebedew)، وهذا نظرا لأن فترات حياة الأحياء حياة كامنة، ليست سوى مددا قصيرة جدا، بل هي مدد متناهية في القصر، إذا ما قورنت بالمدة اللازمة لانتقال جراثيم الحياة، على أساس الفروض السابقة. ولقد بقيت نظرية الكوزموزات (Kosmozoentheorie)، وهي النظرية الثانية لنشوء الحياة على كوكبنا، بناء على ما تقدم، مجرد تصورات مشكوك في صحتها للغاية، وذلك كما كانت في أى وقت مضى.

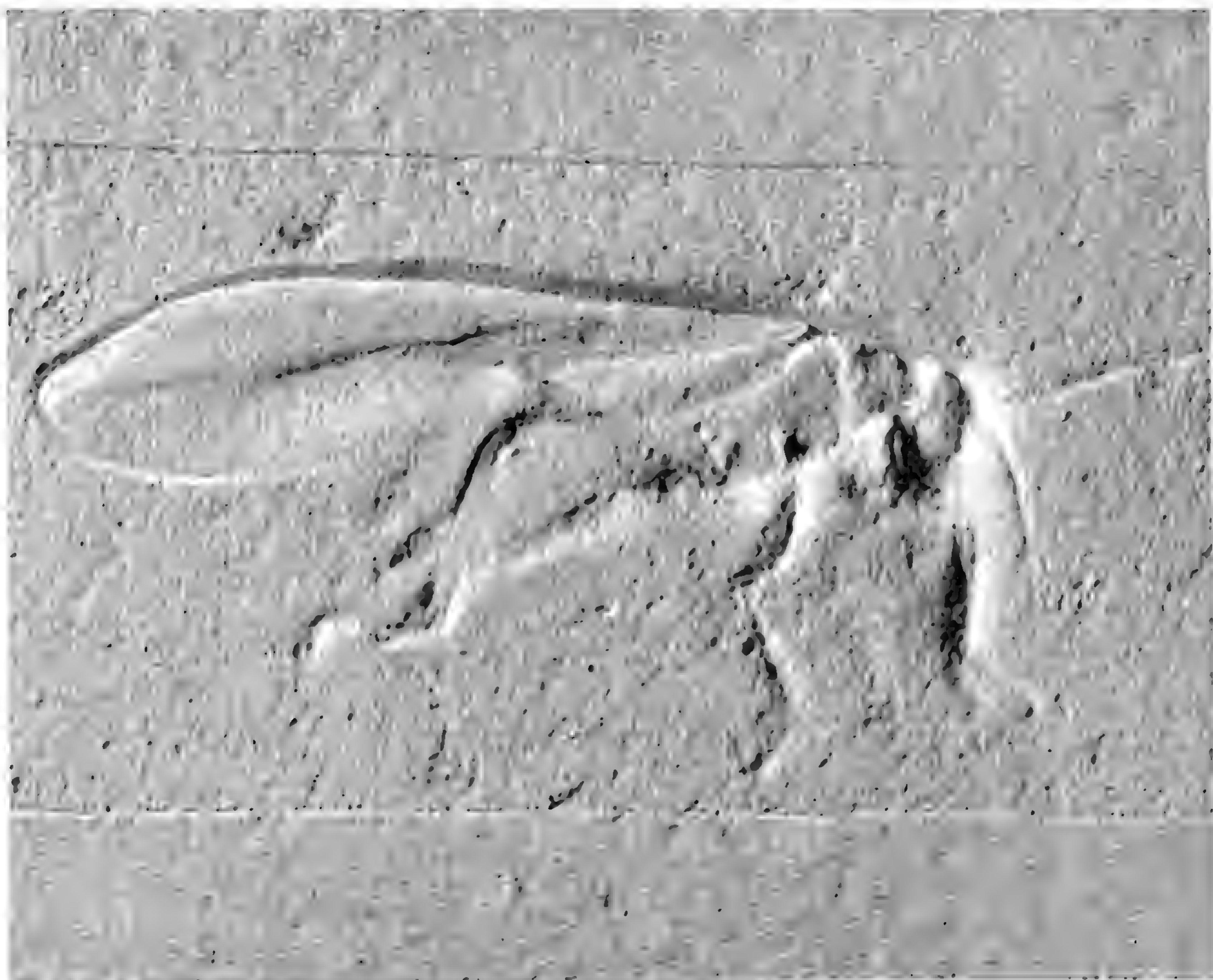
ولقد كان لما أوجزناه من بحوث، بعاليه، أثره، فصرف الناس النظر عن «نظرية الكوزموزات» وعادوا، حديثا، إلى «نظرية بداية الحياة الأولى» مرة ثانية، ولكنهم عادوا، في هذه المرة، مسلحين بكل المكاسب العلمية، التي أحرزت، أثناء القرون الماضية، في علوم الكيمياء والفيزياء وعلم الحياة. وإنا لا نجادل في قيمة المنجزات الجدية العلمية، التي تحققت أخيرا، كما أننا لا نجادل، أيضا، في قيمة التجارب العملية، التي أجريت، حديثا، بنجاح، ونقصد بذلك، تلك المنجزات والتجارب، التي تمت تعزيزا لهذه النظرية، غير أن ما يعيننا، في أحل الأول هنا، هو التساؤل، بحق، عما يلي:

هل تكفى الانجازات العلمية والتجارب العملية، التي نجحت حتى الآن، لكما يحق لنا القول، بأن «نظرية بداية الحياة الأولى» كافية لحل معضلة بداية الحياة الأولى على كوكبنا، حالا شاملا ناجزا لا يتطرق إليه أى شك؟ وللإجابة على هذا السؤال، ذو الأهمية العظمى، نبدا بتلخيص بعض ما قام به العالم الروسى أبارين (Oparin) من بحوث، وذلك لسبيين:

الأول: هو أن ادعاء البعض بأن معضلة بداية الحياة الأولى قد حلت بالفعل يعتمد، في جوهره، على نتائج هذه البحوث.



البولونوستوموس سييك Belonostomus spec. نوع من الأسماك القديمة عثر عليه في الطبقات الجيرية بدسوليفو،
ويبلغ طوله ٣٤ سم.



اليكوفيليا سكيبورثا *Pinnophlebia speciosa* عبارة عن صنف من الجراد عثر عليه في الطقات الجيرية بـ «آيشتا» .
وكان طول هذه الجراد ١٤ سم.

الثاني : أن دراسة هذه البحوث تعد طريقة مثلى، لكنها يتسنى للأنسان التمييز بين الأحياء والجماد، تمييزا علميا صحيحا.

وليس من شك، أن أبارين كان في بحوثه هذه في غاية الحذر، إذ أنه حرص فيها، أشد الحرص، على فصل كل خطوة من خطوات تحول المواد غير العضوية، أى الجماد الذى لا حياة فيه، إلى مواد عضوية، تدب الحياة فيها، فصلا تاما. ثم انه عكف، بعد ذلك، على دراسة إمكانيات حدوث كل خطوة من هذه الخطوات، على ضوء أحدث ما توصل العلم إليه، وقت القيام بهذه البحوث. وفي رأى أبارين، أن أولى الخطوات، عند بداية الحياة الأولى، كانت تكوين مواد كيميائية عضوية بسيطة في تركيبها نسبيا، أى مواد عضوية صغيرة الجزيئات، كتلك التى يصادفها الباحث، في الأحياء مفردة، في بعض الأحيان، أو يصادفها كوحدات، قائمة بذاتها، تدخل في تركيب المواد المعقدة، أى في تركيب المواد العضوية كبيرة الجزيئات، كما هو الحال في الزلاليات، على وجه الخصوص. فإذا ما أخذنا في الاعتبار، أن الزلاليات من أهم المواد، التى يتركب الكائن الحى منها، لوجدنا أن أول خطوة حدثت، عند بداية الحياة الأولى، كانت تقتصر على تكوين الأحماض الأمينية (Aminosäuren)، وهى مركبات عضوية صغيرة الجزيئات نسبيا، تدخل في تركيب الزلاليات، كما أنها تتكون، كما هو معلوم، من ترتيبات كيميائية معينة من جزيئات الأيدروجين والكربون والأكسوجين، كما أنها تحتوى أيضا على جزيئات من الآزوت.

ولقد فرض أبارين، أن الكرة الأرضية كانت قد بردت بقدر يسمح بتكوين محيط من الماء فوق سطحها، وكذا بتكوين غلاف جوى بدائى، به بخار الماء، فوق هذا المحيط، وذلك لتكوين الخطوة الأولى من الحدوث، أى لكما يمكن تكوين أحجار بناء الزلاليات، من مواد غير عضوية. وهذا الفرض يختلف عما ذهب اليه بفليجر، من أن تكوين الأمينات، وإن شئت، تكوين أحجار بناء الزلاليات، كان قد حدث والأرض مازالت كرة ملتهبة. ويستطرد أبارين في بحثه قائلا، أن المنبع، الذى كانت هذه المركبات العضوية البسيطة قد استمدت طاقة تكوينها منه، لم يكن إلا تفريغات كهربائية، بالإضافة الى طاقة الأرض الحرارية نفسها، التى كانت، وقت بداية الحياة الأولى، لا تزال كبيرة جدا. ومن الطريف أن نسجل هنا، أن ذلك الذى كان أبارين يظن، منذ بضع سنوات فقط،

أنه شيء في حيز الأماكن فحسب، قد ثبت فعلا على يد الباحثة الأمريكى ستانلى ملر (Stanley Miller) وذلك بالتجربة العملية، التى أجراها عام ١٩٥٣، والتى تتلخص فيما يلى :

خلط ملر في جهاز كروى مغلق معقم، خليطا بنسب معينة، من غاز الميثان (الميثين) ومن النوشادر ومن الأيدروجين ومن بخار الماء، وهى نفس المواد، بنفس النسب، التى يرجح علماء الفلك أن غلاف الكرة الأرضية كان يتركب منها، في الأزمان الغابرة. ثم جعل ملر جهازه هذا، بما فيه من خليط، يدور حول محوره، ثمانية أيام، دأب فيها على تسخين جهازه ثم تبريده، وعلى تفريغ شحنات كهربائية في محتوياته. وبعد هذه الأيام الثمانية، اكتشف ملر وجود مواد عضوية صغيرة الجزيئات نسبيا، في الخليط، من بينها كثير من الأحماض الأمينية، أى كثير من أحجار بناء الزلاليات.

ونظرا لما حققه ملر من نجاح، بتجربته، يحق للأنسان أن يفرض صحة ما ذهب أبارين اليه في تفكيره، من أن خليطا من عدد كبير من المركبات العضوية، صغيرة الجزيئات نسبيا، كان قد تكون في المحيطات والبحار البدائية، ومن أن هذه المركبات كانت ذاتية في مياهاها. ومع التسليم بما عسى أن يكون للنتائج، التى توصل ملر اليها من فوائدها، في المستقبل (إذ قد يصبح لها شأن كبير في صناعة الأغذية مثلا)، إلا أنه لا يصح، بحال من الأحوال، أن تعتبر هذه النتائج إثباتا قاطعا ناجزا «لنظرية بداية الحياة الأولى»، إذ لازال إثبات هذه النظرية، يتطلب نجاح تجارب عملية أخرى، وذلك لأثبات خطوات عديدة تالية لخطوة ملر.

ونظرا إلى حالة اللاتكون (الفوضى)، التى نشأت عليها المركبات العضوية صغيرة الجزيئات، في جهاز ملر، ففى رأينا أن تكون الخطوة التالية لذلك، هى إجراء تجارب عملية تهدف الى التخلص من اللاتكون، أى تهدف إلى تجميع ما صلح من هذه المواد مع بعضه، بجميعا كيميائيا، وذلك بحيث يتكون منها، في النهاية، مركبات عضوية كبيرة الجزيئات (ذات ماكرو جزيئات). وكبر الجزيئات هو ما تتميز به المواد العضوية، التى تدخل في تركيب الكائنات الحية، عن غيرها، وما تتميز به الزلاليات، على وجه التحديد.

وجدير بالذكر، أنه من العسير أن تكون الطاقة اللازمة لتكوين الزلاليات، من مواد عضوية صغيرة الجزيئات، كانت قد نبعت، عند بداية الحياة الأولى، من تفريغات

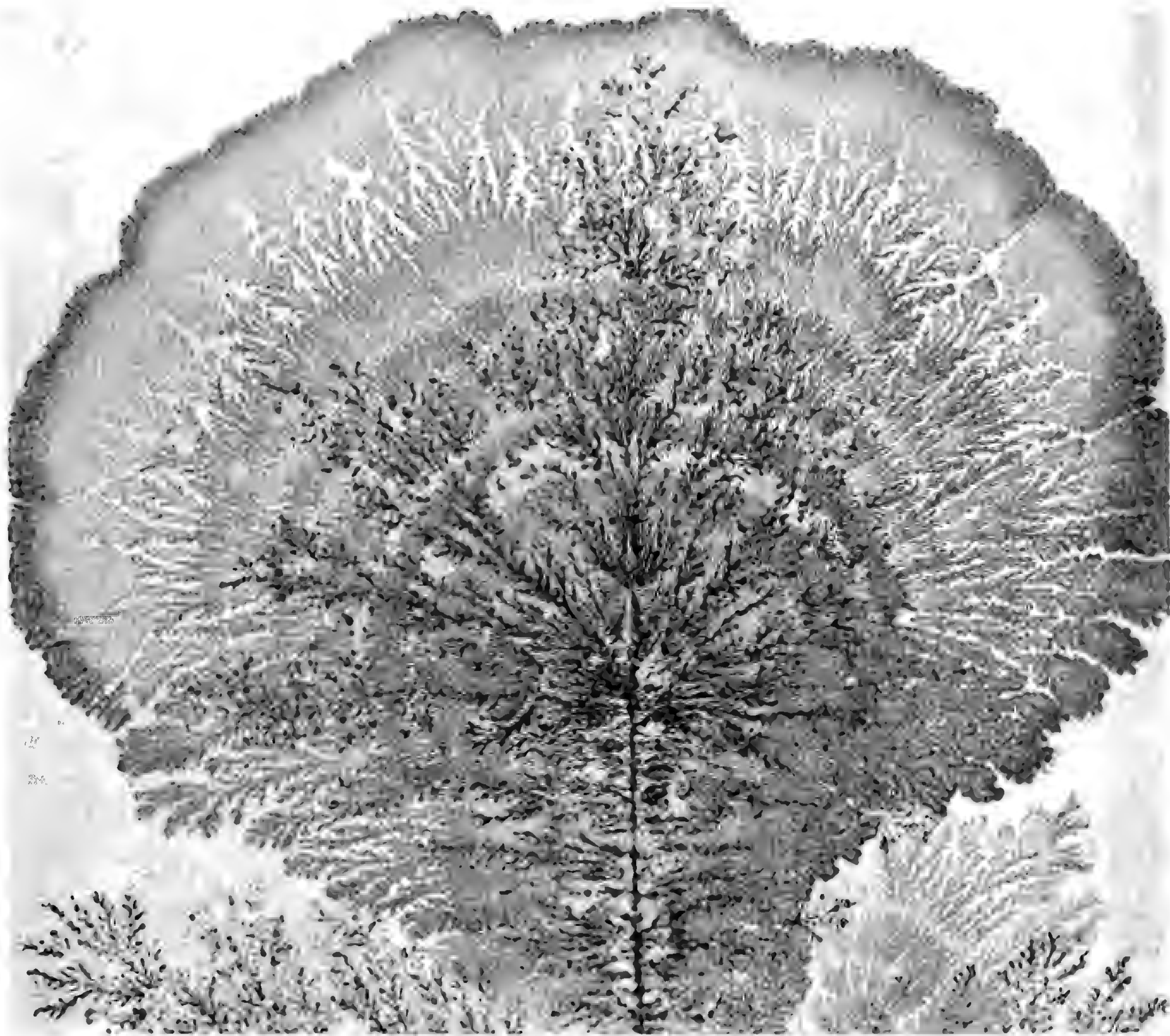
كهربائية أو من حرارة ما كان حولها من مواد وكائنات، وذلك نظرا لأن ما ينشأ من زلايلات، بهذه الكيفية، لا يكون مستقرا، ولا يبقى على حاله. غير أنه من الجائز، أن تكون هذه الطاقة قد وجدت فيما بعد، أى بعد أن انخفضت درجة حرارة الأرض انخفاضا كافيا لانطلاق هذه الطاقة من تحلل ما زاد عن الحاجة من مواد عضوية، صغيرة أبجزيئات، كانت ذائبة في المحيطات والبحار البدائية. وجددير بالذكر أن الطاقة تنطلق بهذه الكيفية في الحلية الحية، وبذا فأن تكوين ماكروجزيئات (أو زلايلات) ممكن، في الواقع، طالما استمدت الطاقة اللازمة لذلك من تحلل مواد عضوية صغيرة أبجزيئات. ويهمننا أن نشير هنا إلى أن الصناعة لم تنجح حتى اليوم في تركيب الزلايلات تركيبا أصطناعيا، ولكنها نجحت، كما هو معلوم، في تركيب ما كروجزيئات مواد ليفية معينة، تركيبا أصطناعيا، وعلى هذا الأساس تقوم بالفعل صناعات ضخمة، في الوقت الحاضر.

وهناك فرق أساسى هام بين ما يركبه الإنسان من مواد ليفية، تركيبا أصطناعيا، وبين الألياف، التي تتكون في الكائنات الحية بفعل الطبيعة، إذ ينقص جزيئات الألياف الصناعية أنظمة خاصة، انفردت بها جزيئات الألياف الطبيعية، وأصبحت مميزة لها. هذا، ويزداد الاعتقاد، يوما بعد يوم، أن أنظمة تكوين الماكروجزيئات، هي الفصل، الذي تتميز به الكائنات الحية عن الجهاد، إذ تخضع ماكروجزيئات الأحياء لقواعد تنظيمية خاصة بها، لا توجد فيما عداها، وبيان ذلك فيما يلي :

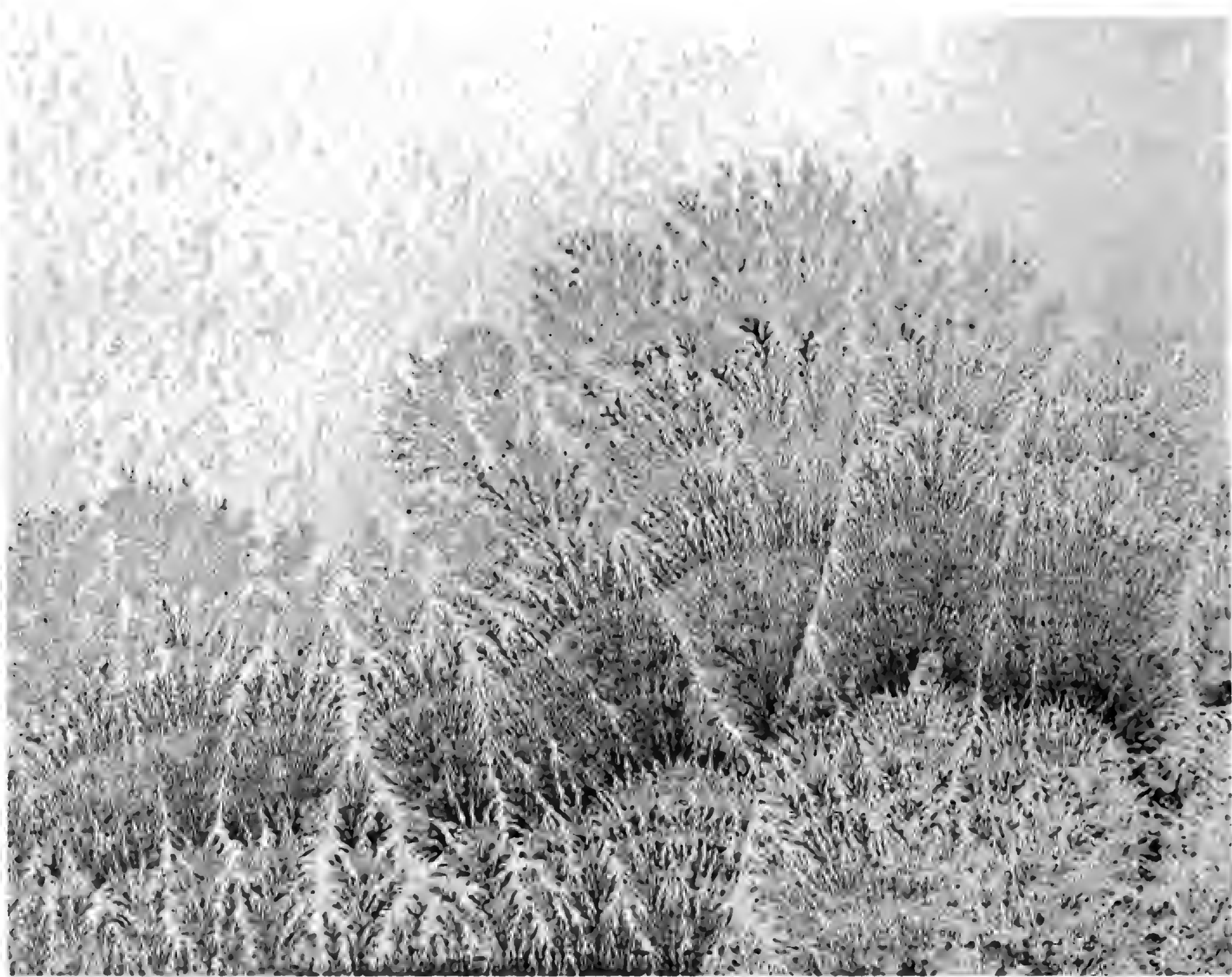
يتركب كل ماكروجزئ من عدد معين من الوحدات، ملصومة مع بعضها مثل حبات العقد أو مثل حلقات سلسلة طويلة، فإذا ما شبنها ماكروجزئ الألياف الطبيعية مثلا، بسلسلة منمرة الحلقات، لوجدنا أن الأحماض الأمينية المختلفة تدخل في تركيبه بنظام إيقاعى معين، أشبه ما يكون بالإيقاع الموسيقى، ففي سلاسل كهذه تتكون كل حلقة رقمها ٢ من حمض أمينى بذاته، كما تتكون كل حلقة رقمها، من حمض أمينى من نوع ثان، وكذلك كل حلقة رقمها ١٦ من حمض أمينى ثالث، وأخيرا كل حلقة رقمها ٢١٦ من حمض أمينى رابع. هذا ولازالت كيمياء الألياف الصناعية، حتى اليوم، عاجزة عن صنع مواد يتميز بناء ماكروجزيئاتها بنظام مماثل لهذا النظام الإيقاعى، الذى يتحكم في بناء ماكروجزيئات الألياف الطبيعية. زد على ذلك، أن تكوين الزلايلات، التي تشترك بالفعل في إنجاز التفاعلات الكيميائية والعمليات

التنظيمية الحيوية، يخضع لتنظيمات فراغية، أشد تعقيدا من النظام البسيط، الذى تحدثنا عنه بعاليه. ولذا، فلازال العلماء عاجزين، حتى الآن، عن مجرد تصور الطريقة، الفيزيكية الكمائية، التي عسى أن كانت المركبات العضوية، المنظمة في بناءها تنظما معقدا كهذا، قد تكونت بها من تلك المركبات العضوية، صغيرة أبجزيئات، التي لا شك كانت موجودة في المحيط البدائى، في حالة لا تكون، أى في حالة من الفوضى ومن عدم النظام. ولقد تبين أبارين ذلك، فما بقى له سوى، أن يهرع إلى «مبدأ بقاء الأصلح»، الذى تقوم نظرية داروين (Darwin) عليه، وذلك لكي ينقذ به ما عسى أن يتاح له أن ينقذه من «نظرية بداية الحياة الأولى»، متبعا في ذلك نفس الخطوات التي اتبعها داروين من قبله. فبينما حاول داروين، أن يعلل نشوء أنواع جديدة من الكائنات الحية بما ادعاه من «تنازع البقاء» بين أنواع كثيرة من الأحياء، ومن بقاء النوع الأصلح منها، فقط، للحياة في الظروف المحيطة به، حذا أبارين حذوه قائلا، بأن ماكروجزيئات الزلايلات، بترتيب أحجار بنائها الخالى، كانت قد بقيت دون غيرها، لأنها كانت هي الأصلح للبقاء من بين ترتيبات أخرى، لا حصر لها، تكونت من الأحماض الأمينية، التي كانت موجودة في المحيط البدائى.

وأهم اعتراض على نظرية داروين، التي تقوم على اختيار الأصلح، هو أنها لا تتماشى مع الاحتمالية (Wahr-scheinlichkeit) بحال من الأحوال. ويمكن بل يجب توجيه هذا الاعتراض ألهام، وهناك غيره، بنفس القوة، بل أشد، الى محاولة أبارين تطبيق نظرية داروين على تكوين الزلايلات، وقت بداية الحياة الأولى. وإنا وإن كنا لا نعلم، إلى اليوم، كيف كانت الزلايلات قد نشأت، عند بداية الحياة الأولى، بهذا الترتيب المعقد المميز لها، فأن حل هذه المشكلة لا يعتبر مستحيلا، من حيث المبدأ، بل إننا قد نصل بالبحث، يوما ما، إلى أكثر من ذلك، أى أننا قد ننجح في تركيب الزلايلات صناعيا، في المستقبل. وحتى إذا ما كتب هذا النجاح لنا، فأنا نؤكد، أن معضلة الحياة الأولى سوف تبقى، على الرغم من ذلك، بدون حل، كما كانت، إذ ليست الزلايلات حياة قط، كما أنها لا تقوى على الحياة بمفردها، بما في ذلك الزلايلات النووية أو النيوكليوبروتينيدات (Nucleo-proteide)، وهي أرقى أنواع الزلايلات الطبيعية، التي نعرفها (أى أن تنظيم ماكروجزيئاتها هو أرقى تنظيم معروف للزلايلات). وتلك حقيقة ثبتت من أحدث



رسم متفرعة على الحجر في «آشتيت» بمقاطعة باقاريا. وهي ليست عبارة عن نباتات الخنشار كما يتراءى لأول وهلة، وإنما نُجِمت عن رواسب محاليل مكونة إما من ثاني أكسيد المنجنين أو أكسيد هيدرات الحديد. وفي الحالة الأولى يكون لون الراسب أسود، وفي الثانية بنيا.



رسوم متفرعة على الحجر من «آيشتيت»، بمقاطعة بافاريا.

التجارب، التي أجريت على الفيروسات (Viren)، أى على أضال الكائنات، التي تثير الأمراض المعدية.

وتتكون أبسط أنواع الفيروسات، التي تسبب مرض بعض النباتات، كشجرة التبغ مثلاً، من الزلاليات النووية دون غيرها، ومع ذلك تتبلور فيروسات التبغ، فتصبح شبيهة بملح من الأملاح، دون أن تفقد قدرتها على العدوى. ولما كانت الفيروسات تتكاثر بشدة، في حالة العدوى، وكانت القدرة على التكاثر إحدى الخواص، التي تتميز الأحياء بها، عن الجحاد، فلا غرو، أن أعتقد بعض الناس، ولا زال قليل منهم يعتقدون، أنهم وجدوا في هذه الفيروسات المتبلورة، تلك الحلقة الوسيطة، التي تربط ما بين الحى والجحاد، تلك الحلقة، التي طال البحث عنها بجهد كبير، دون جدوى. على أنه يهمننا أن نشير هنا، إلى أن بعض العلماء الناهيين، وعلى رأسهم بوتناندت (Butenandt)، قد تحولوا، أخيراً، عن هذا الاعتقاد تحولاً ظاهراً.

أما سبب تحول هؤلاء العلماء عما كانوا يعتقدون، فيرجع إلى ما نعلمه، الآن، من أن الفيروسات لا تقوى على القيام، ذاتياً، بعملية حيوية واحدة من العمليات، التي تتميز الأحياء بها، وهذا في حين أن الأحياء تنجز كل هذه العمليات، بنفسها، دون الحاجة إلى وسيط. وبعبارة أخرى، لا تقوى الفيروسات على التكاثر ذاتياً أيضاً، إذ أن وجود خلية حية، هو شرط أساسى لكيما تتمكن الفيروسات من التكاثر، ولا يمكنها أن تتكاثر بدونه. وبيان ذلك، أن الخلية الحية لا تأوى سوى الأحماض النووية (Nucleinsäuren) الموجودة في جزئ الفيروس، كما أن زلاليات هذا الجزئ تبقى خارج الخلية الحية. ثم تتحكم أحماض الفيروس النووية، بعد ذلك، في عملية التحول الغذائى (Stoffwechsel) للخلية، وذلك بحيث لا ينتج هذا التحول الزلاليات اللازمة لحياة الخلية نفسها، بل ينتج، عوضاً عن ذلك، زلاليات الفيروس، التي لا تمت للخلية بصلة. ثم تتكاثر الفيروسات بالخلية، نظراً لوجود أحجار بناء الفيروسات بداخلها، مما يؤدي إلى موت الخلية، بطبيعة الحال، وبذا تنطلق هذه الفيروسات لكي تتكاثر، من جديد، في خلايا حية أخرى.

فليست الفيروسات، إذن، هي ما يصح، أن تعتبر حلقة وسيطة تربط ما بين الحى والجحاد، وذلك لمجرد إسناد خاصية القدرة على التكاثر إليها، وهذه الخاصية ليست سوى واحدة من خواص ومنجزات عديدة، تكون القدرة عليها،

مجتمعة، ما نسميه كائناً حياً، كاملاً في تكوينه. بل لقد ثبت، بما ذكرناه بعاليه، حقيقة كثيراً ما ظهرت صحتها، في كثير من المناسبات الأخرى، ألا وهي أن الخواص والمنجزات الحيوية، مثل التكاثر، والتحول الغذائى، ومعدل توليد الطاقة، وما شابهها، تكون في مجموعها وحدة متكاملة، لا سبيل إلى الفصل بينها، كما أن كل واحدة منها تتوقف على الخواص والمنجزات الأخرى، وتؤثر عليها.

نستخلص مما تقدم، أن الكائنات الميكروسكوبية القادرة على الحياة، ذاتياً، وإن تناهت في الصغر أو في البساطة، تخضع في تكوينها لأنظمة معقدة، أشد التعقيد، تتحكم في وظائف أجزائها المختلفة، كما نستخلص أيضاً، مما تقدم، صحة تعريف الخلية، من جديد، ألا وهو أن الخلية، القادرة على الحياة ذاتياً، هي أبسط الأحياء تكويناً، وهو تعريف توصل العلماء إليه، منذ نحو قرن من الزمان.

ولقد كان للبحوث، التي أجريت على الخلية، حديثاً، الفضل في معرفة الأسباب، التي تؤدي إلى عدم قدرة أى جزء، من أجزاء الخلية، على الحياة بمفرده، أى بعد فصله عن أجزاء الخلية الأخرى. ويرجع ذلك إلى أن التفاعلات، والعمليات المختلفة اللازمة لحياة الخلية تتم في داخلها منفصلة، انفصلاً فراغياً تاماً، عن بعضها. فبينما تتكون الزلاليات وتتكاثر في منطقة من الخلية بذاتها، تتم التفاعلات الكيميائية، التي تمد الخلية بالطاقة اللازمة لحياتها، في منطقة أخرى. ولو أن هذين النوعين المتضادين، من التفاعلات، أو العمليات الحيوية، كانا مركزين في منطقة واحدة من الخلية، لأثر كل نوع منهما في النوع الآخر تأثيراً سلبياً، أو لأبطله كلية، ولفقدت الخلية قدرتها على الحياة، تبعاً لذلك.

هذه هي الحكمة في الفصل بين هذين النوعين من التفاعلات والعمليات الحيوية، فصلاً فراغياً تاماً، كما أنها هي الحكمة أيضاً، في ربط كل نوع من هذه العمليات بجزء معين من الخلية، خاص به. ولا يحسن القارئ أن أجزاء الخلية، تكوينات دائمة ثابتة البناء، بل إنها لعل العكس من ذلك تماماً، إذ أنها تكوينات في تغير مستمر.

ولقد ظهر جلياً من تجارب أجريت حديثاً، في هذا الصدد، استعملت فيها أصباغ وإشعاعات معينة، أن الخلية تشكل أجزاءها بحسب مطالب حياتها، فهي تتناول مواد هذه الأجزاء بالزيادة، أو بالنقص أو بالتغيير، كما ونوعاً، مستعينة على ذلك بالتحول الغذائى وبالتبادل المادى بين هذه الأجزاء.

وبذا يتبين لنا، أن الحياة في أبسط تكوين، أى أن حياة الخلية المفردة، تعتمد في جوهرها على تنظيمات معينة عديدة، وعلى علاقات محددة كثيرة، تتحكم فيما يحدث في داخل الخلية وحولها، وهى تنظيمات وعمليات محكمة رائعة، بل إنها لغاية في إحكامها، متناهية في روعتها.

ولعل أهم خطوة حققها البحوث، التى أجريت سعيا وراء الكشف عن أسرار الحياة، هى التسليم، بلا قيد أو شرط، بأن الحياة لغز عميق، أعمق وأصعب في حله بكثير، من مجرد البحث في تكوين الزلاليات، سواء أقتصرت هذا البحث على تكوينها وحدها، أو تعداه إلى تكوين الزلاليات بالإضافة إلى مواد عضوية أخرى أشد منها تعقيدا، كائنا ما كان عددها. ولسنا نجادل في أن تكوين هذه المواد ضرورى، لكما تدب الحياة في أى كائن، ولكننا نعترض، أشد الاعتراض على ما يقال من أن هذه المواد، هى الحياة بذاتها، وهذا نظرا لأن وجودها ما هو إلا شرط يجب توافره لوجود الحياة، ليس إلا.

وحرصا منا على ما نرجوه بهذا المقال من خير، نكرر ما أسلفناه، قاصدين هذا التكرار، من أن أبسط الكائنات الحية، قد أثبت لنا على ضوء العلم الحديث، أنه تنظيم فراغى من هذه المواد، أنه تنظيم مادي جدير بكل أعجاب، تخضع جميع العمليات الفيزيكية الكيميائية، التى تقوم بها أجزائه، أو تعالينها، لتنظيم زمني، جدير هو الآخر، بكل أعجاب وبكل إكبار. ولا يكتفى ما أوجزناه بعاليه، لكى نفي الكائنات الحية ما تستحقه من إعجاب، إذ يهيم، حتى على أبسط الأحياء، تنظيم آخر، لا يقل روعة وعظمة، عما سبق ذكره، وهو تنظيم يسخر هذه المواد العضوية كما يسخر ما يحدث بينها وما يحدث فيها من تفاعلات كيميائية، وعمليات تنظيمية حيوية، في خدمة الكائن الحى، لكى يتمكن من القيام بتلك المنجزات التى تميزه عن الجملاد، مثل القدرة على النمو وعلى البقاء حيا، وعلى التكاثر وغير ذلك. ولقد ثبت علميا، أن فاعلية هذا التنظيم العجيب لا تقتصر على منجزات الكائن الفرد الحيوية فحسب، بل تعداه الى النوع، الذى ينتمى الفرد إليه، بأكمله.

ولا يجدر بنا، في هذا المقام، أن نهمل الإشارة الى ما يقدمه هذا التنظيم العجيب من خدمات عديدة أخرى تيسر للإنسان، ولغيره من الكائنات الحية، القيام بمنجزات تفوق كل ما قيل، نخص بالذكر منها قدرات الإنسان ومنجزاته المختلفة، بوصفه أرقى الكائنات الحية، على الإطلاق.

وليس من شك، أن التنظيمات التى تمنح القدرة على القيام بالمنجزات الحيوية، هى في مجموعها ما يكون جوهر الكائن الحى، وبالتالي ما يكون الحياة نفسها، إذ لا وجود لحياة بدون أن يوجد كائن حى.

وخلاصة القول، أن معضلة الكشف عن أسرار الحياة هى، كما أسلفنا، معضلة جد عميقة، معضلة لا تحلها بحوث غايتها الكشف عن كيفية نشوء مواد عضوية بذاتها، أو دراسات تهدف إلى فهم أحداث فيزيقية وتفاعلات كيميائية كانت قد حدثت في ظروف معينة، وإنما يتركز حل هذه القضية على فهم الكيفية التى نشأت هذه التنظيمات الرائعة العجيبة بها، وبأى طريقة قد تجانست وتكاملت بحيث تصبح بها المادة، التى لا حياة فيها، كائنا حيا قادرا على القيام بكل هذه المنجزات.

هذا هو ما أراد كاتب هذا المقال أن يبينه للقراء في المحل الأول، وبه يمكن تركيز معضلة الكشف عن أسرار الحياة بأكملها في سؤال أخير حاسم، ألا وهو:

هل كان نشوء الكائنات الحية، التى تتميز عن الجملاد بهذه التنظيمات المتكاملة الرائعة، قسرا، وبفعل القوانين الطبيعية العامة فقط، أى بفعل تلك القوانين التى تتحكم في كل ما في هذا الكون، بما في ذلك عالم الجملاد؟ أم كان نشوء الكائنات الحية بفاعلية عامل حيوى منظم خاص، يفوق القوانين الطبيعية العامة قدرا، ولا ينتمى إليها، ولذا ما دبّت حياة في جماد إلا نظرا لوجوده، ونتيجة لفاعليته؟

ويؤمن أتباع المذهب الحيوى (Vitalismus) بوجود هذا العامل الحيوى المنظم، وبوجود عامل كهذا، يصبح البحث العلمى في جوهر الحياة وأسرارها، عملا لا أساس له.

وليطلق الناس ما شاؤوا من أسماء على هذا العامل الخارجى، الذى اختلفوا في وجوده كما اختلفوا في تسميته، فهذا لا يغير شيئا من جوهره، إذ أنه، كما قال علامة المذهب الحيوى دريش (Driesch) نفسه، شيء مغلق علينا، لا يجوز لنا أن نتصوره في أية صورة كانت.

أما القائلون، بأن الكائنات الحية كانت قد نشأت قسرا، أى بفعل القوانين الطبيعية العامة وحدها، وبأن هذا النشوء كان قد حدث نتيجة لظروف الأرض الطبيعية الخاصة بها، فلهؤلاء ما يدفعهم لأن يدأبوا على البحث العلمى، بصبر وبتواضع، هائين ما هم عنه يبحثون، متقدمين خطوة بعد خطوة الى سر المعضلة الكبرى، سر الحياة.

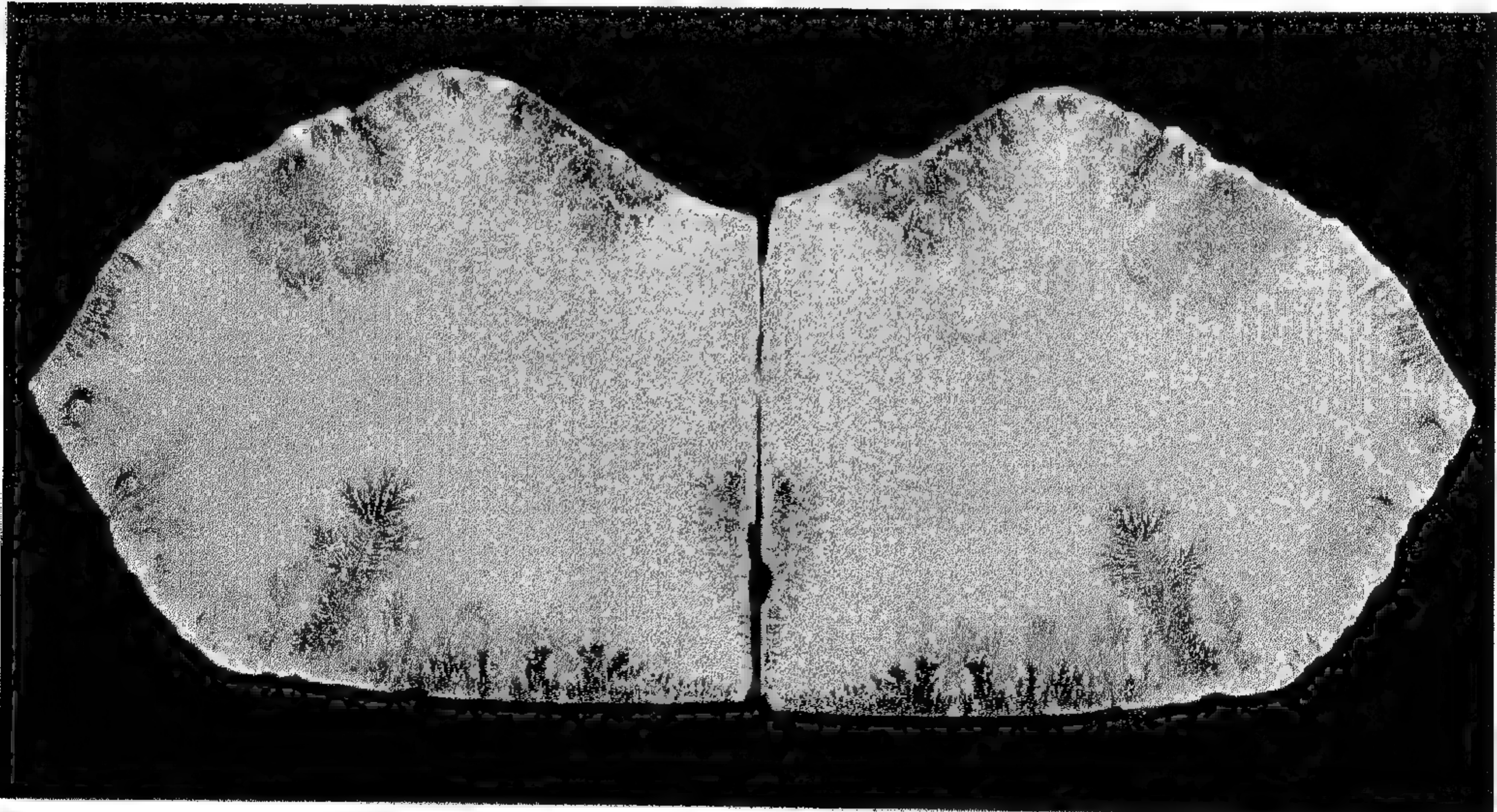
وقبل أن نختم هذا المقال يهمننا أن نوّكد، مخلصين، أنه لا يصح أن يفسر ما ذكرناه من خلاف حول وجود «عامل حيوى منظم»، على أنه خلاف حول خلق الكائنات بالقدرة الألّهية.

فاللّه، جل شأنه، قادر على أن يخلق الحياة بفاعلية القوانين الطبيعية العامة، وحدها، كما أنه، عز وجل، قادر على خلق الحياة كذلك، بفاعلية «عامل حيوى منظم». هذا وألحق، الذى لا مرأى فيه، هو أن قدرة الخالق، تباركت أسماؤه، على خلق الكائنات، حية كانت أم لم تكن، وكذلك ما آتخذ من وسيلة عندما خلق

الكائنات جميعا، هى مواضيع لا يصح أن يتناولها البحث العلمى بالدرس أو بالتمحيص مطلقا، مواضيع لا حلّ لها سوى الإيمان باللّه سبحانه وتعالى، كما أنها مواضيع لا يتعرض لها البحث العلمى السليم التزيه، الذى يعرف حدوده، بالفعل. ومن جهة أخرى إذا ما التزم البحث العلمى حدوده المشروعة، يصبح للباحث، حرصا على الفائدة المرجوة من بحثه، ألحق فى أن يكون حرا، غير مقيد بما نصت عليه الأديان، أو بما يدعيه الملحدون.

اقتباس : محمد عبده ابراهيم

رسم متفرعة على الحجر من «آيشتيت» (بافاريا). لوحتان متطابقتان من مجموعة جيورج برجر Georg Berger بضاحية هارتهوف القريبة من آيشتيت. اللقطات المنشورة على الصفحات ٤، ٥، ٨، ١٣، ١٤، ١٧، ١٨ و ٢١ من تصوير Lilly Stunzi (زيوريخ).



ما هو معنى الحياة من وجهة نظر الكيمياء والبيولوجية؟

بقلم ادولف بوتناند

في هذه البنية الحية، أى أنه يتم في داخل هذا التكوين المادى الكيميائى المنظم، أو بعبارة مبسطة، يتم في باطن الكائن الحى. أما الأمثلة على هذه الظواهر، وتلك المنجزات فهي كثيرة، منها التحول الغذائى (Stoffwechsel) والنمو والتطور، والحركة، وفهم الأشارات الحسية، وممارسة الأعمال الذهنية، والشعور بالأحاساس النفسية، وكل ذلك على سبيل المثال، لا على سبيل الحصر. أما منبع الطاقة اللازمة لظهور أية ظاهرة، أو لإنجاز أى منجز، من هذه الظواهر والمنجزات الحيوية، فهو، دائماً، ذلك التفاعل الكيميائى الخاص بكل منها.

وعندما كانت الكيمياء الفسيولوجية (الوظائفية) في أول أطوارها، كان البحث يدور فيها حول تحليل هذه البنية الحية، ذلك التكوين المادى الكيميائى المنظم، أى يدور حول فهم كيان الكائنات الحية، كما كان يدور أيضاً، حول التعرف على أنواع المواد، التى تتركب الأحياء منها، وعلى كمياتها، وعلى كيفية ترتيب جزيئات هذه المواد في الفراغ، بالنسبة لبعضها البعض. وفي المرحلة الثانية، من مراحل تطور هذا العلم، كان البحث الكيميائى الفسيولوجى، يدور حول الكشف عن طرق إنجاز تلك التفاعلات الكيميائية، التى لا تبدو ظاهرة حيوية، ولا ينجز منجز حيوى بدونها، أى يدور حول التفاعلات الكيميائية الحيوية.

ثالثاً: ولقد كانت نتيجة أزيداد معلوماتنا وتكاملها، في العشرين سنة الأخيرة، عما تعانیه مواد الخلية الحية، وعما يحدث بداخلها، من تفاعلات كيميائية، أن ظهرت آراء جديدة بشأن كيميائيات هذه الخلية.

وعلى أساس هذه المعلومات، يتعين علينا اليوم أن نعرف الخلية الحية، كما قال راين (Rein)، بأنها مجموعة من المواد في تبادل مادى، أى في تغير مستمر، وذلك بمعدلات معلومة. ومعنى ذلك أن بنية الخلية الحية،

كان فرانز كنوب (Franz Knoop) كيميائياً متخصصاً في العلوم الحيوية، وفي الكيمياء الفسيولوجية^(١)، على وجه الخصوص، وقد ترك هذا العالم المتوفى سنة ١٩٤٦، مقالا حدد فيه مجال البحوث في علوم تخصصه. ويقول كنوب في هذا المقال، الجدير بالدرس، ما يلي :

«إن أبرز صفة تتصف الحياة بها، هي أنها استمرار في تحرك كيميائى، كان قد بدأ عند نشوء أول خلية حية، ثم استمر هذا التحرك، بدون توقف، عبر آلاف السنين، ولا زال مستمرا في كل كائن حى، يعيش اليوم».

هذه هي أبرز صفة أو خاصية، تتميز الأحياء بها عن الجساماد، من وجهة نظر عالم متخصص في الكيمياء الحيوية، وهي تتضمن مفهومات عديدة، منها ما هو معروف، ومنها ما هو جديد، نلخصها فيما يلي :

أولاً: يذكرنا وصف الحياة على أنها «تحرك كيميائى»، بأنها، في الحقيقة، شىء لا وجود له قائماً بذاته، من الوجهة النظرية البحتة، أما ما هو موجود فعلاً، فهي الأحياء فقط. ومعنى ذلك أن كل التفاعلات الكيميائية، والعمليات التنظيمية، التى تنجز في باطن الكائن الحى، وكذا جميع ما تبدو عليه من ظواهر حيوية، أو ما يقوم به من منجزات، كل ذلك مربوط الى بنية الكائن الحى، أى مربوط الى تكوين مادى كيميائى منظم محدد، تتحكم فيه تنظيمات معينة، وهو تكوين مادى نشاهده في صور مختلفة، تتغير ما بين الخلية الفردية الحية، وبين ما ارتقى من الأحياء إلى أسنى درجات الرقى.

ثانياً: ينبها كنوب الى أن إنجاز كل ظاهرة أو منجز من الظواهر أو المنجزات الحيوية، كائناً ما كان نوعها، يتطلب حدوث تفاعل كيميائى بذاته، تفاعل يحدث

(١) كيمياء علم الحياة، أو الكيمياء الحيوية.
(٢) كيمياء علم وظائف الأعضاء، أو الكيمياء الوظيفية.

أى ذلك التكوين المادى الكيميائى المنظم، ليس بتكوين استاتى (statisch)، حتى ولا أثناء فترات قصيرة، بل إنه لتكوين غير مستقر، تكوين لا يبقى على حال، كما يظهر لمن ينظر إليه، لأول وهلة. وما الخلية الحية، فى الحقيقة، إلا مجموعة من الأحداث الديناميكية (dyna-misches Geschehen) يعانها كل ما هو موجود فيها من مواد، سواء فى ذلك ما استخدمته الخلية الحية، منها، فى بناء أجزائها المختلفة، أو لتوليد الطاقة اللازمة لحياتها. ويتناول هذا التغيير كل أجزاء الخلية، التى يمكننا التعرف عليها تقريبا، تارة بالتحلل، أى بالهدم، وتارة أخرى بالبناء من جديد. أما السر العميق الذى يكمن وراء ما تصح تسميته بالتوازن الانسيابى (Fließgleichgewicht) للمادة، وهو محصلة الأحداث الفيزيائية الكيميائية، التى تحدث فى باطن الكائن الحى، هو بقاء أشكال الخلية وأجزائها، وكذا بقاء شكل كل كائن حى آخر، فى مجموعها، بدون تغيير يذكر، وذلك فى حين أن أجزاء كل منها تتبادل المواد فيما بينها، كما أن المواد تنساب فيها جميعا بمعدلات معلومة، وبصفة مستمرة، مما يجعل التمييز بين مواد بناء الكائن الحى، وبين مواد تسيير عملياته الحيوية، أمراً غير ذى موضوع.

ولقد عرفت هذه الحقائق منذ ان أصبحت دراسة التحول الغذائى، فى الخلايا، وفى أعضاء الأحياء، عموماً، فى حيز الأماكن، وقد كان ذلك باستخدام مركبات عضوية معينة مميزة بعلامة، وهى وجود ذرات من نظائر الأيدروجين أو الكربون أو الآزوت أو الفوسفور فى تكوين هذه المركبات العضوية. وقد تكون هذه المركبات المميزة بهذه العلامة، كربوهيدرات (Kohlenhydrate)، تدخل فى تكوين دهن ما، أو فى تكوين أحد أحجار بناء الزلاليات، وكل هذه مركبات كيميائية عضوية، تدخل فى تركيب بنان (جمع بنية) الكائنات الحية، كما أنها تشترك أيضاً فى عمليات التحول الغذائى الحيوية. ويمكن التعرف على مكان وجود هذه المركبات، فى باطن أى كائن حى، بواسطة هذه العلامة المميزة، وذلك بدون أن تغير هذه العلامة من خواص تلك المركبات العضوية، عند تفاعلها كيميائياً، وبالتالى عند اشتراكها فى عمليات التحول الغذائى. فإذا ما تتبع الإنسان فى باطن أى كائن حى مركبا كيميائياً، مميزا بعلامة كهذه، فانه يصبح من اليسير معرفة خط سير هذا المركب، الى أى مكان أنتقل؟، وفى أى مكان دخل فى تكوين مادة بناء الكائن الحى؟، وكم من الزمن بقى فى هذا المكان أو ذاك؟، وعلى أية حالات

أصبح، أثناء طوافه، مشتركاً فى عمليات تبادل المواد وأنسياب كل منها بقدر معلوم؟ ولقد ظهر من نتائج تجارب كثيرة، من هذا النوع، ما سبقت الإشارة إليه، من أن كل التكوينات المادية الكيميائية المنظمة، أى من أن كل البنات الحية تعانى عمليات هدم وعمليات بناء، بصفة مستمرة. وىروقنا أن نضرب مثيل لهذه العمليات فيما يلى :

الاول: ينهدم نصف الزلاليات الموجودة فى دم الإنسان فى ظرف عشرة أيام، كما أنها تتكون، من جديد، خلال هذه المدة.

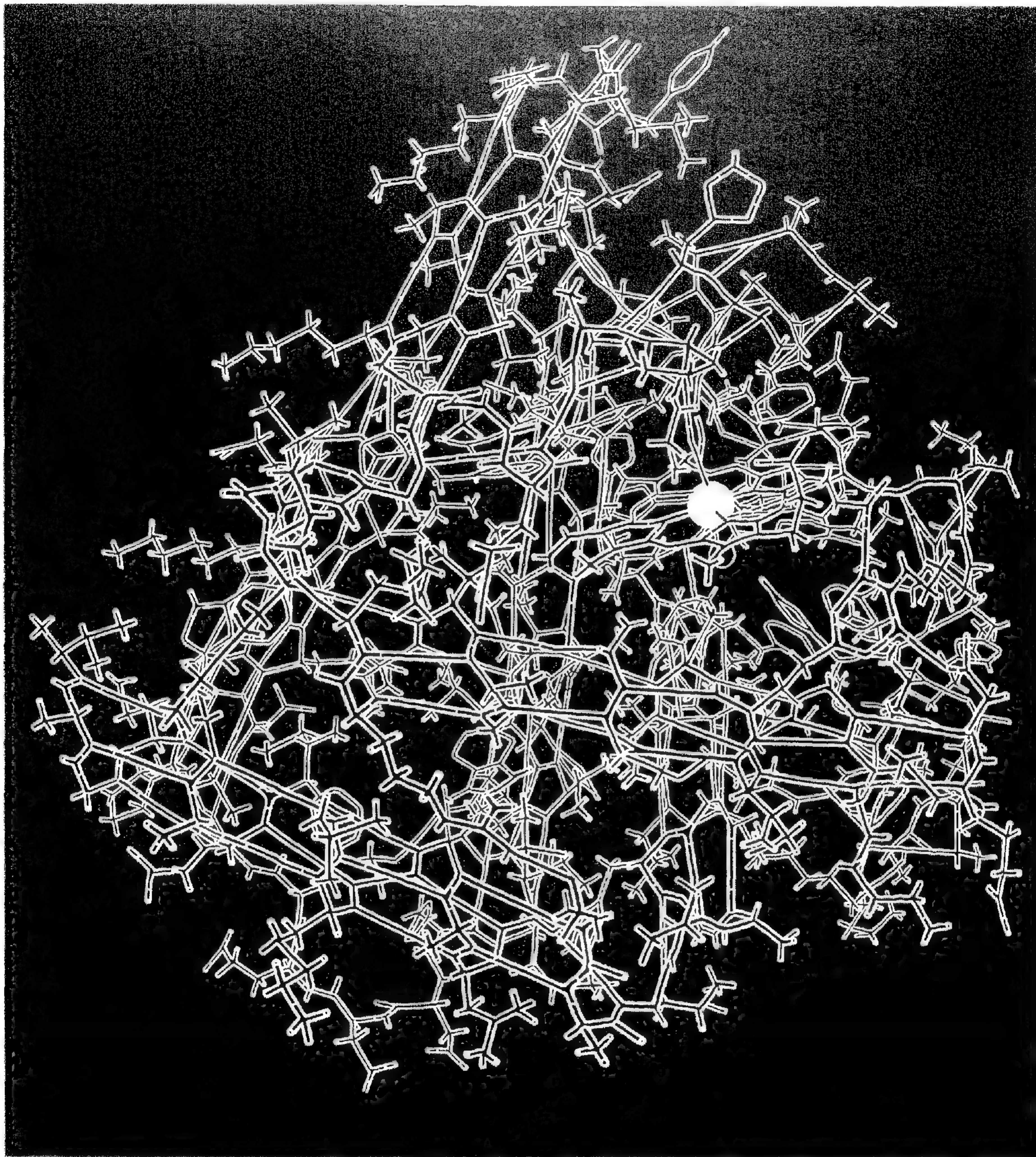
الثانى: تتناقص كمية الزلاليات الموجودة فى تكوين الإنسان المادى بأكملها، بما فى ذلك جميع العضلات، الى النصف بانهدامها، ويحدث هذا فى مدى ثمانين يوماً، وذلك مع تكوين نفس هذه الكمية، فى هذه الفترة ذاتها، من جديد. وتدخل فى هذه الكمية، التى يعثرها الهدم والبناء، زلاليات تلك الأعضاء، التى يظن من ينظر إليها، أنها أعضاء مستقرة، لا يعثرها تغيير أو تبديل، مثل العظام والأسنان.

ومجمل القول، أننا آكتسبنا من البحوث، التى لخصناها بعاليه، تصويراً جديداً للخلية الحية، وذلك نظراً لأنه يظهرها على أنها مجموعة من مواد فى تبادل مادى، أى فى تغير مستمر، كما أنه يظهر، فى نفس الوقت، أن الخلية الحية ما هى إلا تكوين مادى كيميائى منظم، تنساب المواد فيه بمعدلات معلومة. ولقد كانت الخلية الحية تعرف، فيما مضى، بأنها مجموعة من مواد مستقرة، من مواد ثابتة البنان، أى أنها كانت تصور على أنها بنية حية استاتية البناء، ويرجع ذلك إلى الاعتقاد فى أمرين، نلخصهما فيما يلى :

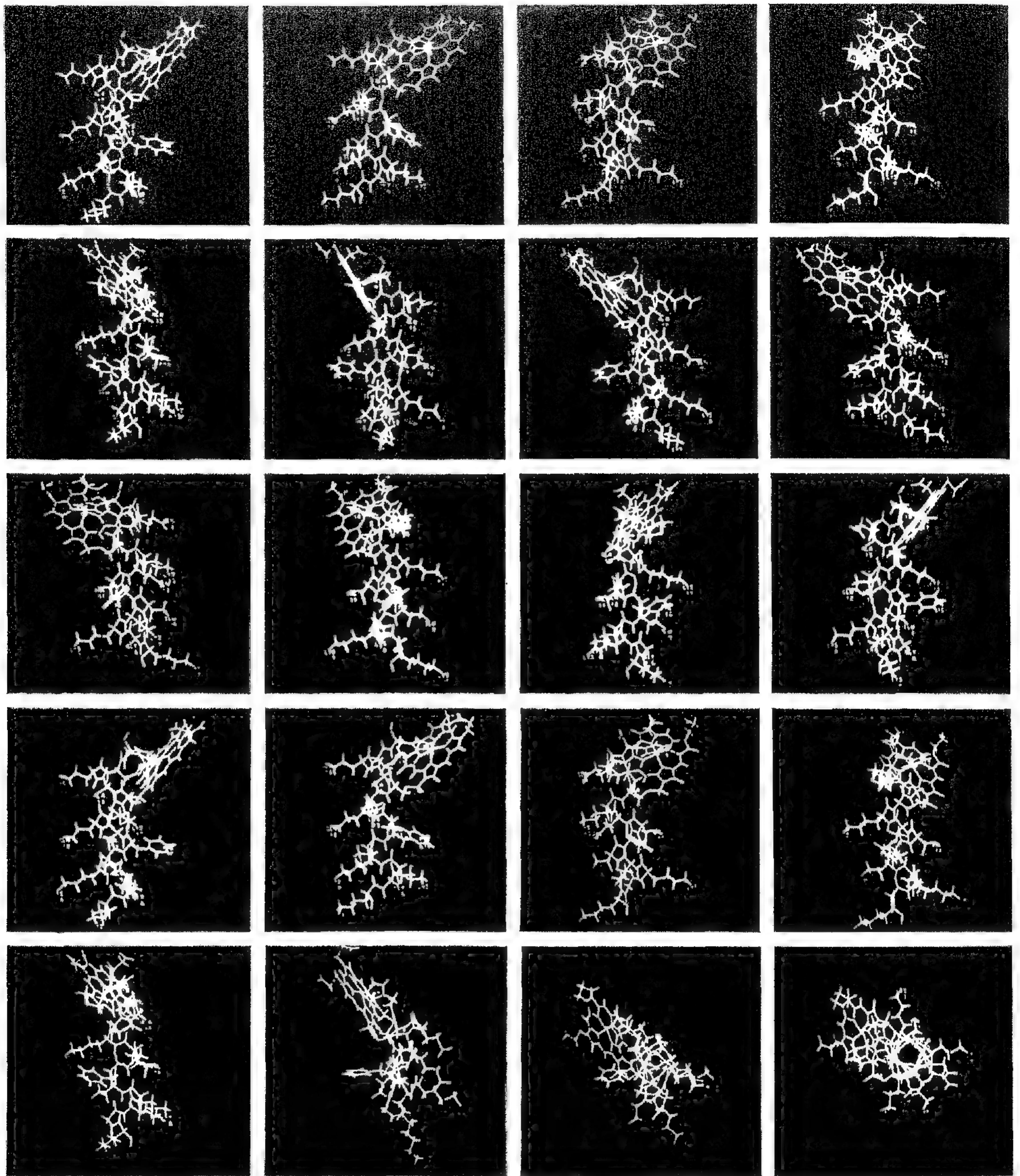
الاول: إذا ما وجدت بنية حية، بذاتها، فى صورة معينة وبتكوين معين، فأنها تبقى، طوال حياتها الفردية، بنفس التركيب المادى، وعلى نفس الصورة تقريباً.

الثانى: لا تتناول التبادلات المادية الكيميائية، التى تحدث فى باطن بنية استاتية كهذه، بالتغيير، سوى تلك المواد، التى تستمد منها الطاقة اللازمة لحياتها، وذلك دون المواد الأخرى، التى يحتوى عليها غذاء هذه البنية.

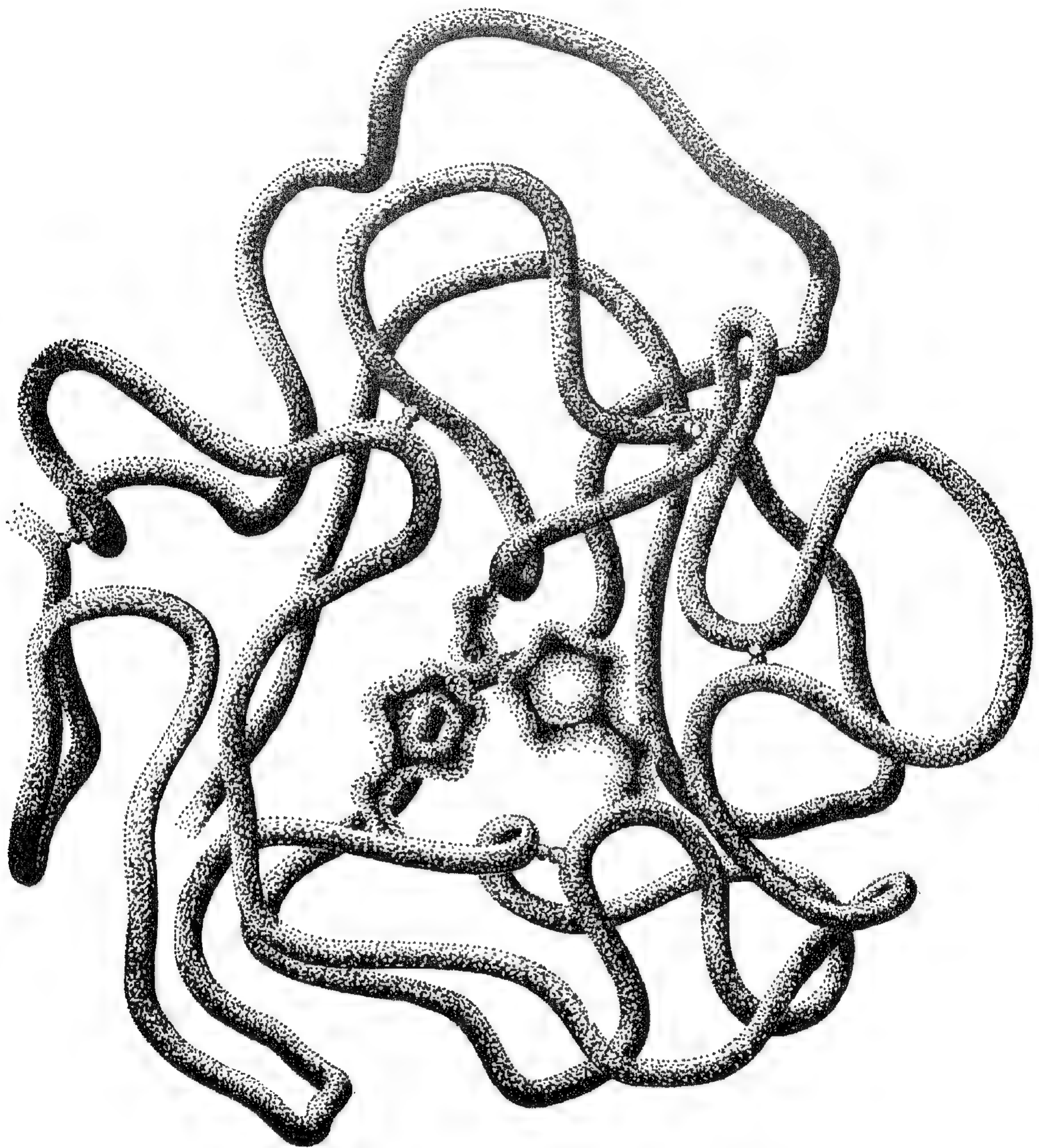
أما التصوير الجديد للخلية الحية، الذى يقوم على «التوازن الانسيابى» لموادها، فإنه يقطع بعدم وجود أى شىء



بنية هيموجلوتين الخوت



البنية الثلاثية الدورة tertiary لمادة السيٲوكروم Cytochrom الزلاية محسوبة بواسطة العقل الالكتروني ومعكوسة على شاشة عرض تبين مختلف أطوار دوراتها.



التكوين الثلاثي الدورة tertiär لذرة الزلال (Chymotrypsinogen) المكونة من ٢٤٦ وحدة من الأحماض الأمينية. وتصل سلسلة ذرات الزلال جسور من معدن الكبريت في خمسة مواضع.

أستأني فيها بالمرّة، كما أنه يبين أن تشبيه الكائن الحي بآلة ميكانيكية، هو تشبيه يجانب الصواب، حتى من الوجهة البدنية المادية، أي من حيث التكوين المادي للأعضاء في كلتا الحالتين.

رابعاً: أهمل تصوير الخلايا الحية كل بمفردها، وكذا تصوير غيرها من الأحياء، بأنها مجموعات من مواد في تغير وتبادل مادي مستمر، وعلى أنها تكوينات تنساب المواد فيها بمعدلات معينة، أهمل هذا التصوير، في الحل الأول، تلك العلاقة الوثيقة، التي تربط بين الكائنات الحية في مجموعها. أما «التحرك الكيميائي»، الذي ينادى «كنوب»، بأنه أبرز صفة تتصف بالحياة بها، فإنه لا يتضمن العمليات الكيميائية، التي تحدث في باطن كائن حي، إبان حياته الفردية فحسب، بل يبين بوضوح أيضاً، أن عمليات كهذه، ليست إلا مراحل جزئية، وأن شئت، ليست سوى حلقات ثانوية تدخل في دورات كيميائية رئيسية، تكون، في مجموعها، حدثاً كيميائياً هائلاً، أعظم شأنًا، وأعم من تلك المراحل، أو الحلقات الفردية. وتشمل الدورات الكيميائية الرئيسية كل الأحياء، بدون استثناء، كائناً ما كان نوعها، كما أنه ينشأ، في كل دورة منها، أفراد جدد دائماً، يمثلون حلقاتها، وذلك بالتناسل، فالتطور، فالنمو حتى الإدراك التناسلي، فالكهولة فالشيخوخة، ثم الموت فتحلل البدن في الأرض. وفي كل دورة من هذه الدورات الرئيسية، يتكرر تكوين مواد عضوية جديدة دائماً، من مواد غير عضوية. وإذا ما حدث أن تكونت مادة عضوية، بذاتها، على نحو ما أسلفنا، فأنها تنساب، بشتى الطرق، في عدد عديد من الأحياء، على التوالي. ثم أن هذا الانسياب يستمر، حتى تحترق هذه المادة نفسها، في وقت من الأوقات، أثناء عملية ما، من عمليات التحول الغذائي، وبذلك تتحول، مرة ثانية، إلى مادة غير عضوية، يلفظها أحد هذه الأحياء كعادم، أو كنتج من منتجات هذا الاحتراق. ولا تلبث هذه المادة العضوية، التي أصبحت بالاحتراق غير عضوية، أن تشترك، عوداً على بدء، في إحدى هذه الدورات الكيميائية.

ولابد من وعي تكامل كل هذه التحولات الكيميائية، مجتمعة، قبل أن يستطيع الإنسان أن يفهم، بالضبط، ما قصده «كنوب» بقوله :

إن أبرز صفة تتصف بالحياة بها، هي أنها استمرار في تحرك كيميائي، كان قد بدأ عند نشوء أول خلية حية، ثم استمر هذا التحرك، بدون توقف، عبر الاف

الستين، ولا يزال مستمرا في كل كائن حي، يعيش اليوم.

ونود أن نستخلص، فيما يلي، من مفهوم الحياة على هذه الصورة، بعض الأسئلة، التي يجدر توجيهها إلى علماء الكيمياء البيولوجية، عسى أن يتمكنوا من الإجابة عليها، ببحوثهم حول العمليات الكيميائية الحيوية :

الأول: ما هو جوهر هذا «التحرك الكيميائي»، الذي يقول «كنوب» بأنه أبرز صفة تتصف بالحياة بها، وتميز بها، عن الجماد؟

الثاني: ما عسى أن يكون نوع كل عملية، من كافة العمليات الكيميائية، التي ترتبط بالحياة في كل طور من أطوارها؟

الثالث: ما هو كنه بناء التكوينات العضوية وهدمها، أي كنه ما يتناول مواد بنائها من زيادة أو نقص أو تغير، بهذه الصورة المستمرة؟

الرابع: كيف تتولد الطاقة اللازمة لكل كائن حي، وكيف تستخدم هذه الطاقة في شتى المنجزات، والظواهر الحيوية؟

الخامس: ما هي الطريقة، التي كان هذا «التحرك الكيميائي» قد بدأ بها، عند نشوء أول جزيء حي، أو بعبارة أخرى، كيف كانت بداية الحياة الأولى؟

السادس: بأي الوسائل، وعلى أية صور استمر هذا «التحرك الكيميائي»، وتطور، إلى أن أصبح في حالته الراهنة؟

السابع: ما هي العوامل، التي تحكم في هذا الاستمرار وفي تطوراته المختلفة، وما هو هدفه المحتمل، بعد كل ما كان؟

وانا لنعتقد، أن الإجابة على أسئلة كهذه، قد تساعد، إلى حد كبير، على فهم بعض أسرار الحياة، ومع ذلك، فإننا نسلم، مقدماً، بأننا لن نظفر، بهذه الوسيلة، إلا بفهم قطاع واحد فقط من حقيقة الحياة، وبأننا لن نصل، بإجابتها، إلى الحقيقة بأكملها. ويمكن عجزنا هذا في اختيار أسلوب البحث نفسه، وهو عجز يكمن في أي أسلوب آخر، مهما تنوعت أساليب البحث، التي نطرقها، سعياً وراء حقيقة الحياة كاملة.

فباستخدام أساليب البحث الكيميائية، مثلاً، للأجابة على سؤال ما، له بالحياة صلة، يجب أن لا نتوقع، سوى أجابة محصورة، في نطاق الظواهر الكيميائية فحسب.

وإذا ما عرفت الحياة بأنها «تتحرك كيميائياً»، فإن نظرتنا إلى الحياة تتجرد، بهذا التعريف نفسه، على التو، من أى مفهوم آخر، تعالجه العلوم الطبيعية. زد على ذلك، أنه لا يدخل فى هذا التصوير، بطبيعة الحال، كل ما هو مرتبط بالحياة الفردية من قيم تتعلق بشخصيات الأفراد المختلفة. وأذا ما شئنا فهم حقيقة الحياة كاملة، وأردنا، علاوة على ذلك، تفسير كل ظواهرها ومنجزاتها، فلن يتبقى لنا سوى طريق واحد، ألا وهو تكامل نتائج جميع ما يمكن إجراؤه من بحوث بشتى الأساليب العلمية، والآدبية، والروحية، وتجميع أكبر عدد من هذه النتائج، لكيما تكون، فى مجموعها، حقيقة الحياة الكاملة، التى نبحث عنها. وجدير بالذكر، أن كل أسلوب من هذه الأساليب المختلفة يعطينا، بذلك، نصيبه من حقيقة الحياة الكاملة، كما أنه لا غنى عن أى أسلوب منها، بل يجب أن ندأب على البحث بكل هذه الأساليب، جنباً إلى جنب، دائماً، فى طريق البحث عن هذه الحقيقة الكاملة المنشودة.

ويروقتنا أن نعالج، فيما يلى، سوألا بذاته، من بين مالا حصر له من الأسئلة، التى تعترض الذين يبحثون بأسلوب الكيمياء الحيوية وحدها، بله الأساليب الأخرى، ونعنى بذلك السؤال التالى :

ما هو مبلغنا من العلم، حتى اليوم، عن كيفية انطلاق هذا «التحرك الكيميائى»، أو بعبارة أخرى، عن كيفية «بداية الحياة الأولى»، وذلك على ضوء أحدث ما توصلت إليه الكيمياء الحيوية من معلومات ؟

يتبين من الدراسات والبحوث التى أجريت على انحلال المواد ذات الفاعلية الأشعاعية، أن عمر الكرة الأرضية، بتكوينها الحالى، يبلغ بضع مليارات من السنين، وهو تقدير تعززه أدلة كثيرة، تكاد تقطع بصحته. ولما كان تكوين العناصر الكيميائية يتطلب وجود درجات حرارة تبلغ بضعة بلايين من الدرجات المئوية، يصبح من المؤكد، أن الحياة لم تكن موجودة على سطح الأرض إبان تكوين هذه العناصر، وذلك نظراً لأن درجة حرارة سطح الأرض كانت تصل قطعاً، فى ذلك الوقت، إلى هذا القدر المرتفع، أى إلى بلايين الدرجات المئوية. ومن جهة أخرى، يقدر عمر الحياة على كوكبنا ببضع مئات الملايين من السنين، وبذا يمكن، على أساس ما تقدم، تقدير طول العصور الزمنية، التى تطلبها استكمال العوامل التى مهدت لنشوء الحياة، بمدة طولها عشرة أمثال ما عمرته الحياة على كوكبنا، تقريباً.

هذا، ولابد من أن مواداً كيميائية عضوية، كانت قد تكونت من أخرى غير عضوية، فى أوائل عصر بداية الحياة الأولى، إذ أنه لا يمكن أن تكون التكوينات المادية الكيميائية المنظمة، التى تدخل فى بنية كل كائن حى، قد نشأت على سطح الأرض، إلا بعد أن كانت هذه المواد الكيميائية العضوية قد توافرت بالفعل على هذا السطح. ويقودنا هذا الوضع إلى التساؤل عن الطريقة، التى كانت هذه المواد الكيميائية العضوية قد تكونت بها، من مواد غير عضوية، قبل أن تنشأ الحياة على سطح الأرض، أى بدون أن توجد كائنات حية عليه، وذلك نظراً لأن وجود هذه الكائنات ضرورى لهذا التكوين. وينصب تساؤلنا، بصفة خاصة على مجموعتين معينتين من المواد العضوية، تتميز الكائنات الحية بهما عن الجهاد، ونعنى بذلك، مجموعة البروتينات (Proteine)، أى مجموعة المواد الزلالية، وكذا مجموعة الأحماض النووية (Nukleinsäuren)، أى مواد النواة. أما ما يحدو بنا إلى هذا التساؤل، فهو أن تكوين مواد عضوية، على سطح الأرض، فى حالته الراهنة، ينعدم، إذا ما أنعدمت الحياة على هذا السطح. ويرجع ذلك إلى أن المواد الكيميائية العضوية ليست بمواد مستقرة، عند وجود الأكسجين فى الجو المحيط بها، فهى لا تبقى على حالها، عند ذلك، بل تتحلل فى الماء، وفى حامض الكربونيك، وفى النوشادر. ولما كان التوازن الحرارى الديناميكى (das thermodynamische Gleichgewicht) يميل بشدة إلى ناحية التحلل فإن تكوين مواد عضوية على كوكبنا، بأوضاعه الحالية، من مواد غير عضوية رهين، بمساهمة الكائنات الحية، التى تعيش على سطحه، فى هذا التكوين. لما تقدم يمكن أن نلخص تساؤلنا، فى هذا الصدد، فى السؤال التالى :

ما هى الظروف، التى كانت قد وجدت على سطح الأرض، أثناء عصورها الماضية، لكىما يتسنى للمواد العضوية أن تتكون من مواد غير عضوية، بدون أن تساهم الأحياء فى هذا التكوين، أى قبل أن وجدت الكائنات الحية على هذا السطح ؟

نعلم من علم التركيب الكيميائى لقشرة الأرض (Geo-chemie)، أن جو الكرة الأرضية البدائى كان خالياً من الأكسجين، وأنه كان خليطاً من مركبات أيدروكربونية، بسيطة التركيب، ومن النوشادر، ومن بخار الماء، ومن الأيدروجين. ولقد تمكن ستانلى ملر

(Stanley Miller) (٣)، بتجربته العملية، من أن يثبت، أن تكوين مواد عضوية، على سطح الأرض، في ظروف مماثلة لظروف الكرة الأرضية البدائية، أمر من الجائز أن يكون قد حدث، في يوم من الأيام، وذلك بدون أن تساهم أية كائنات حية، في تكوين هذه المواد العضوية. ومما يلفت النظر في تجربة ملر، بصفة خاصة، هو أن أنواع المركبات الكيميائية العضوية، التي تكونت في جهاز ملر، هي نفس أنواع المركبات الكيميائية العضوية، التي تستخدمها جميع الكائنات الحية، التي تعيش اليوم، في بناء بنائها الزلالية.

على أنه يجب أن نلاحظ أن المركبات الكيميائية العضوية، التي كانت قد تكونت في جو الكرة الأرضية البدائي، كانت ذات طاقة أكبر من طاقة ما يحيط بها من مواد، ولذا فإن تحليلها ببطيء، مرة ثانية، أمر مسلم به، غير أنه من الجائز أن تكون هذه المركبات قد وصلت إلى تربة الأرض مع أمطار العواصف العذرية، كما أنه من الجائز أيضا، أن سرعة تكاثرها كانت أكبر من سرعة تحليلها، على سطح الأرض.

ومع التسليم بأن البون شاسع بين تكوين أحماض أمينية بدائية وبين تكوين جزيء زلاي، وبأن البون بين تكوين هذا الجزيء وبين التنظيمات، التي تتحكم في جزيء حي، أعظم شأننا من هذا البون الشاسع، إلا أننا قد توصلنا بتجربة ملر العملية إلى إجابة حاسمة على سؤال، في غاية الأهمية، ألا وهو: «ما هو نوع المركبات العضوية، التي كان تكوينها، فيما مضى، على سطح الأرض، ممكنا بدون مساهمة الأحياء في هذا التكوين، تلك المركبات التي اشتركت في الدورات الكيميائية، التي كانت قد حدثت متعاقبة، في عصور تاريخ كوكبنا المختلفة؟» وليس شك في أننا قد تقدمنا، بهذه الأجوبة الحاسمة، خطوة إلى الأمام، لا يمكن إغفالها.

ولقد فتحت البحوث، التي أجريت على الفيروسات، (Virusforschung) منبعاً جديداً، يحاول العلماء الحصول منه على المزيد من المعلومات، عن الخطوات، التي كانت قد سبقت تكوين الخلية الحية، في صورتها الحالية، أي عن كائنات تقل في تطورها، عن هذه الخلية، يمكن أن تعتبر حلقات بدائية، أو بنان كانت الخلية الحية قد اتخذتها، أي تشكلت بها، على مر الزمن، إبان تطورها. وأبرز سؤال من بين الأسئلة، التي تعالجها هذه البحوث، هو السؤال التالي :

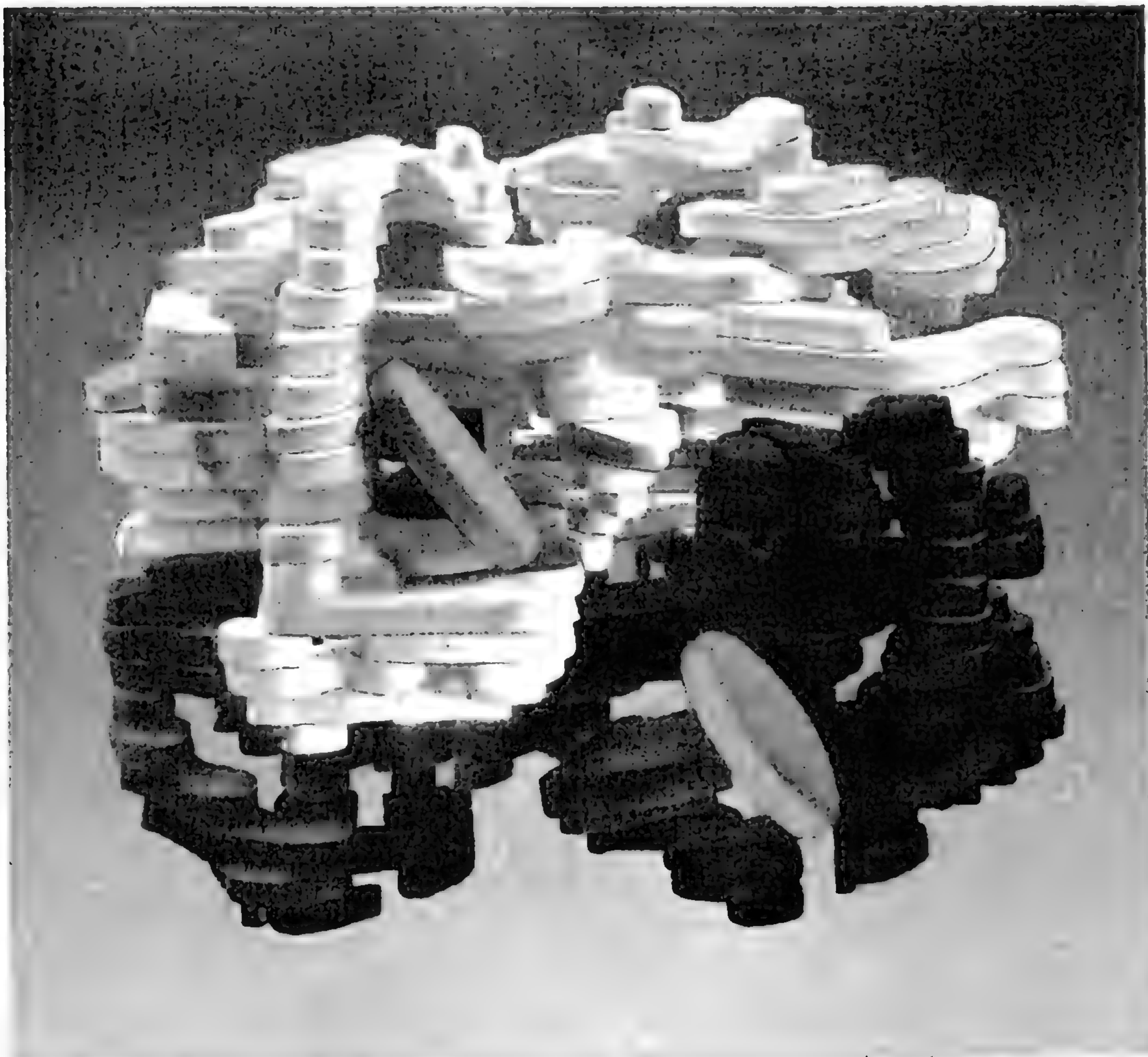
(٣) أنظر وصف هذه التجربة في مقال «كورت فاخهلدر»، المنشور هنا.

هل يصح القول بأن الخلية الحية، هي البنية البدائية، أي أنها أبسط البنات الحية، وأن تكوينها، هو أبسط تكوين مادي منظم، لا يزال على قيد الحياة حتى اليوم؟ أم أننا نعرف، في ظروف كوكبنا الحاضرة، كائنات، أبسط تكويناً من الخلية الحية، في أبسط صورة لها، أي نعرف كائنات يمكن أن تعتبر حلقات بدائية، أو بنان كانت هذه الخلية، قد اتخذتها، أي تشكلت بها، على مر الزمن، إبان تطورها؟

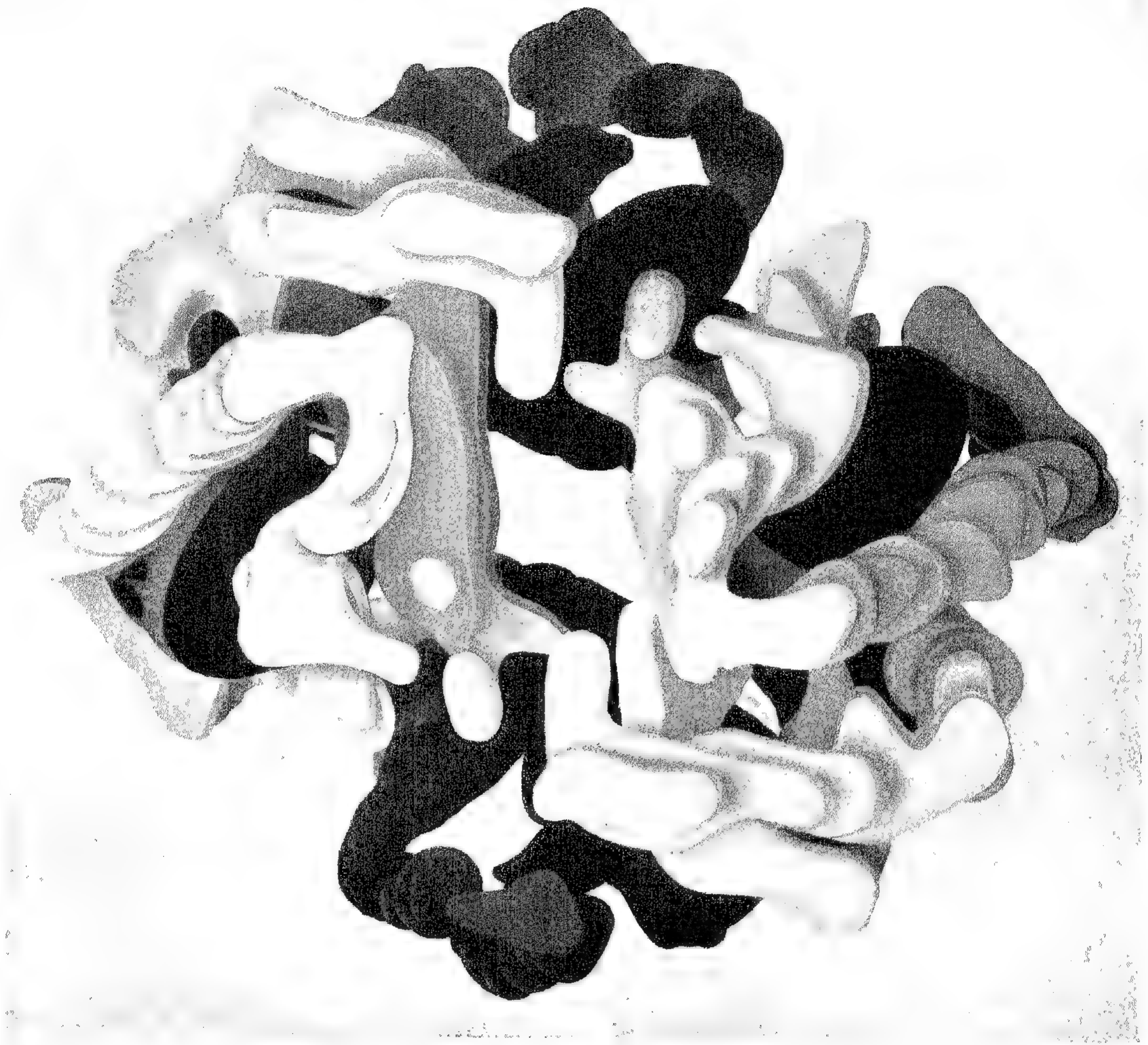
ولقد كان توجيه هذا السؤال، هو النتيجة الحتمية، لازدياد ما نعلمه، عن جوهر أنواع الفيروسات المختلفة، وعن خواصها وعن منجزاتها.

ومن المعلوم أن الفيروسات تثير الأمراض في الإنسان، وفي الحيوان، وفي النبات، وأن حجمها يصغر، في معظم الأحيان، عن حجم البكتيريا، بقدر كبير، أي أنها أصغر حجماً من أصغر الكائنات الحية، التي نقطع بأن بنيتها مطابقة لبنية الخلية الحية. ولا تتكاثر الفيروسات، إلا إذا اقتحمت خلية حية، كما أنه يمكن إعتبار أحجامها، قنطرة تصل ما بين حجم أكبر الجزيئات الزلالية، وحجم أصغر خلية حية. فهل تحدثت الخلية الحية، نسباً من الفيروسات؟، أي هل كانت أنواع الفيروسات المختلفة، هي البنات أو التكوينات التي كانت الخلية الحية قد اتخذتها، أي تشكلت بها، على مر الزمن، إبان تطورها، من زلايات، لا حياة فيها، إلى أن أصبحت بنية حية؟

ولقد استتبنت وريبت أنواع عديدة من الفيروسات، خلال العشرين سنة الماضية، كما أن تركيباتها المادية وخواصها قد درست بالتفصيل، فتبين، بمقارنة نتائج هذه البحوث بعضها ببعض، أن تركيبات الفيروسات المادية، وبنائها، تكون ما يشبه سلسلة متصلة الحلقات من الكائنات، منها ما هو بسيط البنية، ومنها ما هو أعقد، ومنها ما هو أشد تعقيداً، أي أن بنية الفيروسات المختلفة تتدرج في التعقيد، تدرجاً منتظماً، من أحد طرفي هذه السلسلة، إلى الطرف الآخر. وأبسط الفيروسات بنية، هي تلك التي تثير الأمراض في النبات، وهي من النوع الذي يسمى بالفيروسات الفيتوباتوجينية (phytopathogen)، وهي من الفيروسات، التي تمكن بدورها، أي أنها قد تصبح كالبلازات شكلاً، كما أنه قد ظهر من تحليلها كيميائياً، أن جزيئاتها ذات تركيب كيميائي موحد، يتكون من الزلايات، ومن الأحماض النووية، وهما أهم المواد التي تدخل في تركيب الخلايا الحية أيضاً، أي أن تركيب الفيروسات، مثل تركيب الجزيئات التي



نموذج حجم طيموجلوين الحصان.



صورة من أعلى ليموجلوين الحصان كما يعرضه نموذج مجسم.

الصور على ص ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٣٠، و ٣١ مأخوذة من كتاب:

Herbert W. Franke: Sinnbild der Chemie. Basilius-Pressc, Basel 1966.

تسمى نيوكليوبروتينيدات (Nukleoproteide)، وهى بروتينات، كبيرة الجزيئات، مقرها نواة الخلية. وقد يكون أبسطها تكويناً، على هيئة كرة، أو فى صورة عيدان صغيرة، أو فى شكل خيوط رفيعة.

أما الفيروسات أليأتوجينية، التى تثير الأمراض فى الحيوان، وفى الإنسان، فهى أشد تعقيداً فى تكوينها، من فيروسات النبات، ولم يحدث، أن حصل أحد عليها متبلورة أبداً. هذا، ومن الجائز، أن تحتوى فيروسات الحيوان والإنسان، علاوة على الزلايات وعلى الأحماض النووية، على مواد شبيهة بالدهن، لبيدات (Lipide)، وعلى السكر، أى الكربوهيدرات (Kohlenhydrate)، أى أن بنية هذه الفيروسات قد تتركب من كل هذه المواد. ولل كثير من هذه الفيروسات أليأتوجينية منجزات شبيهة بمنجزات الأنزيمات، تسهل عليها اقتحام الخلية الحية.

ويشتد تعقيد بنية الفيروس وشكله، كلما ازدادت منجزاته، وبيان ذلك أن الفيروسات المتخصصة فى مهاجمة البكتيريا مثلاً، وهو ذلك النوع المسمى بكتيريوفاجات (Bakteriophagen)، أى أكلة البكتيريا، ينقسم شكلاً الى جزئين، رأس وذنب، كما أن أكبر الفيروسات حجماً، وهو ذلك النوع، الذى يثير مرض الجدرى، يذكر الإنسان فى أشكاله المختلفة، بأشكال الخلايا الحية.

ومع كل ذلك، فإن أشد الفيروسات تعقيداً، لم ترتق فى تطورها، الى ذلك القدر، الذى وصلت الخلايا الحية اليه بالفعل، بل إن هذه الفيروسات لتكوينات تقل تعقيداً عن الخلايا الحية، بقدر كبير. غير أنه مما يلفت النظر، أنه بمقارنة أشكال الفيروسات المختلفة، التى استنبتت وريبت، حتى اليوم، وكذا بمقارنة تركيباتها الكيميائية، تبدو أنواع هذه الفيروسات مجتمعة، وكأن بنائها تتدرج الى ما يشبه الاستكمال فى تكويناتها، وذلك بحيث تمثل هذه البنات أو هذه التكوينات، مع بعضها البعض، انتقالاً تدريجياً زلقاً، يصل ما بين تكوين جزئى زلالى، وبين تكوين، يكاد يقرب من بنية الخلية الحية. وبدا تبدى هذه المقارنة صورة، تظهر لنا وكأنها نوع من التطور المباشر، من تكوين، أو بنية لا حياة فيها، الى تكوين البنية الحية.

فهل تكفى هذه الحقائق، التى سبق ذكرها، لكما نقطع بأن الخلية الحية قد تحدرت نسباً من الفيروسات؟ وبعبارة أخرى، هل كانت أنواع الفيروسات المختلفة هى البنات أو التكوينات، التى كانت الخلية الحية قد اتخذتها، أى تشكلت بها، على مر الزمن، إبان تطورها؟

ومع كل ما قد يبدو من دوافع تعزز إجابة هذا السؤال بالإيجاب، إلا أنه يجب الاحتراس من التدهور فى استنتاج خاطئ، إذ يجب علينا أن نتذكر، دائماً أن كل خواص الفيروسات ومنجزاتها، التى تترشحها الى ناحية الأحياء، لا تظهر، إلا عندما تقتحم الفيروسات الخلايا الحية السليمة. ولعل أظهر خاصية تتميز الفيروسات بها، فى هذا الصدد، هى عدم مقدرتها على التكاثر وحدها، إذ أن تكاثرها لا يتم الا فى باطن خلية حية. وبيان ذلك أنه لكما تتمكن الفيروسات من التكاثر، وهو لازم لحفظ النوع، أو تتمكن من التصنيف، أى من تغيير سلالتها، أو تتمكن من القدرة على الطفرة (Mutabilität)، أى من القدرة على تغيير المعلومات الوراثية فجأة، أو ببسيط العبارة من القدرة على اكتساب صفات وخواص حيوية جديدة، وكذا من القدرة على توريث هذه الصفات والخواص للخلف، وكل هذه من خواص الأحياء ومنجزاتها، لابد من فاعلية تأثيرات معينة، تتبادلها الفيروسات مع ما فى باطن الخلية الحية من مواد. وعلاوة على ذلك، فإن الفيروسات لا تولد ما يلزمها، لكل ذلك، من طاقة، بل هى تستمدّها من تلك الطاقة، التى تولدها الخلية لنفسها، من عمليات التحول الغذائى، التى تحدث فى باطنها. ونظراً الى ما قدمناه من أسباب قاهرة، لا يجوز أن ننظر الى الفيروسات، على أنها بنات أو تكوينات كانت الخلية الحية قد اتخذتها أى تشكلت بها، على مر الزمن، إبان تطورها، أو بعبارة مبسطة، لا يجوز القول بأن الخلية الحية قد تحدرت نسباً من الفيروسات مباشرة، إذ كيف تمكنت هذه الفيروسات، إذن، من التكاثر قبل أن توجد الخلية الحية؟ والرأى السائد، اليوم، هو أنه من المحتمل أن تكون الفيروسات أحياء كانت قد تطورت تطوراً عكسياً، أى أنها كانت أحياء ثم انحطت، بعد ذلك، ففقدت الفيروسات، بذلك، بعض خواص الأحياء، ومنجزاتها، وتترشحت، تبعاً لذلك، من عالم الأحياء، الى ناحية الطفيليات.

وعلى أساس ما تقدم، يتطرق الشك، لأول وهلة، فى قيمة الأبحاث، التى أجريت على الفيروسات، بقصد الكشف عن ذلك المنبع، الذى كانت الحياة قد بدأت منه. ومع ذلك، فلتنتائج هذه البحوث أهمية كبرى، عند دراسة معضلة بداية الحياة الأولى، فما الفيروسات، فى الحقيقة، سوى نماذج لتلك التكوينات، أو البنات، التى كانت قد سبقت البنية الحية فى التكوين.

ونقصد، بما أسلفنا، الإشارة الى تلك التكوينات، أو البنات،

التي لا تقوى على التكاثر، كما أنها لا تقوى على الطفرة،
أى على تغيير المعلومات الوراثية، التي تتحكم فى النوع،
إلا عندما تستمد الطاقة، التي تلزمها لكل ذلك، وإلا
عندما تستمد مواد بنائها، مما يحيط بها، كما هو الحال عند
وجود هذه التكوينات، أو البنات، فى باطن الخلية الحية.
وذلك الذى قدمناه، هو رأى فردريك - فركسا
(Friedrich-Freksa)، ولقد زاد هذا العالم على ذلك
فقال ما معناه :

«ليست هى باحياء تلك التكوينات أو البنات، التي
لا تكتسب القدرة على التكاثر، وعلى الطفرة، أى على
تغيير المعلومات الوراثية، التي تتحكم فى النوع، الا عندما
تستمد الطاقة التي تلزمها لكل ذلك، وإلا عندما
تستمد مواد بنائها، مما يحيط بها».

ولذا، فلا يعتبر الكائن كائنا حيا، إلا إذا ما اجتمعت
لتكوينه، أو لبنيته قدرتين، القدرة على توليد الطاقة،
وحده، مع قدرته على التوارث. ولا زالت كيفية أجمع
بين هاتين القدرتين سرا مغلقا علينا، لا تنفذ بصيرتنا
فى أية ناحية من نواحيه، غير أننا نحس بتلك الجهة،
التي يجب علينا توجيه بحثنا، فى هذا الصدد، نحوها.
أما عن تحسس طريقنا للوصول الى ذلك الذى نحس به،
فأنه يتلخص فى تحليل بنات الفيروسات المختلفة كيميائيا،
وكذا فى الكشف عن طريقة تكاثرها بفاعلية ما تتبادله
من تأثيرات، مع خلية حية. هذا هو ما نعتقد بأنه أصلح
طريق للكشف عن أدنى حد للظروف والشروط، التي
يجب أن تتوافر فى أى كائن، لكىما يصح أن نعتبره
كائنا حيا.
تعريب: محمد عبده ابراهيم



ورقة من تاريخ الاستشراق في ألمانيا

جيورج ياكوب (١٨٦٢-١٩٣٧)
بقلم انا ماري شميل

الذين اشتغلوا، على ما قال، «بوضع اللغات السامية في عصر الجليل». أما بالنسبة له فكانت تصح هذه الحقيقة: «إن مقياس علم خليق بالحياة يتوقف دوماً على مدى ما يقدمه هذا العلم بطريق غير مباشر من فائدة للمجال العملي أيضاً» - كما كتب عام ١٩١٧.

ولد ياكوب في السادس والعشرين من مايو عام ١٨٦٢ في مدينة كينكزبيرغ Königsberg، وفقد والده في سن مبكرة. والغالب أنه ظل يعيش فيما بعد مع أمه وأخواته دون أن يفكر في الزواج. وبدأ ككثير من معاصريه بدراسة علم اللاهوت والاستشراق؛ ثم ما لبث أن اتجه بصورة أقوى لدراسة علوم اللغات الألمانية وعلم أخلاق الشعوب بدلا من اللاهوت. وكان تيودور نولدكه استاذة في ستراسبورغ؛ وعلى يدي هاينريش ليبشت فلايشر، العالم النحوى الكبير، تعمق في دراسة النحو العربى. ثم نال الدكتوراه تحت إشرافه عام ١٨٨٧ ببحث رسم معالم اهتماماته المستقبلية وهو: «تجارة العرب الشمالية البلطيقية». وكان قبل ذلك بعام واحد قد نشر مقالة عن السلع التجارية التي كان يشتريها العرب من البلاد الشمالية البلطيقية، وذكر في ذلك بوجه خاص حجر الكهرباء الذى كان ذا قيمة كبيرة بالنسبة للعرب. ثم اهتم بدراسة العلاقات بين البلاد العربية وألمانيا في صيغ دائمة التجدد؛ ومن أخصب أعماله المقالات التى نشرها حول «رواية عربى عن فولدا وشليزفيج وزوست وبادربورن ومدن ألمانية أخرى»، التى نشرت لأول مرة عام ١٨٩٠، ثم وسعت وزيد عليها وأعيد طبعها عدة مرات حتى عام ١٩٢٧، وما زالت حتى اليوم عظيمة الأهمية لدراسة الاوضاع الألمانية في العصر الوسيط.

ومن بين هذه الدراسات الشرقية - الغربية أيضاً محاضراته

توفى المستشرق الكبير جيورج ياكوب حينما بدأت أتعلم العربية، ومع ذلك كانت تربطنى به أكثر من علاقة روحية: فعلى يديه نال أستاذى الأول فى اللغات الإسلامية، هانس إيلنبرج Hans Ellenberg، درجة الدكتوراه برسالة أعدها عن الفنون والصناعات عند القزوينى؛ وعلى يديه أيضاً نال أستاذى الذى حضرت عليه الدكتوراه، ريشارد هارتمان Richard Hartmann، درجة الأهلية للتدريس فى رحاب الجامعة. ومن هنا أستطيع لنفسى أن أدون نبذة عن حياة وأعمال هذا المستشرق العالم الذى كان له الفضل الأكبر فى شق آفاق جديدة كل الجدة على مناهج الدراسات الشرقية فى ألمانيا حتى مطلع القرن. وإنى لأستند فى هذا المقال على دراسة نشرها «إنوليتمان» فى دورية جماعة المستشرقين الألمان بمناسبة ذكرى وفاة صديقه ورفيق علمه.

وحتى نتفهم موقف ياكوب لا بد أن نعلم أن الثقافة الاغريقية والرومانية كانت لا تزال المعيار الحضارى الوحيد المعترف به فى ألمانيا حتى أوائل هذا القرن، وكأن ماعداه لا يستحق العناية!

كما كان يوجد بين المستشرقين تيار لا يهتم إلا بالأبحاث والدراسات اللغوية البحتة، دون التفكير بالانجازات الحضارية للإسلام (وكما كان يقال «فقد كانت عائشة بالنسبة لهم لا تتعدى كونها اسم فاعل مؤنث من الفعل الثلاثى عاش») وكان علماء اللغات السامية يحاولون أكثر فأكثر سبر أغوار طبقات تاريخ اللغات السامية. وتصدى ياكوب لهذين الاتجاهين بكل ما لديه من طاقة؛ لا بل إنه مضى فى مقاومته إلى حد نشر مقالة له بعنوان «التعصب للكلاسيكية على نهج حفارى قبور الثقافة الألمانية»، ولم يتورع عن استخدام أقسى العبارات ضد بعض زملائه

حول «العناصر الثقافية الشرقية في الغرب» عام ١٩٠٢، وكذلك كتابه الذى صدر بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة، والذى يرجع ويشار إليه أكثر من جميع مؤلفاته الأخرى وهو: «تأثير الشرق على الغرب، وخاصة خلال العصر الوسيط». وعلى هذا الكتاب تستند في كثير أو قليل جميع الابحاث والمؤلفات التالية التى تعالج موضوع تأثيرات الشرق الحضارية على الغرب.

وبعد أن حصل ياكوب على درجة الدكتوراه في لايزرغ، راح يعمل فترة من الزمن في مكتبة الدولة في برلين، ثم قدم بحث درجة الكفاءة للتدريس في السلك الجامعي في كرايفزفالد تحت إشراف ألفارد، مؤلف الفهارس الكبيرة الخاصة بالخطوط العربية في برلين والعالم الضليع الممتاز بالشعر العربي القديم وتاريخ العهود الإسلامية الأولى. وقد يكون من المحتمل أنه اتجه بتأثير من ألفارد إلى دراسة الشعر العربي القديم؛ وتلا بحثه «دراسات للشعراء العرب» عام ١٨٩٣ مؤلف يعتبر أساسياً في ميدانه وهو «الحياة البدوية في ضوء الشعر الجاهلي». ويقدم هذا العمل الذى وسع وغير وزيد عليه عدة مرات لوناً جديداً تماماً في الاستشراق الألماني (ولذا فقد قام عدد من زملائه بتقريضه ونقده بتجريح لا رحمة فيه) إذ حاول ياكوب في هذا البحث لأول مرة أن يستخرج من الشعر الجاهلي معلومات عن طريقة حياة البدو ومعيشتهم. فبالنسبة له، لم يكن الشعر الجاهلي كنزاً للكلمات النادرة والأشكال النحوية الغريبة، وإنما مرآة تنعكس فيها طريقة حياة حلقة حضارية قد تبدو لأول وهلة شديدة الغرابة بالنسبة لنا. وبطريقة مشابهة قام عام ١٩٠٦ بوصف خمار فارسية مع كل ملحقاتها في العصر الوسيط كما تبدو من خلال أشعار حافظ الغزلية. وحتى إذا أكد اليوم بشكل أقوى على الطابع الثابت الرتيب للشعر الجاهلي بحيث لا يعتبر انعكاساً للواقع بالقدر الذى فعله ياكوب، فإن مما لا شك فيه أنه من خلال الوصف والتعابير التى يزخر بها الشعر الجاهلي - كوصف مواعد النيران، والخيام وتوابعها وأثاثها، وأحمال قوافل الجمال - يمكن اكتساب عدة تفاصيل قيمة، ذات أهمية قصوى بالنسبة لعلم أخلاق الشعوب. وبعد كتاب «حياة البدو في الجاهلية» عام ١٨٩٧، تلت في فترة متأخرة دراسات عن الشنفرى الذى حاول ياكوب أن يقلد لاميته بالشعر الألماني - ولكنه بطبيعة الحال لم يلق النجاح الذى حققه روكرت من قبله. ومع ذلك فكثيراً ما كان ياكوب يهتم بنظم قصائد يقلد فيها الشعر الشرقى، سواء كان عربياً أم فارسياً أم تركياً.

ومن كرايفزفالد اتبحت لياكوب الفرصة للسفر إلى تركيا، حيث استيقظ اهتمامه بالتركية، وكتب لهذا الاهتمام أن يعطى ثماراً خصبة فيما بعد. وفي عام ١٨٩٦ ذهب كمدرس جامعي إلى هاله Halle وأصبح هناك في الوقت نفسه أميناً لمكتبة جمعية المستشرقين الألمانية. وفي عام ١٩٠١ استدعى ليحتل كرسيًا جامعيًا في إيرلانجن، ثم انتقل عام ١٩١١ إلى كيل حيث بقى يعمل فيها حتى وفاته.

وفي استانبول اتبحت لياكوب فرصة مشاهدة ألعاب الظل أثناء شهر رمضان، وكانت تركيا تمتاز آنذاك بهذه الألعاب. وبدأ هذا الفن لياكوب، العارف الخبير بالفن المسرحي الأوروبي والمعجب الكبير بمسرحيات شيكسبير، ذا سحر خاص، بحيث بدأ يهتم في بحث تاريخ ألعاب الظل، التى فتنه كثيراً، لأنها لم تقتصر على بلد واحد بل شملت الشرق بطوله وعرضه. أما امتيازه الخاص في هذا الميدان فهو اكتشافه لألعاب ظل للمؤلف المصرى ابن دانيال (المتوفى عام ١٣١١)، الذى قدم عام ١٩٠١ أولى المعلومات عنه. وكان يدرس ويفحص المخطوطات القليلة الخاصة بهذا النوع من الأدب بكل دقة وعناية، وكان يعيد الدراسة والتدقيق دوماً، رغم أن المتن كان يحتوى على صعوبات يكاد يكون من المستحيل التغلب عليها. واستطاع عام ١٩١٠ أن ينشر عينات متفرقة من هذه الأعمال وأن يعرف العالم على «طيف الخيال». وفي العام نفسه كتب استناداً إلى ما كانت تحتويه تلك النصوص حول «سوق سنوية مصرية في القرن الثالث عشر». وإذا أدرك ياكوب أن ألعاب الظل أو طيف الخيال في البلاد الإسلامية لا يمكن أن توجد دون نماذج جاءت من الشرق الأقصى، فقد راح يدرس تقاليد الهند والشرق الأقصى في هذا الميدان، وتعلم في سن مقدمة السنسكريتية والصينية، ليتمكن من متابعة دراسة هذا الفن. وكان أول عمل كبير وشامل نجم عن دراساته الطويلة كتابه «تاريخ مسرح ألعاب طيف الخيال في الشرق والغرب» الذى صدر عام ١٩٢٥ في طبعة ثانية موسعة. وبالإشتراك مع پاول كاله Paul Kahle استمر على دراسة وبحث أعمال ابن دانيال وساهم في تأليف مقالات لأبحاث كاله عن ألعاب طيف الخيال العربية، كما أصدر عام ١٩٣٠ مؤلفاً عن ألعاب الظل الهندية.

وكما واجه جيورج ياكوب مسألة مسرح الظل لأول مرة في تركيا، فقد كرس لمسرح الطيف التركى كتاباً خاصاً عرف الألمان فيه لأول مرة على قصص كاراغوز الهزلية الشعبية المحبوبة - وهو عمل تابعه هلموت ريتير بطريقة



جيورج ياكوب

نموذجية. ولكي يتصور الانسان مدى الجهد المبذول في هذا الانجاز، فلا بد له أن يفكر بأن الدراسات التركية قلما كانت تجد مكاناً لها في حقول العلم في الجامعات الألمانية في مطلع القرن الحالى. ولأنه لعمل ياكوب الكبير وامتيازه الخاص أن يتمكن من ايقاظ الاهتمام بتركيا العثمانية وجميع اوجه ثقافتها. وهنا — كما كان الأمر في العربية — اتسع ميدان اهتماماته اتساعاً مدهشاً؛ فقد كان اهتمامه بالغاً بالنحو التركى وبضرورة إعداد كتاب مساعد لتدريس اللغة العثمانية، وقد تعلمنا من كتابه المساعد — بين كتب أخرى — قراءة التمارين الأولى باللغة التركية العثمانية. إذ يضم كتابه قصصاً خرافية واشعاراً صوفية ونماذج باللهجات العامية ونصوصاً كلاسيكية بحيث يقدم للمبتدئ عرضاً جيداً ومختارات طريفة من الأدب التركى. وكما هو الحال في كل أعماله فقد ظهر هنا أيضاً حب

جيورج ياكوب لكل ما هو شعبي — إذ كان أول من شرح وحلل خطب القصاصين والمداحين الأتراك. ومن صفاته المميزة أنه لم يتردد في الحرب العالمية الأولى، عندما كانت ألمانيا وتركيا تحاربان جنباً إلى جنب، لم يتردد في تأليف معجم مساعد لرجال البحرية والمرضات، حيث كان في تلك الأعوام منهمكاً إلى حد بعيد في الدراسات التركية عموماً. ومع ذلك فإنه لم يهمل العربية قطعاً بل إنه كان يحاضر كذلك في مسائل تتعلق بالعهد القديم .. ومن أعماله الكبيرة أيضاً احياء «المكتبة التركية»، وهي تلك المجموعة من النصوص والدراسات الخاصة بتاريخ الإسلام الحضارى والتي تشتمل على أكثر من خمس وعشرين دراسة هامة منذ عام ١٩٠٤. وقد نشرها وحده أولاً، ثم اشترك في ذلك مع المستشرق السويسرى رودلف تشودى R. Tschudi فيما بعد، واخيراً معه ومع المستشرق الكيلى

اللاحق تيودور منزل Th. Menzel، الذي تابع أعمال ياكوب حول المسرح التركي بنجاح كبير. وفي هذه السلسلة ظهر ذلك الكتاب الذي عرف الألمان لأول مرة على إحدى الطرق الإسلامية؛ ونعني به دراسته للطريقة البكتاشية (١٩٠٨). ويعتبر هذا الكتاب عملاً طليعياً حقيقياً، إذ لم يكن أحد يعرف حتى ذلك الحين أى شيء عن تكوين الطرق الإسلامية وتاريخها؛ والبكتاشية بالذات - التي لعبت في تركيا دوراً كبيراً جداً نظراً لارتباطها بالانكشارية - تتمتع بأهمية كبرى في ميدان علم أخلاق الشعوب وكذلك في دراسة تاريخ الأديان، فقد بقيت فيها عدة عناصر غير إسلامية، كما أنها تحمل معالم شيعية كثيرة. وحتى اليوم يعرف كل تركي القصص الكثيرة التي تدور حول إجابات شيوخ البكتاشية التي تمتاز بحضور البديهة وسرعة الخاطر. وبهذا العمل افتتح ياكوب دراسة التصوف الشعبي في الإسلام؛ وإن قيامه بعد ذلك ببضعة أعوام بضم كتاب ريشارد هارتمان البديع «عرض القشيري للتصوف» إلى المكتبة التركية، ليظهر مدى اهتمامه أيضاً بالتعريف بالأسس النظرية للتصوف الإسلامي في قالب واضح سهل القراءة والفهم في أوروبا.

وكما أبدى ياكوب اهتمامه منذ دراساته الأولى بالقضايا الموضوعية بعينها رافضاً أى رأى لا مبرر له حول المسائل اللغوية البحتة، فقد جذبه الفن أيضاً بجميع أشكاله - ابتداء من الفن المسرحي، الذي سبق أن ذكرناه أعلاه، حتى فن العمارة والبناء. ومما لاشك فيه أيضاً أن المتعة الفنية الخالصة قد لعبت دوراً هاماً كذلك في انشغاله الطويل بدراسة هياكل ورسوم ألعاب الطيف الصينية. وكان الفن الإسلامي في تلك الأعوام لا يزال ميداناً مجهولاً إلى حد بعيد، بحيث لم يحصل إلا تحت إدارة فيلهلم فون بوديه W. v. Bode على مكان في معرض الفنون العام لمتاحف برلين. ولم يبدأ التفهم الجديد للفن الإسلامي في ألمانيا إلا بعد افتتاح المعرض الكبير لروائع أعمال الفن الإسلامي في ميونيخ عام ١٩١٠. وكان ياكوب أيضاً هو الذي اشتغل في البيان الايضاحي على الفن السلجوقي والفن التركي والفن الإسلامي في الهند - وكان كل من هذه الموضوعات جديداً تماماً ولم يخضه أحد بعد عملياً. ولكن هذا العالم الذي لا يعرف الكلل كان قبل ذلك قد نشر، فيما يتعلق بدراساته عن العلاقات الثقافية بين الإسلام وأوروبا، كان قد نشر عام ١٩٠٥ دراسة حول انتقال الأقواس المدببة والأقواس الشبيهة بحذوة الحصان في فن العمارة، ويعتبر أمراً محتملاً أن القوس المدبب الغوطي

قد تأثر بالقوس الإسلامي (كما يظهر مثلاً في مسجد ابن طولون في القاهرة). وإذا لم يعد ياكوب بنفسه إلى تناول هذا الحقل فيما بعد إلا نادراً - وكان خبيراً ممتازاً بالطنافس الفارسية - فقد كان يشجع كثيراً من طلابه على الاهتمام بمسائل الصنعة اليدوية، كما يرد ذكرها وتعرض في المصادر الإسلامية. فقد كان ياكوب نفسه يتمتع بطبيعة فنية قوية، وكان «رومانسياً ناقداً»، كما وصفه كارل هاينريش بيكر في مقالته التقديرية الجميلة بمناسبة ذكرى عيد ميلاد ياكوب الخامس والسبعين. وقاده ذلك الميل الفني كذلك إلى موضوع يتعدى حدود ألعاب الطيف والأساطير - إلى موضوع الأحلام: فدراساته حول الأساطير والأحلام التي صدرت عام ١٩٢٣ - ١٩٢٤ في هانوفر تعطي الدليل على مدى انجذابه لهذا الحقل الجانبى ما بين الواقع الملموس وما فوق العالم الحسى - وكثيراً ما فسر المفكرون والمؤلفون الإسلاميون لعبة طيف الخيال كرمز لعمل اللاعب الخفى، الله، على ما يقول ابن الفارض.

لقد كان كل ما كتبه ياكوب متجهاً إلى الحياة، في جميع مظاهرها وأشكالها المختلفة. وسواء أعالج مؤلفات العرب الجغرافية، أم كتب حول ما نشر حديثاً عن فلسطين، وسواء أدرس النحو التركي، أم نشر أشعار سلطانيين تركيين، وسواء أترجم أشعاراً صوفية فارسية إلى الشعر الألماني، أم استخرج منها معلومات عن الحياة في إيران في العصر الوسيط - كان في كل ذلك يبدى اهتمامه الدائم بكل ما هو نابض بالحياة. ومع أنه لم يسافر كثيراً، وكان يستقى شروحه في الغالب من اختباره الخاصة، إلا أن استعداداته اللغوية الممتازة كان يعطيه سنداً وقوة كبيرين هنا. وقد دعاه بيكر في مقالته التقديرية المذكورة أعلاه «بذى الفتوة المنفرد في ميدان العلم» - رجل لم يكن من السهل دوماً الاتفاق والتعامل معه، إذ كان يعرب عن آرائه في الغالب بنخونة ودون أى مراعاة؛ ولكن بيكر أكد كذلك على أن ياكوب كان يتمتع بمقدرة نادرة على رؤية العلاقات التاريخية الكبيرة وعلى الانغماس في تقشف في استقصاء وبحث التفاصيل بكل جهد وعناية. ولم يشتمل افقه على العالم الشرقى من الصين عبر الهند إلى البلاد الإسلامية فحسب، بل تناول كذلك دراسة الفولكلور والأدب الأوروبي؛ ولكي يدعم دراساته جيداً فقد كان يهتم كذلك بالعلوم الطبيعية والمسائل المتعلقة بها. وكان يعيد النظر دوماً على دراساته ويعيد العمل عليها، ويكيفها إلى أحدث مستوى علمي، ولكن مما يؤسف له

Lin. 16. 12. 1931

Schreibst. 117 I.

Herrn, verehrten Herrn Doktor,

Gute Nacht ist Ihnen sehr für Ihre Arbeit bei Herrn
freundlichen Briefe herzlich dankbar, die ich mir in
Ihre Person sehr. Der Gedanke, dass Sie mit
Ihren Jahren so viel Gutmacht eingetragten, dass
ich oft bedauere, dass Sie geschrieben Sie haben. Bitte
ich sehr, dass Sie mir auch über den jüdischen Antisemitismus
Ihre Zeit oder andere. Wenn Sie möchten, so sollten
wir das große Ringbuch des Kontinents präpariert
und geschrieben, die ich begreifen können.
Der jüdische Brief logische Entwicklung ist immer
dunkel, wissenschaftlich fragwürdig, aber damit war
nicht nicht gemeint. So bin ich über das jüdische
jüdische Briefe schließlich zum jüdischen

رسالة بعث بها جيورج ياكوب إلى الدكتور إله إيشنتشيتير Ilse Lichtenstadter، وكانت قد بعثت إليه ببحثها الذي حصلت به على الدكتوراه وعنوانه
«النسب في الشعر العربي القديم». وفي هذه الرسالة يكيل ياكوب اللعنة على عالم اللغات السامية بريتوريوس Prätorius (توفي ١٩٢٧) ملقباً إياه
بـ «أكبر تيس أخرق في القارة».

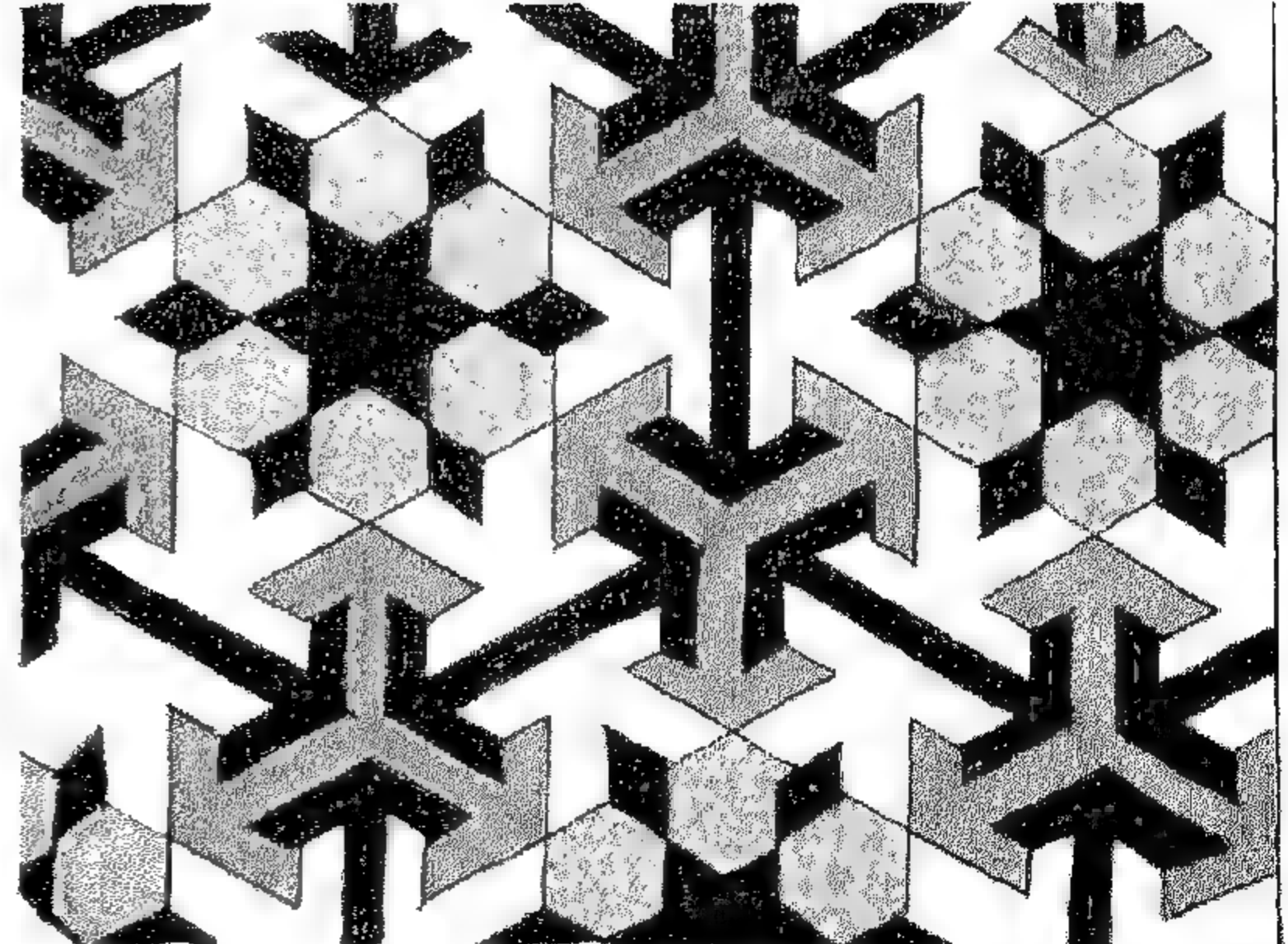
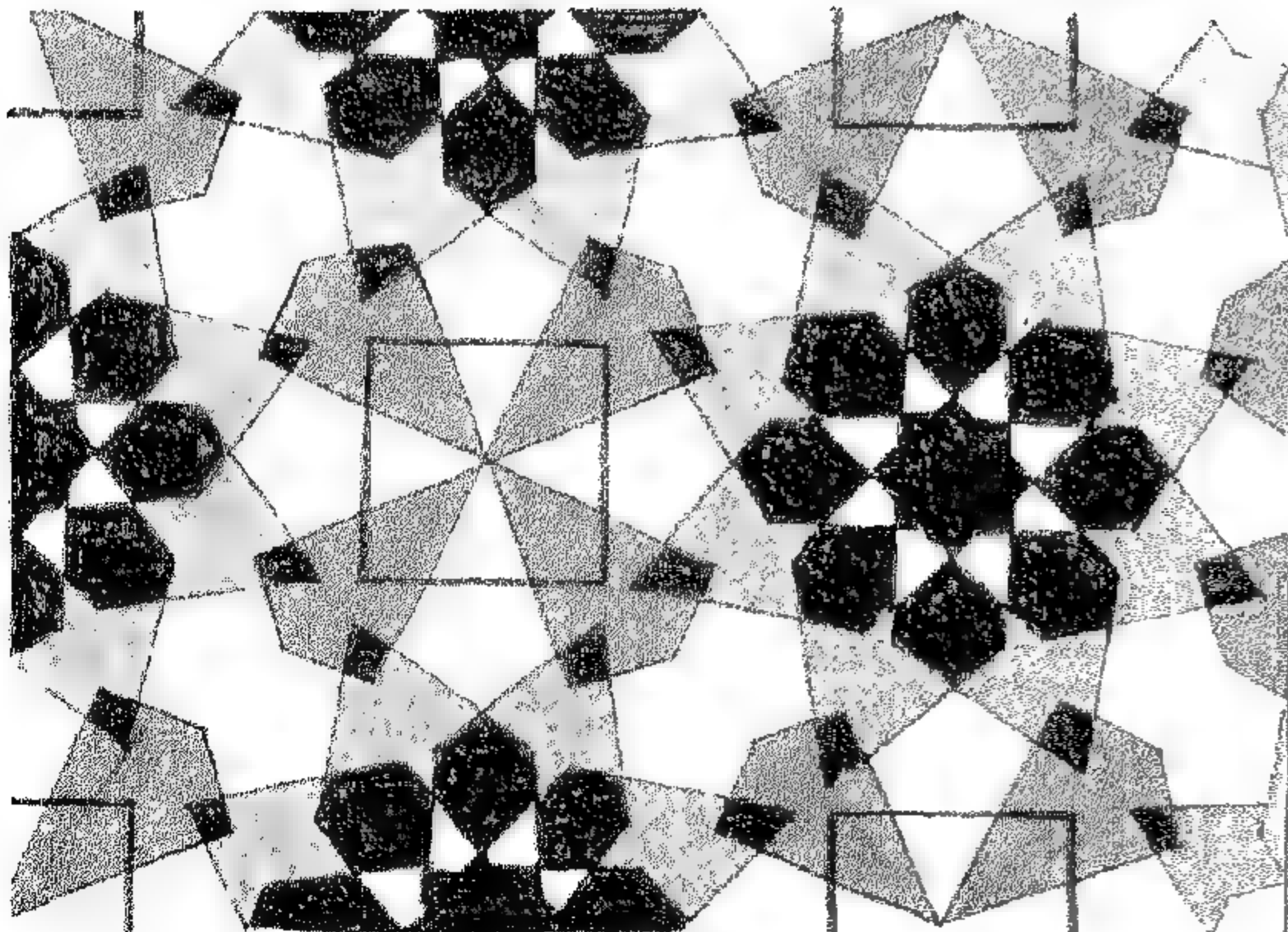
وتبدأ الحكاية الاسطورية صيرورتها بنقل تجربة الحلم إلى حالة الوعي.»

ألا يشبه بذلك الصوفيين الاسلاميين الذين يولون الاحلام دوراً كبيراً والذين كانوا دوماً يشيرون إلى الحد المتأرجح بين العالمين؟ وبهذه الصورة ينطق دوماً الشاعر التركي كشتري، الذي يرجع إلى غزله في لعب الكارا غوز منذ زمن طويل لتفسير اللعب تفسيراً صوفياً (وكان ياكوب في الحقيقة أول من درس ألعاب الكارا غوز دراسة علمية)؛ وبهذه الصورة أيضاً ينطق أعظم مغن في التصوف العربي بطريقته الخاصة التي لا يمكن تقليدها، ونعني به ابن الفارض:

فطيف خيال الظل يهدي اليك في
كرى اللهو ما عنه السائر شقت
تري صور الأشياء تجلى عليك من
وراء حجاب اللبس في كل خلقه.

ترجمة: محمد علي حشيشو

أنه كان يوزع أغلب نشراته العلمية في آخر سني حياته في عدد محدود من النسخ المطبوعة بالآلة الكاتبة. وكانت صفة الشمول والكلية التي امتاز بها تمتد لتتناول أبعد الميادين وأقصاها، وتشعر في جميع أعماله بطابع شخصيته القوية العنيدة. ولقد شق الطريق إلى دراسة الشرق الإسلامي دراسة تمتاز بطابع تاريخي حضاري وكذلك فولكلوري، مكافحاً في ذلك ضد العقلية اللغوية الضيقة القديمة، وكذلك ضد الاتجاه المتحجر في الدراسات السامية في عصره، ويمكن أن نلمس مدى نفوذه وأثره العلمي في مؤلفات كثيرين من أصدقائه وتلامذته وأعمالهم. ولعله كانت تكمن وراء جميع أعماله الرغبة «في التفهم العلمي لصيرورة الشعر»، أو بعبارة أخرى، تخطي ذلك الحد الذي يفصل بين العلم والفن. فقد كان ذلك الميدان الجانبي الجذاب المثير، حقل أبحاثه الخاص. وما أجمل قوله في كتابه «الاساطير والأحلام»: «إن الحلم هو شعر لا واع. والحلم يبدع مسرحية، تظهر فيها شخصيات يفرض عليها أدوارها.



الشرق في الأدب الألماني

بصمات شرقية في الأدب الألماني الوسيط

بقلم اوتو شپيس

وكان مثل هذا التوسع قد أصبح ممكناً، أولاً لأن محمداً استطاع أن يوحد القبائل العربية تحت لواء شعائره الدينية، وثانياً لأن الدول المجاورة كانت قد أنهكت بعضها بعضاً في حروب طويلة فيما بينها، بحيث أصبح الطريق من الصحراء العربية إلى الدول المتحضرة مفتوحاً. وبذلك تسلم الإسلام تراث الحضارتين القديمتين الرفيعتين: البيزنطية والفارسية. ومن المضيقين الذين يفصلان أوروبا عن آسيا وأفريقيا - مضيق البوسفور ومضيق أعمدة هرقل - تدفق الغزاة مواصلي زحفهم. ورغم أن البيزنطيين قاوموا في الشرق حيناً من الزمن - إذ فشل العرب في حصار القسطنطينية لمدة سبعة أعوام (٦٦٨ - ٦٧٥) ذلك الحصار الذي نجحت مقاومته بالدرجة الأولى بفضل «النيران اليونانية»، وكذلك فشلوا في محاولة أخرى عام ٧٠٧ - إلا أن الزحف العربي كان ماضياً في طريقه دون أى مقاومة في الغرب. وفي عام ٧١١ سقطت اسبانيا، التي ظلت لعدة قرون فيما بعد تحت السيادة الإسلامية. وأمكن أن يوقف استمرار الزحف إلى الشمال عبر جبال البيرينيه نهائياً بفضل انتصار الفرنجة بقيادة كارل مارتل، وذلك بعد قرن واحد تماماً من وفاة النبي العربي. وبذلك استطاع الفرنجة أن ينقذوا الحضارة المسيحية الغربية. أما نتائج وتأثيرات هذا العمل فلا يصح المبالغة في تقديرها وتقييمها. إذ أن سيادة عربية مؤقتة - ونذكر اسبانيا مثلاً - كانت ستكفي لتغيير وجه أوروبا! ولكن نجاح هذه المقاومة يظهر في حقل السياسة الداخلية: إذ أن السلطة انتقلت من الميروفنجيين إلى الكارولنجيين، أى أن الجرمان هم الذين تسلموا زمام السيادة في أوروبا.

ولم يكن الغزاة العرب جميعاً عرباً اقحاحاً من حيث العنصر والجنس، بل كانوا يضمون كذلك أتباع الشعوب المغلوبة أيضاً: من فرس ويهود ونصارى ويونانيين وبربر.

إن العلاقات بين الشرق والغرب راسخة في القدم متنوعة في الوجوه. فنذ آلاف السنين تنتقل التأثيرات المتبادلة عبر اقطار وشعوب مختلفة تارة في هذا الاتجاه، وحيناً في الاتجاه المعاكس. وحتى في اليونان القديمة نلمس معالم التأثيرات الشرقية. فبعد زحف الاسكندر الأكبر إلى الشرق أخذت التأثيرات الشرقية على الفلسفة والفن والدين تزداد تدفقاً. كما أن المدنية الأوروبية التي نشرها الاسكندر حتى نهر السند، ظلت قائمة لعدة قرون في حضارة مختلطة ندعوها بالهيلينية. وتقوم صورة العالم في اواخر العصور القديمة إلى درجة كبيرة على اسس شرقية كعلم التنجيم والفلسفة والعقائد الدينية الشرقية. ومن الشرق جاءت المسيحية أيضاً، وقد جعل الرومان الذين كانوا يحكمون بقاعاً واسعة من الشرق الأدنى، جعلوا من البحر الأبيض المتوسط بحيرة أوروبية كبيرة. وحتى قبل انتشار المسيحية كان طريق تجارى قديم يمتد من الشرق عبر جنوبى روسيا إلى أوروبا. وسواء أكانت شعوب الشرق والغرب تعيش في تبادل واتصال سلميين أم في علاقات عدائية وصدام حربي، فإن مثل تلك الاتصالات كانت تعنى نقاط تحول في تطور الحضارة الانسانية.

وكانت آخر ذروة في العمليات من الغرب إلى الشرق وردود الفعل من الشرق إلى الغرب تتمثل في قوة جديدة نشأت في شبه جزيرة العرب وكان على أوروبا المسيحية أن تحسب لها حساباً أثناء العصر الوسيط كله: ألا وهي الإسلام. ففي عام ٦٣٢ توفي الرسول محمد. وبعد وفاته بثلاثين عاماً امتد سلطان خلفائه من بعده من نهر الأوكسوس حتى شمالى افريقيا. وعندما هدأت حركة تنقل الشعوب العربية في بداية القرن الثامن، كانت الأصقاع الممتدة ما بين جبال همالايا حتى البيرينيه، وما بين البحر الأسود حتى خليج عدن تحت السيادة الإسلامية.



الأخوان غريم، الشهيران بجمع القصص والأساطير الشعبية الألمانية (ياكوب غريم ١٧٨٥-١٨٦٣ وهو مؤسس علم اللغات الجرمانية، فيلهلم غريم ١٧٨٦-١٨٥٩). لوحة من رسم إيزابيث يريخاؤ-باومان El. Jerichau-Baumann (١٨٥٥).

العناصر العربية السامية عناصر هيلينية وشرقية أخرى. بعد أن انتهت الفتوحات وثبتت الغزاة دعائم حكمهم في البلاد المغلوبة ازدهرت في كل مكان حياة سلم واستقرار ونمت التجارة والحرف الصناعية، كما تطورت في المدن ثقافة برجوازية، فانشئت المساجد والمدارس الابتدائية

وكانت حروة الاسلام الوثقى هي التي توحد بينهم جميعاً. والاسلام ليس ديناً فحسب، بل إنه كذلك فلسفة ودمتور سياسى ومدنية. ولذا فاننا لا نستطيع فيما يلى أن نتحدث عن الحضارة «العربية»، بل لابد لنا من الكلام عن الحضارة «الإسلامية» التي تتضمن إلى جانب

والعالية فيها، كما ازدهرت في قصور الخلفاء والامراء والولاة حياة زاخرة بالحضارة والعلم. وكانت هذه الحضارة تحتل قمة عالم ذلك الزمان. وكانت ترعى جميع فروع العلم: فكان الأطباء والمنجمون والرياضيون والمؤرخون والشعراء والفلاسفة، وخاصة علماء الدين والمشرعون، يبحثون ويدرسون بعزائم لا تفتر، فكانوا من جهة يكشفون بترجماتهم النقاب عن علوم الأوائل والعالم القديم، وكانوا من جهة أخرى يبحثون ويستقصون ويبدعون ما هو جديد تماماً، وكرسوا جهودهم خاصة للدراسات الإسلامية المتصلة بالدين. وجلبوا من بلاد الشرق تراثاً حضارياً وتلقوا كثيراً من المعارف العلمية، وواصلوا تراث العالم القديم الذي كان لابد له أن يولد في الغرب جديداً. وبذلك أصبح العرب وسطاء حضاريين، وحصلوا بدورهم هذا، كوسطاء، على أهمية عالمية. وكانت وساطتهم من الجهتين: وساطة أخذ، وساطة عطاء. وتقبلت أوروبا هذه الوساطة بوفرة. ففي جميع حقولنا الثقافية يتضح تأثير الشرق على الغرب في العصر الوسيط. وتزخر اللغة الألمانية بالكلمات العربية أمثال: Admiral أمير البحر و Arsenal دار الصناعة و Alkohol الكحول و Arrak العرق و Laute العود و Magazin المخزن و Razzia الغزوة و Sirup الشراب و Tarif التعرفة و Zucker السكر وغير ذلك. وهناك أشياء حضارية كثيرة جاءتنا من الشرق كالورق والبوصلة والشطرنج وبعض أدوات الترف والمنسوجات وما شابه ذلك. وقد أخذنا كثيراً من العلوم العربية كالرياضيات والفلك والعلوم الطبيعية التي لا يمكن اعتبار تاريخها العام كاملاً دون أخذ الإسهام العربي فيها بعين الرعاية والاعتبار: فهناك الأرقام العربية، والصفر، والرمز \times س، وهو اختصار «شيء» العربية، والمفاهيم والمعارف الفلكية مثل: Azimut السموت و Zenith السمت و Nadir نظير السموت وما شابه ذلك. وفي الفلسفة نقل العرب الحكمة اليونانية وأثروا بفضل ابن رشد وابن سينا على فلسفة العصر الوسيط الأوروبية. أما أعمالهم في الحقل الفني، كحقل البناء (الأقواس المدببة)، والزخرفة (النقش الزخرفي العربي Arabesque)، والصناعة الفنية، فعروفة شهيرة. وفي حقل الأدب أيضاً يتوفر من الأدلة التي تشير إلى المؤثرات الشرقية ما يفوق حد التصور العام.

وإذا اتجهنا الآن إلى النتائج الشعرية فيمكن القول أولاً بأن تياراً لا حد له من التأثيرات الأدبية تدفق من الشرق إلى الغرب. ولكننا لا نستطيع الكلام عن المواد والموضوعات العربية الإسلامية إلا بالقدر الذي كانت هذه العناصر

والموضوعات معروفة به عند العرب ومنتشرة بينهم، أو ما انتقل بوساطة العرب؛ وفي ذلك لا يجوز القول بأنها جميعاً عربية أصيلة، أي أنها وليدة شبه الجزيرة العربية. والأغلب أن كثيراً من الأساطير والحكايات والمواد القصصية الهندية والفارسية واليهودية والمسيحية التي كان يجري تداولها في الشرق انتقلت بالوساطة العربية إلى أوروبا، حيث ظهرت بحلل أوروبية. وكثيراً ما يصعب أن نشير الآن إلى الطريق الذي اتخذته هذه المواد والعناصر القصصية من الشرق إلى الغرب، حيث أن حلقات الاتصال في هذا الطريق مازالت مجهولة أو مفقودة. وإن كثيراً من النماذج والحلقات التي يجري البحث عنها قد تكون لا تزال تهيج في الأدب الفارسي والعربي، إذ أن كثيراً من الأشعار القصصية والأساطير الفارسية وكثيراً من المجموعات وقصص الفروسية العربية التي يشتمل بعضها على عدة مجلدات مازالت مغلقة في وجه البحث العلمي. ولكننا نستطيع اليوم أن نقول على وجه التحقيق أن الغرب مدين للشرق بتراث أدبي كبير. وكان فن الرواية يرعى منذ الأزل في الشرق. والعرب شعب مرح فكه محب للطرائف والنوادر، وقد بلغ تقديرهم لمعرفة الروايات والقصص حدّاً جعلهم يعتبرونها من فنون الأدب الرفيع. وعند تعداد فنون الأدب، وهي عشرة، يقول الوزير الحسن بن سهل أن معرفة القصص التي يتداولها الناس في مجالسهم الاجتماعية، وهي العاشر بين هذه الفنون، يفوقها جميعاً. وهكذا فالعرب يملكون كنزاً وافراً من القصص والحكايات.

طرق التجول والتجارة

كانت الطرق التي انتقل عبرها التراث الشرق الإسلامي إلى الغرب مختلفة الأنواع:

١- فقد كانت إسبانيا (من القرن السابع إلى العاشر) بالدرجة الأولى إحدى طرق الانتقال هذه. وبعد فتحها عام ٧١١ وسيادة السلطة المركزية للخلافة عليها، انتقلت شبه الجزيرة الإيبيرية عام ٧٥٥ إلى سلطة الأمير الأموي الذي حرم من الخلافة، عبد الرحمن، الذي أنشأ هناك خلافة مستقلة، سرعان ما ارتفع شأنها في ازدهار حضاري رفيع. وأصبحت العاصمة قرطبة مركز الثقافة والعلوم الإسلامية. وتحت سيادة عبد الرحمن الثالث (٩١٢-٩٦١) بلغت الصناعة والفنون والعلوم الإسلامية أوج مجدها. وكان الطلاب والعلماء يقدون من جميع اقطار أوروبا للدراسة في الجامعات الأندلسية. ومنذ بداية القرن

الحادى عشر انتقلت السلطة السياسية إلى أيدي وزراء متعطين للحكم، وبذلك انقسمت الخلافة إلى امارات صغيرة راحت تتنازع فيما بينها.

٢- أقامت الحملات الصليبية (من القرن الحادى عشر إلى الثالث عشر) صلات جديدة تمثلت فى شكل هجوم معاكس من الغرب. فلأول مرة اقتحمت الشعوب الرومانية والجرمانية الشرق وتعرفت على حياته ومتوجاته. وأصبح الفرسان الصليبيون على اتصال شخصى مع الشرقيين من مسيحيين ومسلمين. وقامت بالقرب من اديسا (الرها، Urfa) لمدة نصف قرن دوقية مسيحية كان يحكمها الامراء الفرنكيون الجرمان. وكان الصليبيون يعودون من حملاتهم وهم يحملون من الشرق إلى بلادهم المنتوجات والسلع المترفة والتحف التذكارية الدينية الشرقية. وبدأ تأثير الحملات الصليبية يظهر بالطريقة نفسها فى الحقول الثقافية. فإلى جانب السلع المادية نقلت كذلك عناصر قصصية واسطورية من الشرق البيزنطى النصرانى وكذلك الاسلامى إلى أوروبا.

٣- وقام بدور الوساطة أيضاً المدن التجارية الإيطالية. فقد أصبح البحر الأبيض المتوسط معرضاً للمواصلات وللنشاط التجارى الذى ازدهر فى مدن البندقية وبيزا ولوكا وجنوا والذى انتقل إلى شمالى أوروبا. وكانت أساطيل المدن الإيطالية تبحر إلى سواحل آسيا الصغرى وسوريا وإلى الاسكندرية، وكذلك إلى البحر الأسود فيما بعد. وبذلك انتقلت اصطلاحات تجارية إلى الغرب مثل: Awal الحوالة، و Mohatra المخاطرة، و Risiko الرزق و Tarif التعرفة، و Magazin المخزن، و Zechine السكة وغير ذلك من اصطلاحات مماثلة. ونذكر بين السلع والمواد الغذائية: Kaffee القهوة، و Zucker السكر، و Safran الزعفران، و Damast الدمشق وكثيراً غيرها. وعبر جبال الألب انتقلت السلع الشرقية إلى المدن التجارية المزدهرة: آوغسبورغ ونورنبرغ وألم وريكنزبورغ وانكولشتادت.

٤- ونشط اليهود كوسطاء بين العرب والأوروبيين، وخاصة فى اسبانيا، حيث اشتهروا كعلماء بارزين فى جميع ميادين العلم؛ وعملوا كترجمين وكذلك كمعلمين فى جامعات اسبانيا وفرنسا وإيطاليا. ويكفى أن نذكر القارئ برجال الفترة ما بين القرن الثانى عشر والرابع عشر امثال بن جبريول (ويدعى باللاتينية Avicbron) وابن ميمون (Maimonides) وليثى بن جرسون (Levi ben Gerson).

٥- وفى العصر الزاهر للامبراطورية العثمانية (من القرن الرابع عشر حتى السابع عشر) وسع الاتراك سلطانهم ليشمل بلاد البلقان أيضاً. وبعد معركة موهاكس عام ١٥٢٦ سقطت هنغاريا، وبعد ذلك بثلاثة أعوام حاصر الأتراك فيينا. ثم فشل آخر هجوم لهم تحت قيادة الوزير الأكبر قرا مصطفى عام ١٦٨٣. ومنذ ذلك الحين استمر انهيار الدولة العثمانية ببطء. وقد ترك الحكم التركى الطويل الأمد فى البلقان آثاره الجلية. ففى الميدان الأدبى نستطيع القول بأن الاتراك نقلوا إلى الشعوب البلقانية والسلافية قصصاً شرقية واساطير تركية. كما أن سيادة المغول التى دامت مائتى عام على الشعوب السلافية لم تزل دون أن تخلف آثارها أيضاً. ونستطيع الافتراض بأن بعض التراث القصصى أنتقل عن هذا الطريق إلى أوروبا الشرقية.

والآن، وبعد أن أشرنا إلى الطرق التى انتقل عبرها التراث الثقافى الشرقى إلى أوروبا وتغلغل فيها، ننتقل إلى التأثيرات نفسها، كل على حدة. ومن الطبيعى أنه ليس من الممكن أن نبحث جميع التأثيرات الأدبية فى هذا الحقل الواسع وأن نتابع جميع العناصر والمواد أثناء تجوالها وعلى طرق انتقالها إلى الغرب، بل نكتفى أن ننتزع بضعة امثلة بارزة من هذا الخضم الواسع الذى لا نكاد نستطيع استيعابه بكليته. ولا يهمنى فى ذلك الاشارة إلى ملامح ومواضيع منفردة قائمة بذاتها بقدر ما تهمنى قصص وعناصر بكاملها. وعلىنا فى بادئ الأمر أن نميز بين تأثيرات من نوعين مختلفين: مباشرة وغير مباشرة. فالتأثيرات المباشرة تستند إلى التراث الشفوى المتداول خلال العصر الوسيط وفيه تنتقل القصة من لسان إلى آخر. ولذا تطلق على ذلك عبارة العناصر المتداولة. وبطبيعة الحال فإن الصيغ الأدبية التى يراد منها أن تقرأ على المستمعين والتى يعاد سردها بعد الاستماع إليها تقف إلى جانب التراث الشفوى فى علاقة متبادلة حية. أما ما نقصده من التأثيرات غير المباشرة هنا فهى التأثيرات الأدبية الخالصة التى تنشأ بالدرجة الأولى من الاستخدام المباشر للمصادر الشرقية التى تترجم إلى الألمانية. ومع القرن الثامن عشر تعرف شعراؤنا على كثير من المؤلفات والمواد الشرقية من ترجماتها الألمانية بحيث أفادتهم وقدمت لهم افكاراً غنية استخدموها فى صيغ شعرية ذاتية.

الأساطير المتجولة

ولنبداً بالحكايات الخرافية. إننا نعلم اليوم أن نظرية بنفای Benfey حول نشوء الأساطير فى الهند قد تعدت الهدف المرسوم. ومع ذلك فقد اتضح أنه كلما تقدم بحث

حكايات الاخوين كرم Grimm الخرافية

منذ بواكير الشباب ونحن نعرف حكايات الاخوين كرم الخرافية الجميلة التي كنا نعتبرها تراثاً ألمانياً قديماً. ولكن الحقيقة ليست كذلك. بل ان الاخوين كرم نفسيهما قد أدركا أن الحكايات الشعبية الألمانية كانت متأثرة بمجموعة الف ليلة وليلة العربية. وقد وجدا مصدراً مثالياً لهما حكايات خرافية من مجموعتهما في قصص ألف ليلة وليلة وهي: ١ - صياد السمك وزوجه (الرقم ١٩)، ٢ - اللص الخبيث وسيده (الرقم ٦٨)، ٣ - ستة يحولون العالم كله (الرقم ٧١)، ٤ - الجبل الذهبي (الرقم ٩٢)، ٥ - الطيور الثلاثة (الرقم ٩٦)، ٦ - ماء الحياة (الرقم ٩٧)، ٧ - الروح في القارورة (الرقم ٩٩)، ٨ - جبل سميلي (الرقم ١٤٢). أما الحكاية الأخيرة هذه فهي مأخوذة مباشرة من حكاية «علي بابا والأربعون حرامي». فبينما يسترق الأخ الفقير السمع إلى اللصوص وهم يهتفون: «افتح يا جبل سمسي» يفتح جبل ملي بالكنوز أمامهم، ثم يغلقونه بقولهم: «أغلق يا جبل سمسي». وعلى أثر ذلك أصبح الفقير غنياً. وقام اخوه الحسود باستراق السمع إليه، ففتح الجبل، ولكنه لم يستطع الخروج، إذ بدلا من أن يقول سمسي، راح يهتف: «سيميلي، سيميلي». ثم جاء اللصوص وقتلوه. أما الكلمة الألمانية Samsi فهي بالعربية السمسم، الذي يملك قوة سحرية في الخرافات الشرقية. لقد تمكنت أبحاث الحكايات الخرافية المقارنة التي بدأت منذ عهد الاخوين كرم، وخاصة أبحاث ر كولر R. Köhler، وف. شوفان V. Chauvin، وى. بولته J. Bolte، وج. باريس G. Paris، وإ. كوسكان E. Cosquin، وأ. فسلسكي A. Wesselski، وغيرهم، لقد تمكنت هذه الدراسات من إعادة سلسلة أخرى من حكايات الأطفال والأساطير المنزلية التي قدمها الأخوان كرم إلى اصول عربية. وقد جمع بولته وبوليفكا Bolte - Polivka في كتابهما الفريد من نوعه الحكايات الماثلة في الأدب العالمي لحكايات كرم الخرافية. وقام الباحث الضليع ف. فون در لاين في تصديره لهذه الحكايات الخرافية بتصنيف الأقاصيص حسب فترات نشوئها الزمنية، وتحقق في ذلك من وجود تأثيرات شرقية في ٢٢ حكاية خرافية منها. ومن الطبيعي أن تأثير قصص ألف ليلة وليلة على الحكايات الخرافية الألمانية بدأ قبل الزمن الذي أصبحت مجموعة ألف ليلة وليلة فيه معروفة عندنا بطريق الترجمة. وتبلغ الاستعارة من قصص ألف ليلة وليلة حداً كبيراً بحيث أن هناك اتجاهها إلى الاعتقاد بوجود

الحكايات الخرافية المقارن أدركنا أن كثيراً من موادنا الاسطورية القصصية جاءت من الهند. وكما يقول ف. فون در لاين Fr. von der Leyen (في المؤلف الاحتفالي الخاص بكون Kuhn، ص ٤٠٤) فإن من الحقائق التي تزداد ثباتاً بحيث لا يمكن دحضها «أن عدداً من الحكايات الخرافية التي مازلنا نحب سردها حتى اليوم والتي تعتبر من أكثرها انتشاراً تحتفظ بأشكالها الأصلية الأولى في الهند». وبالاستناد إلى مواد مقارنة ومتفاوتة كثيرة فإننا نستطيع أن نقتنى أثر الطرق التي اتبعها عدد كبير من أقاصيصنا الخرافية في انتقالها من الشرق إلى الغرب بحيث يمكن ببساطة أن نتحدث عن حكايات خرافية متجولة، واساطير متجولة، وأقاصيص متجولة. ومن الحلقة الكبيرة الواسعة لمثل هذه الحكايات الخرافية المعروفة عندنا نوكد على جزء منها كان موضوعاً لدراسات علمية وهي التالية: «الملك في الحمام» (ه. فارنهاكن H. Varnhagen، دراسة اسطورة هندية في انتقالها عبر الآداب الآسيوية والأوروبية، برلين ١٨٨٢)؛ و«الأرملة الخائنة» (إ. كريزباخ E. Griesebach، الأرملة الخائنة، حكاية صينية وانتقالها في الأدب العالمي، فيينا ١٨٧٣؛ وأ. شونباخ A. Schönbach، دراسات حول الأدب القصصي ٥، فيينا ١٩٠٣، شوفان Chauvin ٨، ص ٢١٠)؛ و«الزوج الجحود» (ج. باريس G. Paris، مجلة جمعية الدراسات الشعبية ١٣ (١٩٠٣)، ١ - ٢٤؛ ١٢٩ - ١٤٩؛ تباين روايات الأسطورة في اللغات السلافية لج. بوليفكا G. Polivka تظهر في الصفحات ٣٩٩ - ٤١٢)؛ إن هذه الحكاية التي نشأت في الهند انتقلت من جهة إلى الشرق الأقصى، ومن الجهة الأخرى إلى الاوساط اليهودية والاسلامية، ومنها انتقلت حديثاً إلى اوروبا. و«الدكتور العارف بكل شيء» (ت. زاخاريه Th. Zachariae، مجلة جمعية الدراسات الشعبية، ١٥ (١٩٠٥)، ٣٧٣ - ٣٧٩، دراسات صغيرة، ١٣٨ - ١٤٥)؛ و«العروس البديلة» (آرفرت Arfert، موضوع العروس البديلة في الأدب القصصي العالمي، اطروحة دكتوراه، روستوك ١٨٩٧)؛ و«الفلاح الحالم» (ب. بلوم P. Blum، قصة الفلاح الحالم في الأدب العالمي، تيشن ١٩٠٨)؛ وكذلك الحكايات الخرافية التالية: الخاتم السحري، والطائر السحري، والأشياء السحرية الثلاثة، التي جاءت في الأصل من الهند أو فارس (أ. آرنه A. Aarne، دراسات مقارنة في القصص الخرافية، هلسنكي ١٩٠٨)، وحكايات كثيرة أخرى.

راعية تسفيرن (بالقرب من كاسل) التي قصت الكثير من الأساطير الشعبية على الأخوين غريم. حفر على النحاس الأحمر للفنان لودفيج إميل غريم
Ludwig Emil Grimm.



ترجمة اسبانية مبكرة لقصص ألف ليلة وليلة. (راجع Wallonia ٦، ١٨٩٨، ص ٨٨ وما بعدها).

مجموعات الأقاصيص الشرقية

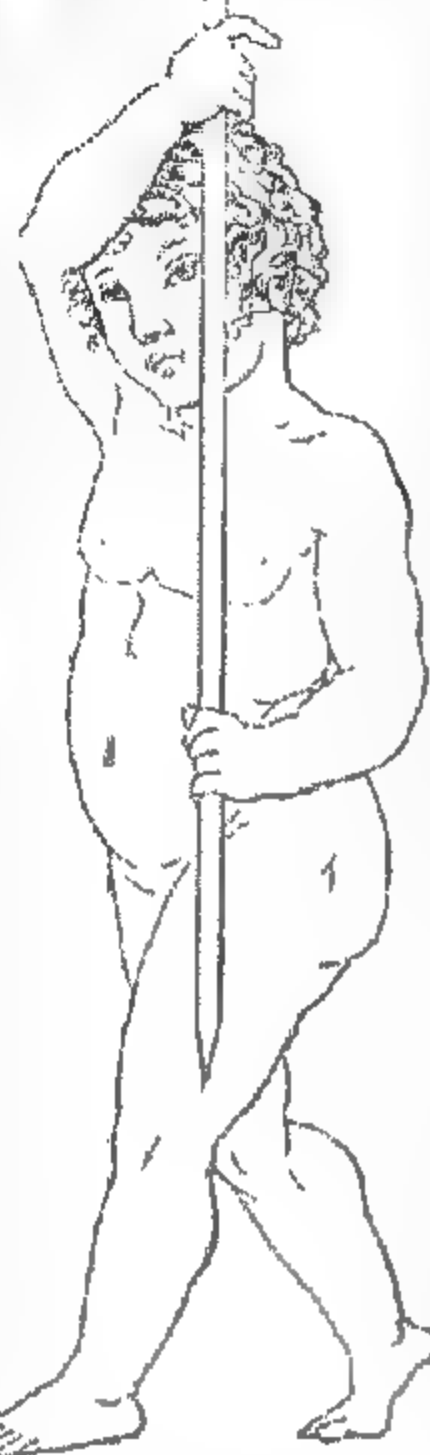
كان يوجد في الشرق أدب روائي وقصصي قديم، كان منتشرًا في ترجمات وصيغ عديدة بين جميع شعوب الشرق. وقد جاء قسم من هذه المواد القصصية من الهند، بينما ورد القسم الآخر من العالم الهيليني. ونذكر القصص الدينية وقصة إيسوب وقصة الاسكندر الاسطورية وقصتي بارلام ويوازاف وكثيراً غيرها. ونود فيما يلي أن نتعرض بإيجاز لثلاث من هذه القصص التي انتقلت من الهند إلى فارس ثم تغلغت إلى البلاد الإسلامية حتى وصلت بوساطة العرب واليهود إلى الغرب في العصر الوسيط:

١ = إن الاسطورة المسيحية يوزافات، وهو قدس أدخله البابا غريغوري الثالث عشر عام ١٥٨٣ في عداد القديسين المسيحيين، ليست سوى اسطورة بوذية حرف فيها الاسم الهندي بوديزاتفا Bodhisattva أثناء النقل والترجمة إلى بودازاف Būdasāf، ثم حصل خطأ في النقل في النسخ العربي إذ أصبحت الباء ياء باضافة نقطة ثانية، فصار الاسم يودازاف Jūdasāf، ثم أصبح في اليونانية يوازاف Joasaph، وأخيراً يوزافات Josaphat ومن العربية اتخذت ترجمة عبرية لم يوجد الأصل النموذجي العربي لجميع أجزائها مع ذلك. وكان المترجم اليهودي الاسباني ابن صموئيل ابن خسداى Ben

Samuel ibn Chisdai (توفي عام ١٢٤٠ في برشلونة)؛ وقد تتبع إ. كون E. Kuhn تاريخ هذه الرواية في الأدب العالمي.

٢ = وفي كليلة ودمنة نجد أساطير بوذية لبيدباي (بيدبا) Bidpai، اتخذت طريقها عبر فارس والبلاد العربية إلى الغرب. وتحت حكم كسرى انوشروان (٥٣١-٥٣٧) تُرجم الكتاب إلى اللغة البهلوية. ومن هذه الترجمة صيغت ترجمتان: سريانية وعربية واتم الأخيرة عبد الله بن المقفع (المتوفى عام ٧٧٨). وأصبحت ترجمته العربية تشكل الأساس لكثير من الترجمات، واليها كذلك تعود الترجمة العبرية التي أتمها الحاخام يوئل Rabbi Joel، والتي نقلها اليهودي الذي تمسح وتعمد باسم يوهانس دي كاپوا Johannes de Capua بين ١٢٦٣ و ١٢٧٨ إلى اللغة اللاتينية. وكان لهذه الترجمة اللاتينية تأثير متصل على أوروبا المسيحية.

٣ = وهناك كتاب آخر من أصل هندي وهو كتاب السندباد، الذي يعتبر إلى جانب كليلة ودمنة، على حد رأى بنفائى، «في قمة دائرة أدبية شرقية عظيمة الشمول كبيرة الأثر». وتظهر قصة السندباد بالعبرية تحت اسم «سندبار» Sendabar، وفي اليونانية «Syntipas»، وفي أوروبا تحت عنوان «السادة الحكماء السبعة». ويُعَلّق الناشر هيلكا Hilka على إحدى الترجمات اللاتينية الحديثة الاكتشاف، والتي نقلت عن الترجمة العبرية، بقوله: «تحصل هذه المخطوطات على قيمة فريدة



Wacht an! sie ist da ein Vogel, ein
der Waldungen! Keine, die hier
auf gro'ne Zweiglein, noch
die Sonn' recht schön, es
nimmt die dünnsten Fadenfäden,
gehet von der Perlenschnur. Doch
Geht es schon das Wasserlein
der Kist'le, und es ist ein
die Luft, und die Fäden, gehen,
für ihn best'et alleweil. Nie
es ist im besten! Die Fäden, zwei
schöne Fäden, gehen, Erleben
ihre Fäden, es ist ein
Faden hinein, hier bei dem
Faden, gehen in den Faden
aus, da nach, diesen Faden
mlein und dasen ist eine,
und Fäden und Fäden, und Fäden,
die es gehen in den Faden
wie eine Fäden Fäden,
erleben ein Fäden, auch
sich in Fäden Fäden, die
Fäden! Dann hinein, da
nach eine Fäden nach
gehen ein und eine, da Fäden
Fäden und Fäden, dann Fäden
für noch so reine, den Fäden
schien mit den Fäden, so
schien sich recht in Fäden,
schien, auch die Fäden,
reht Fäden und Fäden,
erleben zum Klang die Fäden,
ein Fäden, das Fäden,
Fäden für sein ein Fäden,
so lernen nur das Fäden, ist
nur ein einzig Fäden
Sonn' und Fäden,
sagen nur allein, gelobt sein
Sonn', das Fäden, Fäden

Wacht auf die Kleinen Schüler
sehn der keuren Consequenzen,
sieht an des Festtags Hocklein
und macht sich aus die Kneue,
Bregorius des Schreifters best
vordier anzuohmen, auch schicket
der Frühlung auf der Hand die
fette Feudenkronen, Einmal
Wandte der Christen war, daß
man in diesen Zeiten die Kinder
an in hoher Schone zu Schaf
und Kirch that seiden. Ein Kin
der bischof wählet man, und ab
den in zwei Pfand, so vom hohen
König, hantwerckmann, Gold
an, hantwerck und Eisen. So
siege einher ein jeder Stand, in
Kleiden uson gezeiget, und jedes
Kirch in seiner Hand sein Har
verwerckung auch fuhret. Dem Bis
chof wird ein hertenlich die
Bischof vorgetragen, was das
für ein Bedandniss hab, merke
auf, ich will es noch sagen. Die
Bischof heisset Bismarck, der
Vordien für die Kinder, die in
der Schule sit sind kumen und
dumme gleichwie die Kenden. Sie
hnt in sich auch die Tugue von
den Buchstaben alten. Bist hier,
beist dort auf rechter Hand, gie
das will ich gesellen. Die Tugel
ist ein liebes Buch, zu wirt's
bist außdruckt, die krenst's
von Bismarck an Bismarck, und
wirt's dreunt mit verliken. Du
kannst es thun bist in den Ge
wandt dies in abgerunden, die
krenst also ungenüß, das
du zum Es thort's kommen.

Heidelberg bey Mohr und Zimmer 1808.

صورة مأخوذة عن الطبعة الأولى لكتاب: «البوق السحري للصبي».

بيتروس الفونسو نفسه: «ولهذا السبب فقد ألفت كتاباً جعلت جزءاً منه يتكون من أمثلة الفلاسفة ومحسناتها العربية مع اقصيص وأشعار، وجزءاً آخر يتكون من تشابه الحيوانات والطيور.» وقد تم البرهان على الأصول العربية لثلث هذه الحكايات. وفي بعض الأحيان يشير بيتروس ألفونسو بنفسه إلى منبع قصته بقوله: «العربي المقضى عليه بالموت...» وحتى يبيديه Bédier، الذي يرفض فكرة انتقال الحكايات الخرافية، يعترف في أربع حكايات بالأصل العربي: حكاية نصف الصديق وحكاية الكليب الباكي (شوفان ٨، ص ٤٥ و ٩ ص ٢٢) (شوفان ٩، ص ١٥)، وحكاية قاطف الكروم (شوفان ٩، ص ٧)، وحكاية الفلاح والعصفور (شوفان ٣، ص ١٠٣؛ باسيه Basset، ٢، ص ٢٦٩ - ٢٧٧). وقد أثبت باسيه في كتابه: «ألف ليلة وليلة، روايات



الصفحة الأولى من الطبعة الأولى لمجموعة الأغاني الشعبية الألمانية التي أصدرها
 كليمنس برنتانو Clemens Brentano وأخيم فون آرnim Achim von Arnim
 عام ١٨٠٨ تحت عنوان: «البوق السحري للصبي».

من نوعها من حيث أنها تبدو وقد أقامت الجسر بين الشرق والغرب».

مجموعات الاقاصيص الاوروبية

ولنوجه أنظارنا الآن إلى مجموعات الأقاصيص والروايات الأوروبية، التي ألفت أو جُمعت في الغرب فعلاً، ولكنها تقوم إلى حد ما على عناصر أو نماذج شرقية تم الحصول عليها من التداول الشفوي أو التوارث الأدبي. ويحتل المكان الأول بينها مجموعة «الأنظمة الكنيسية Disciplina Clericalis» التي ألفها اليهودي المعمد بيترس ألفونسو Petrus Alphonso عام ١١٠٦. وتحتوي هذه الأنظمة الكنيسية، وهي أقدم كتاب روائي في العصر الوسيط، على ٣٤ أقصوصة أصبحت جميعها جزءاً لا يتجزأ من الأدب الروائي الفكاهي الأوروبي. ويقول

وحكايات خرافية، المجلدات ١-٣، ١٩٢٤-١٩٢٧»
على وجود نماذج عربية أخرى اشتقت من الأدب العربي:
كحكاية الشاعر والأحدب (شوفان ٩، ص ١٩)؛ وحكاية
ابن المدينة والفلاح (شوفان ٩، ص ٢٨؛ باسيه ١،
ص ٥١٦-٥١٨)؛ وحكاية البئر (شوفان ٨، ص ١٨٤؛
باسيه ٢، ص ١٢٧-١٣٠)؛ وحكاية الأعمى وزوجه
وعشيقتها (باسيه ٢، ص ١٥٠-١٥٢)؛ وحكاية
الصناديق العشرة (شوفان ٢، ص ٩٢؛ ٥، ص ٨٥
و٢٥٢؛ ٨، ص ٦٣-٦٤؛ ٩، ص ٢٣ و٢٥)؛
وحكاية كيس النقود المفقود (شوفان ٩، ص ٢٦)؛
وحكاية اللص وشعاع القمر (شوفان ٢، ص ٨٤؛ ٩،
ص ٣١). وما يؤسفني أنني لا أستطيع أن اتبع تاريخ
عناصر هذه الحكايات في هذا المجال، رغم أهمية الأدلة
الطريفة التي توصل إليها الباحثون في ذلك. واشير فقط
إلى «حكاية العجوز وكلبها»: فقد اقنعت امرأة عجوز
امرأة محتشمة عفيفة أن كلبة كانت تعوى من شدة ألمها
لآلئها فطائر مزجت بالتوايل الحادة كانت ابنتها وقد
استحالت إلى كلبة صغيرة لأنها صدت عاشقها. واضطرت
المرأة العفيفة أخيراً إلى الإذعان. وقد قام بترجمة هذه
الحكاية شتاينهوفل Steinhöwel (المتوفى حوالى ١٤٨٢)
وباولى Pauli (المتوفى حوالى ١٥٣٠) وقام هانز زاكس
Hans Sachs بتنقيحها. وقد نقلها ياولى مباشرة من
مجموعة «الأنظمة الكنائسية» وضمها إلى مجموعته الفكاهية
التي أنشأها عام ١٥١٩ تحت عنوان «مزاح وجد»
Schimpf und Ernst، كما أشار بولته Bolte إلى ذلك
في تصديره.

وفي إسبانيا ألف خوان مانويل Juan Manuel (القرن
الرابع عشر) مجموعة الحكايات التي تحمل عنوان «الكونت
لوكانور» El Conde Lucanor التي نقلها يوزف فون
آيشندورف J. von Eichendorff إلى الألمانية. وتحتوى
هذه المجموعة على تراث قصصى كبير من الشرق. ألا يشير
الاسم نفسه إلى الأصل العربي؟ فالاشكال الوسيطية
المتعددة للاسم الواحد: لوكانين Lucanin ولوكانيان
Lucanian ولوكامان Lucaman قد تكون تحويرات
للاسم العربي لقمان. وقد اعطى شوفان في المجلد الثانى،
ص ١٤٧-١٦٢، تحليلاً للأربع والخمسين حكاية التي
تحتويها المجموعة. ونذكر من ذلك أن خوان مانويل قد
استقى بعض محتويات حكاياته من بارلام Barlaam
ويوزاف Joasaph ومن بيترس ألفونسو ومن مجموعة
«أعمال الرومان» التي سنبحثها الآن. ولو تتبعنا المواد

الوفيرة التي قدمها شوفان لتمكنا من الإشارة إلى الخيوط
التي تصل كثيراً من هذه المواد بالاصول العربية. فموضوع
أوثيلو (عطيل) مثلاً تتناوله حكاية «التاجر العائد من الغرب». و
تساهم في ذلك أمثلة كثيرة مشابهة من الأدب العالمى.
والطريف أن خوان مانويل يجعل للقصة نهاية سعيدة،
بينما تظهر الصيغ العربية خاتمة تراجيدية. وتتخذ آخر
الحكايات التي تسربت إلى كتاب الحكايات والقصص
الخرافية التركى «خروس قاردش» نهاية مأسية كذلك.
وهكذا فإن الصيغة الروائية التي انتقلت إلى كتاب
«الكونت لوكانور» في القرن الرابع عشر تعتبر جسراً بين
الشرق والغرب.

وهناك كتاب آخر، كان واسع الانتشار كثير التداول
في العصر الوسيط، وهو كتاب «أعمال الرومان» Gesta
Romanorum. وتختلف الآراء حول مؤلف هذا الكتاب
ومكان تأليفه وسنة صدوره. وما يهمنا نحن هنا هو مضمون
الكتاب فقط؛ فهو يحتوى على أساطير وحكايات خرافية
وقصص حب وخيانات زوجية، تضم عناصر قصصية
اغريقية ويهودية ومسيحية وكذلك شرقية. وفي الدراسات
والأبحاث العلمية الكثيرة المتوفرة حتى الآن لم تعالج،
حسب رأيي، مسألة المصادر الشرقية بالكفاية والتفصيل
اللازمين. وعند المقارنة التاريخية الأدبية سيتضح المدى
الذى بلغه الاستقاء من المصادر الشرقية. إذ يمكن التذليل
على عدة نماذج اشتقت من بارلام ويوزاف (شوفان ٣،
ص ٩٨، ٩٩؛ ٤، ٩٩؛ ٦، ١٠١؛ ٨، والخ)، ومن
كليلة ودمنة (شوفان ٢، ص ٨٤؛ ١١، ٩٤؛ ٤٣، ٩٦؛
٥١، ٩٩؛ ٥٨، ١٠٦؛ ٧١، ١٢٨، ١٣٧، والخ)؛
ومن الأنظمة الكنيسية استقى أربع عشرة مرة.

وفي أواخر العصر الوسيط تحتل بعض المجموعات الأدبية
الاطالية مكان الصدارة من التبادل في التراث القصصى
ولابد لنا من ذكرها هنا بإيجاز. ولا أود التعرض لمجموعة
ديكاميرون لبوكاشيو، بالرغم من وجود عناصر شرقية بين
المصادر الأدبية والشفوية السماعية التي استقى منها قصصه.
وأود بساى ذى بدء أن أذكر سترابارولا Straparola،
الذى وضع في مجموعته «الليالى المبهجة» ما كان يتداوله
الناس آنذاك من كنوز قصصية. ومن الجلى أن يوجد
بينها شيء وفير من التراث القصصى العالمى؛ ولكن الشيء
المفاجئ هو الدقة التي أعاد فيها سترابارولا سرد بعض
الحكايات الخرافية الشرقية. وقد دفع هذا بيراكلمان
Brakelmann إلى افتراض وجود ترجمة لاتينية
أو ايطالية من مجموعة القصص السنسكريتية «پانتشاتنرا»

Pançatantra، ومن ألف ليلة وليلة وغير ذلك. ولم يقيم باسيلي Basile كذلك يجمع مواد قصصه «پنتاميرونه» Pentamerone من القصص المتوارثة المحلية في نابولي فحسب، بل ومن دون شك، من القصص التي كانت الألسن تتداولها في الاماكن التي كان يعيش فيها أيضاً. والمعروف أنه مكث من ١٦٠٤ حتى ١٦٠٧ في جزيرة كريت، حيث اتاحت له فرص كثيرة للتعرف إلى الحكايات الخرافية التركية. وما كان منه إلا أن أعاد صياغة هذه العناصر القصصية بكثير من الحرية والخيال الخصب، بحيث كان يربط فيما بينها حيناً ويحيلها إلى حكايات جديدة حيناً آخر. ويجوز لنا القول ان بعض حكاياته لا تتجاوز كونها حكايات خرافية تركية (والأمثلة على ذلك: المجلد ١، ١؛ المجلد ١، ٥؛ المجلد ١، ٦؛ المجلد ٢، ٣؛ المجلد ٢، ٨؛ المجلد ٣، ٤؛ المجلد ٤، ٩؛ المجلد ٥، ٤؛ المجلد ٥، ٨؛ المجلد ٥، ٩). وقد قلدت قصصه «پنتاميرونه» على يد ماسيليو ريبونه Masillio Reppone في مجموعته «پوزيلكيساتا» Posilecheata وكذلك كوتسي Gozzi في مجموعته «Fiabe Dramatiche» وكان لها أثر ونفوذ كبيران، وخاصة كوتسي الذي يدين له شيلر وتيك وبرنتانو، الشعراء الألمان حوالي عام ١٨٠٠.

عناصر اسطورية شرقية منفردة

وفي حقل الأساطير الشعبية تتضح التأثيرات الشرقية بجلال. ومن المعروف أن الاساطير لا تتقيد بمكان معين، بل كثيراً ما تنتقل إلى اماكن اخرى بحيث لا يتغير إلا اسماء الاماكن والأشخاص. فأسطورة القيصر الألمانية التي تروى أن الملك النائم في الجبل سيعود للظهور مرة ثانية، يمكن أن نقدم الدليل على وجودها في القرن الثامن في البلاد العربية. فحسب رواية ابن خلكان (ترجمة دي سلان de Slane، المجلد ٢، ٥٧٧) كان الكيسانيون يعتقدون أن ابناً لعلی بن ابی طالب، محمداً بن الحنفية، لم يمت وانما مازال يعيش في جبل الرضوة. إن هذه الاسطورة، التي يختلف تناقلها في الأدب العربي، انتقلت من شمالي أفريقيا إلى صقلية، حيث أريد لها أن تطبق على فريدريش الثاني، الذي اعتُقد أنه ينام في سبات عميق على جبل إتنا. وفيما بعد فقط أخذ مكان فريدريش الثاني في الاسطورة الامبراطور الألماني فريدريش الاول المشهور بـ «بارباروسا»، الذي جعل نائماً في جبال كيغفويزر Kyffhäuser.

ولابد أن يكون كل تلميذ ألماني صغير قد سمع ولومرة واحدة

نادرة «فريدريش الكبير وطاحونة سانسوسي» التي لا تنطبق على الحقيقة التاريخية. إذ أن الطحان مولر كريفتنس، الذي لم يرث الطاحونة من أسلافه، والذي لم يقيمها هناك إلا قبل بناء القصر بحين، أراد أن ينقل مكان الطاحونة بنفسه، إذ منع بناء القصر حركة الرياح عن مروحتها. إذن فالطحان هو المتضرر في ملكه، وليس الامبراطور الشيخ، الذي أراد أن يبقيا في مكانها القديم للزينة والتجميل. وقد تحقق من هذا ل. شنايدر L. Schneider في بحثه «الطاحونة التاريخية بالقرب من سانسوسي» (الأبحاث الميركية، برلين ١٨٥٨، ص ١٦٥-١٨٣). ولكن نموذج هذه القصة الأصلي موجود في الأدب العربي، حيث تروى بصيغ مختلفة. ونذكر كأمثلة على ذلك رواية ياقوت، المجلد الأول، ص ٤٢٦، والقزويني، المجلد الثاني، ص ٣٠٤ (ترجمة ج. ياكوب G. Jakob في مجلة الاسلام Islam، ١٨، ص ٢٠٠-٢٠٤) ونذكر كذلك رواية الشرواني، ترجمة أ. ريشر O. Rescher، ص ٣٥. وكما تقول الرواية فإن الملك الساساني كسرى أنوشروان، عند بناء بلاط عرشه، أمر بشراء البيوت المحيطة بالمكان من أصحابها بأثمان وافرة. وكانت تعيش بجوار القصر امرأة عجوز كانت تملك مزرعة صغيرة. ورفضت المرأة بيع مزرعتها وقالت: «والله إني لن أبيع جوار الملك بكل ما في العالم من ثروة وغنى! ثم أمر الملك ببناء قاعة العرش وبالإبقاء على المزرعة الصغيرة في مكانها. أما الرواية كما أوردتها الإشيبي في القرن الخامس عشر فقد جاءت على الشكل التالي: أرسل الامبراطور اليوناني رسولا إلى ملك الفرس أنوشروان، مالك قصر العرش الشهير. وعندما نظر الرسول إلى قاعة البلاط الملكي لاحظ التواء في أحد الجوانب. فسأل المترجم عن ذلك، فأجابه بقوله: «هناك بيت تملكه امرأة عجوز، رفضت بيعه عند بناء قاعة العرش. ولكن الملك لم يرغب في أجبارها على البيع وترك بيتها إلى جانب القاعة. هذا ما تراه وما سألت عنه.» وعندها قال اليوناني: «حقاً إن هذا الإلتواء لأجمل بكثير مما لو كان الجناح مستقيماً؛ وإن ما فعله ملك الزمان لا مثيل له قبل زمانه، ولن يكون له مثيل بعد زمانه.»

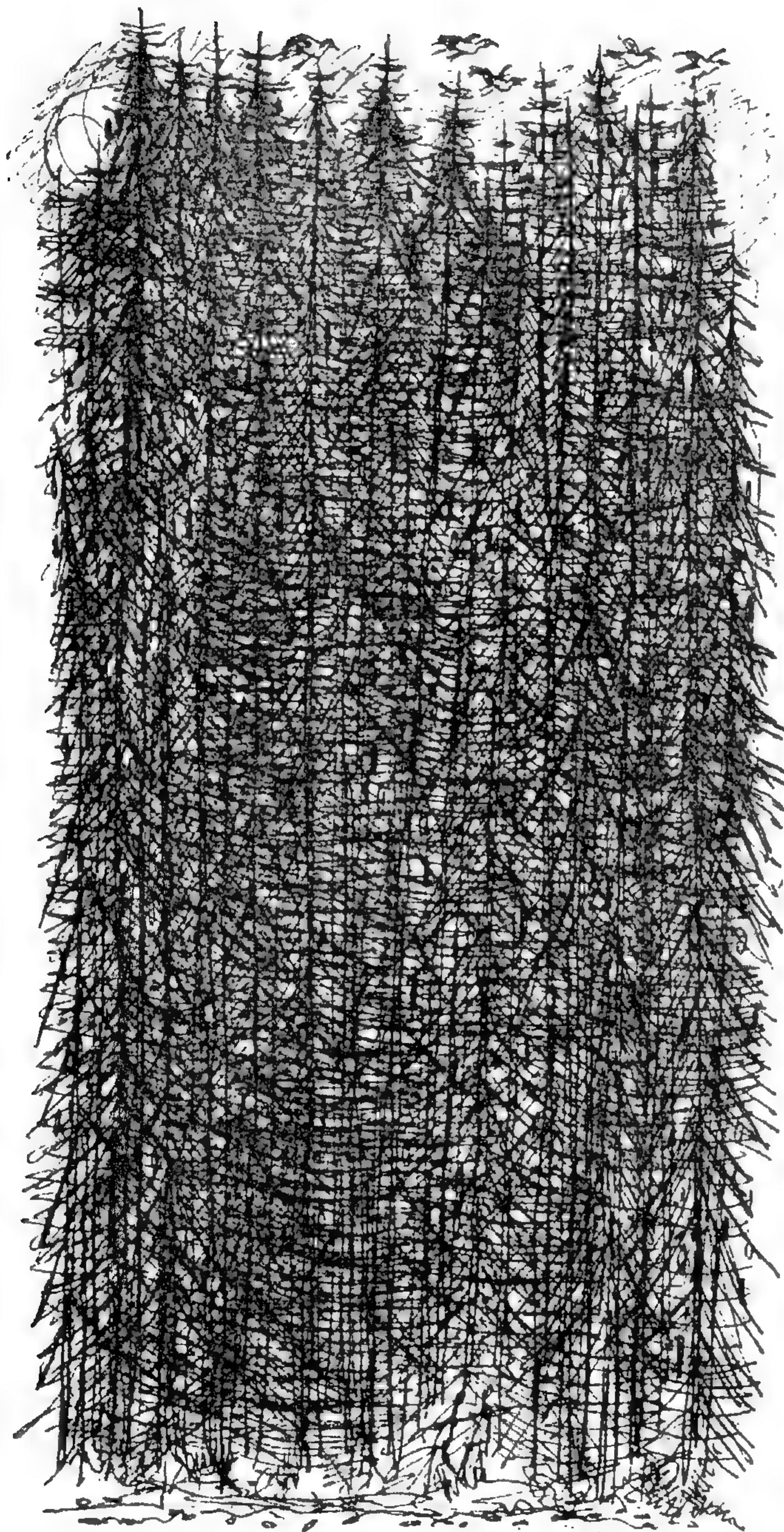
لقد كانت هذه الصيغة من الرواية الجسر الذي انتقلت عبره إلى أوروبا. وأكثر من هذا أننا نعرف الوسيط الذي نقلها: إنه كريستوفوروس ليمان Ch. Lehmann (المتوفى عام ١٦٣٨) الذي قال في كتابه «باقة مختارة من النوادر السياسية» Florilegium politicum auctum «كان

يوجد أمير في فارس يدعى كسرى وأراد أن يبنى لنفسه قصرًا كبيرًا، وكان لابد لذلك من هدم بيوت كثيرين من رعاياه، فاشتراها مع حداثتها منهم بمال وفير. ولكن امرأة عجوزاً رفضت أن تبيع بيتها الذي أراد الأمير أن يشتريه فلم يستخدم العنف معها، إذ كانت قد ولدت وترعرعت فيه، وأرادت أن تموت فيه أيضاً. ولكن الأمير لم يكثرث للبيت الصغير بل تابع بناء قصره بحيث اشتمل على البيت الصغير أيضاً. وكان البناء يثير الإعجاب والثناء. وفي ذات مرة قال سفراء أجنبية إن البيت الصغير يشوه البناء الجميل بكامله. فأجاب الأمير بأنه يعتبر أن أجمل ما يزين قصره هو أن يشاهد من ذلك مدى حبه للحق والعدل وعدم استخدامه القوة والبطش ازاء رعاياه.

وعندما تعلمنا في المدرسة قصة شيلر «السير إلى كور الحداد»، لم يقل لنا أحد أن عناصر القصة ذات أصول شرقية، كما أثبت كوسكان Cosquin ذلك. فقد ظهرت القصة في الهند من القرن الثالث حتى التاسع عشر في عدة صيغ مختلفة، وأقدم شكل لها ما يلي: ولد بودستافا (بوذا) ابناً لرجل فقير. وعندما تشرد تبناه رجل غني ما لبث أن ولد له ابن بعد حين، ولكن صفات بودستافا ومزايه الفاضلة كانت تبرزه وتغطي على الابن الحقيقي. ولكي يتخلص الرجل من ربيبه أرسله مع رسالة إلى حداده يأمره فيها بالقاء حامل الرسالة في قرن التعدين. وأثناء الطريق يقابل بودستافا أخاه بالتربية ويرجوه أن يحمل الرسالة إلى الحداد. وهكذا لقي الطفل الصغير حتفه في القرن. ولعل كوسكان يرى أن موضوع النصائح الحسنة كان مرتبطاً في الأصل بهذه القصة، بحيث أن الصبي اتبع هذه النصائح بالفعل، بينما نقرأ في قصة شيلر أن فريدولين بعد نصيحة سيده ظل يستمع إلى القديس. وفي أشكال القصة الهندية المتأخرة تظهر الشخصية بالموضوعات الرئيسية التالية: الصبي لقيط، ويكتشف ذات يوم زوجة سيده وهي تزني، فتسبى إليه وتشهر به، فيرسل ليلقى حتفه، ولكن الزانيين، بدلاً منه، يلقيان جزاء أثمهما. وهناك عدة أشكال للقصة في الأدب العربي، نجدها لدى آميدروز Amedroz وباسيه وشوفان. وكمثل عليها نورد قصة أحمد اليتيم: يتبنى محسن غني الطفل اليتيم أحمد. ويكلف الرجل ربيبه الأمين أحمد بالعناية بابنه الحقيقي إبي جيش، الذي يولى أخاه بالتربية كذلك ثقة تامة. وفي ذات يوم يفاجئ أحمد مغنية سيده المحظية وهي تعانق أحد العبيد. ثم حاولت المغنية اغراء

أحمد واطهار غرامها له ليسكت عما رآه، ولكنه رفض الانصياع لإغراءاتها. واذ خشيت المغنية أن يشي بها، اتهمته أمام سيده بمراودتها عن نفسها. فكلف السيد أحد مستخدمييه بأن يقطع رأس الشخص الذي سيأتيه بوعاء يملأه بالمسك. وعندما توقف أحمد أثناء طريقه لأمر ما، قام العبد - عشيق المغنية - بتنفيذ المهمة؛ وهكذا قطع رأسه. ثم سأل أبو جيش أحمد الذي نجا رأسه من القطع عن ذنب القتل، وعندها أطلعته أحمد على الحقيقة. وعندها أمر بقتل المغنية أيضاً. ويوجد في الأدب اليهودي عدد من القصص المماثلة لهذه كشف غاستر Gaster وليفي Lévi النقاب عنها. وقد أجريت على الاشكال الأصلية الشرقية بعض التغييرات في أوروبا. فقد نقلت القصة هنا لتدور حول الامبراطورة القديسة كونيغونده Kunigunde، التي اتهمها وصيف بالزنى مع أحد فتيات النبلاء. وبينما كان الفتى النبيل لا يزال يستمع إلى القديس، ألقى بالوصيف الذي نفذ صبره في القرن. وحصلت القصة على قالب فني في «أسطورة قديسة البرتغال اليزابت» (١٢٧١ - ١٣٣٦). وقد استقى شيلر مادة قصيدته من القصة الثالثة عشرة من كتاب «المعاصرات أو مغامرات أجمل نساء العصر الحاضر» لرستيف دي لا بريتون Restif de la Bretonne.

ومن القصص المعروفة أيضاً قصة الكفالة لشيلر، وكما أثبت گراگر Gragger فقد استقى شيلر عناصر قصته من كتاب «أوراق النخيل» Palmblätter لمؤلفيه هرر Herder وليبسكند Liebeskind وكرماخر Krummacher (المجلد الأول، ٧٧)، والذي صدر في يينا، بحيث لم يستق مادته من مجموعة أساطير هيغينوس Hyginus. وتدور عناصر القصة حول موضوعين: الصداقة والكفالة. ويعزى موضوع الصداقة إلى مجموعة «الانظمة الكنسية» لبيروس ألفونسو، الذي استعاره في الغالب من مصادر عربية، رغم عدم توفر الدليل على الحلقة العربية الوسطى في السلسلة حتى الآن. وخلافاً لذلك فإن موضوع الكفالة يمكن التدليل على أصوله العربية بأشكال مختلفة. فقد كان الملك النعمان قد قرر يوم سعد ويوم نحس. وكان يكافأ كل من قابله في يوم السعد بالنعم الكثيرة، أما من جاءه يوم النحس فكان يؤمر بقتله. وفي ذات يوم وقع طائي ضحية هذا القانون. وقبل قتله رجا الملك أن يعطيه مهلة قصيرة لكي يجد وصياً على أطفاله، فأعطى هذه المهلة بعد أن قدم رجل لا يعرفه من قبل اسمه شريك كفالته بشأنه. وفي اللحظة التي كاد شريك أن يقتل فيها



Himmel u. Erde vertieren sich im Wald 80. 59

جرهارد أوبرلندر
Gerhard Oberländer
(ولد في ١٩٠٧):
منزل وجريتيل تاهين في الغابة.

الطبعة الخامسة لمتحف كلينجسبور
بأوفباخ ١٩٦٣
5. Druck des Klingspor-Museums,
Offenbach 1963

جاء الطائي يعدو لاهناً ليصل قبل فوات الأوان. وتأثر الملك كثيراً لهذا الوفاء الشديد وأمر بالغاء يوم النحاس. وفي قصة أولاند Uhland «سعادة إيدنهال» Glück von Edenhall تتوقف سعادة العائلة على المحافظة على سلامة وعاء (وقد نشرت صورة لهذه الكأس في العدد التاسع لفكر وفن). وهذه الفكرة هندية في الأصل وتعود إلى مجموعة أساطير ياتاكا Jataka: إذ يحصل صبي من والده على قدر يلزمه بالمحافظة عليه ووقايته. وطالما بقي هذا القدر سالمًا حصل الابن على المال والسعادة. ولكن الصبي نسي الأمر وقذف في نشوته بالقدر في الهواء، فسقط القدر وتخطم. ومنذ تلك اللحظة اختفت السعادة، وأصبح الصبي فقيراً واستحال إلى بائس متسول.

وبالنسبة لقصة أولاند «ضربة السوابي» Schwaben-streich ، والتي تروى كذلك عن كونراد الثالث أثناء الحملة الصليبية، قدم ج. ياكوب ما يقابلها في العربية. إذ ضرب السلطان مسعود ابن محمود ابن سبكتجين الشهير، ضرب الفارس الذي كان يطارده فنصفه شطرين.

وفي أيام المدرسة تعلمنا عن ظهر قلب قصيدة Platen: «همس أغاني حزينة على شاطئ نهر بوزنتو ليلة من الليالي» Nächtlich am Busento lispeln ، وهي قصة دفن الملك الغوطي ألابريش Alarich بالقرب من مدينة كوزيننتسا Cosenza وذلك بتحويل نهر بوزنتو. وهناك أمثلة مشابهة في الأدب العربي. ولا نعرف إذا كانت هناك تأثيرات مباشرة أو مجرد وجهات نظر عامة يمكن أن تنشأ في كل مكان بعضها مستقل عن البعض الآخر. ففي ياقوت، المجلد الثاني، ص ٤٣٨، يذكر أنه عندما يموت ملك بين الخزار يوجه الماء إلى القبر بحيث يموت الحفارون لكيلا يعرف أحد مكان الدفن على وجه التعيين. وفي ابن خلكان (في النسخة المترجمة، الجزء الرابع، ص ٢٥٠) نقرأ أن أميراً يدفن في مجرى مائي لكي يظل القبر مجهولاً. وهناك مثل مشابه آخر ورد في المسعودي، ٥، ص ٤٧٠، وجاء فيه أن زيدا بن علي دفن في ساقية بعد مصرعه في قتاله مع الأمويين من أجل الخلافة. وكما جاء في ياقوت، ٣، ص ١٨٩، فقد أمر الخليفة عمر بن الخطاب بتحويل نهر فوق قبر النبي دانيال في سوسة ليظل مجهولاً بين الناس، وذلك منعاً لعبادة القديسين المحظورة في الإسلام. (ب. شفارتز، إيران في العصر الوسيط، ص ٣٦١ P. Schwartz, Iran im Mittelalter). ويحتل كتاب الشاهنامه «كتاب الملوك» للفردوسي، الذي

يحتوي على كثر وافر من الحكايات الاسطورية الإيرانية، مكاناً رفيعاً في الأدب الفارسي. فيه يبدأ الأدب الفارسي الحديث في الواقع. وكثيراً ما أشير إلى أن الاساطير الإيرانية التي يملك الأوروبيون نماذج مماثلة لها، إنما بلغت أوروبا بطريق التداول الشفوي السماعي المتوارث. فثلاً هناك شبه كبير من حيث العناصر القصصية بين اسطورة سهراب ورستم واغنية هلدبراند الألمانية، التي حاول بوتير Potter تفسيرها بطرق اثنولوجية أصبحت شيئاً قديماً اليوم. وكما أثبت تيودور نولدكه T. Nöldeke فإن بعض عناصر اغاني دائرة بطولية فلاديمير Wladimirs Heldenkreis مستقاة من الشرقيين. وبالتفصيل فقد تتبع فولنر Wollner آثار الاساطير البطولية الإيرانية ومدى تأثيرها على الشعوب السلافية الجنوبية، بينما أظهر أ. كريستنسن A. Christensen المواضيع والعناصر المشتركة في الأساطير الفارسية والشمالية. وفي هذا المجال يمكن الإشارة كذلك إلى دائرة اساطير «العفريت المكبل» Der gefesselte Unhold التي قام بدراستها كل من م. أمهولم M. Anholm وف. فون در لاين من حيث العناصر القصصية. ويتناول الأول الاسطورة القفقاسية ويفترض احتمال وجود علاقة بينها وبين تفاصيل وصف راكناروك Ragnarök في الأساطير الشمالية. وقد عالج ك. كرون K. Krohn هذه المسائل مرة أخرى وتوصل استناداً إلى الامثلة والنماذج المشابهة الاسيوية إلى النتيجة التالية: «إننا بذلك نستنتج أن عدداً من الأساطير الشمالية قد تطور من القصص الخيالية المسيحية وأن النماذج التي كانت قائمة قبل المسيحية لهذه القصص يجب ألا يبحث عنها في أوروبا، بل في آسيا».

لقد اخترق الغرب تراث شرقي كبير عبر بيزنطة. وتشبه الرواية اليونانية التي ألفها كاليبماخوس Kallimachos وكريسورو Chrysorrhoe الحكاية الشرقية شهياً تاماً. وقد دلت دينهارت Dähnhart على العلاقات البيزنطية بالشرق بمثل معين. وفي هذا المجال يجب ألا يستهان بنصيب السوريين من الوساطة. فإلى جانب الوساطة العربية يلعب السوريون، ولا سيما النساطرة، الدور الرئيسي. ويظهر رسل Ryssel الذي بحث في اسطورة سيبريانوس Cyprianus مدى النقل والترجمة من العناصر الأدبية السورية.

أدب الأساطير المتوارثة

كان أدب الأساطير والقصص التهذيبية الدينية وافراً جداً في الكنيسة السريانية، وخاصة السريانية الشرقية، أي

النسبورية وذلك منذ القرن الخامس الميلادي. وكان للشرق المسيحي نصيب كبير في تكوين الاساطير المسيحية والحكايات البطولية الدينية ونقلها. وبطرق مختلفة، منها وساطة الفرسان الفرنكيين، أخذ الغرب يتعرف على هذا الكثر من الأساطير التي أخذ في تحويلها إلى قصص دينية.

وفي سير قديسي العصر الوسيط وكراماتهم لا نستدل على أوجه تشابه مذهلة بينها وبين القصص الشرقية فحسب، بل ويثبت النقل المباشر لعناصر هذه القصص كذلك، وتطبيقها على شخصيات القديسين الأوروبيين. وقد جمع تولدو Toldo الصيغ الشرقية للأساطير والنوادر القديمة «كالتضحية ذات الجزاء الحسن» Die wohlbelohnte Aufopferung و«لعبة القديسة تيودورا» Das Spiel von der heiligen Theodora و«تقسيم عادل» gerechte Teilung وتوضح منذ البداية معالم كالولادة المعجزة، والحكمة الإلهية، وأعمال الآلهة، وتشير كلها إلى الشرق، وخاصة إلى الهند.

كما أن الهداية الدينية بوساطة حيوان ما تشير إلى الأصل البوذي. وهكذا فلم يكن مفاجئاً أن يصبح من الممكن إعادة اسطورة هويرتوس إلى الهند، وكانت قد انتقلت منها إلى المسيحية الأوروبية بوساطة النساطرة. وتوجد هذه الاسطورة في مجموعة أساطير وحكايات ياتاكا (ترجمة دوتوا Dutoit، ١، ص ٦٤-٧٥)، حيث يروى غزال نيكرودا نفس القصة. وقد وجد ج. ياكوب الحلقات الوسطى الاسلامية لهذه القصة لدى القزويني، تصدير فوستنفلد، ٢، ص ٢٢٢، وكذلك فريد الدين العطار، كتاب تذكرة الأولياء، تصدير نيكولسون، ١، ص ٨٦. وفي العصر الوسيط المسيحي تظهر الاسطورة باسم «أويستاكيس الهادي» Eustachius Placidus-Legende، والتي تتألف من القصتين: الهداية والاستشهاد، وهي مذكورة في كتاب «أعمال الرومان» Gesta Romanorum (Aarne-Thompson، ص ٩٣٨).

وبالطريقة نفسها انتقلت قصة «اكتشاف الصليب» واسطورة «عيد رأس السنة» واسطورة كريستوفوروس من الشرق إلى الغرب، كما أثبت ذلك دراسات تفصيلية.

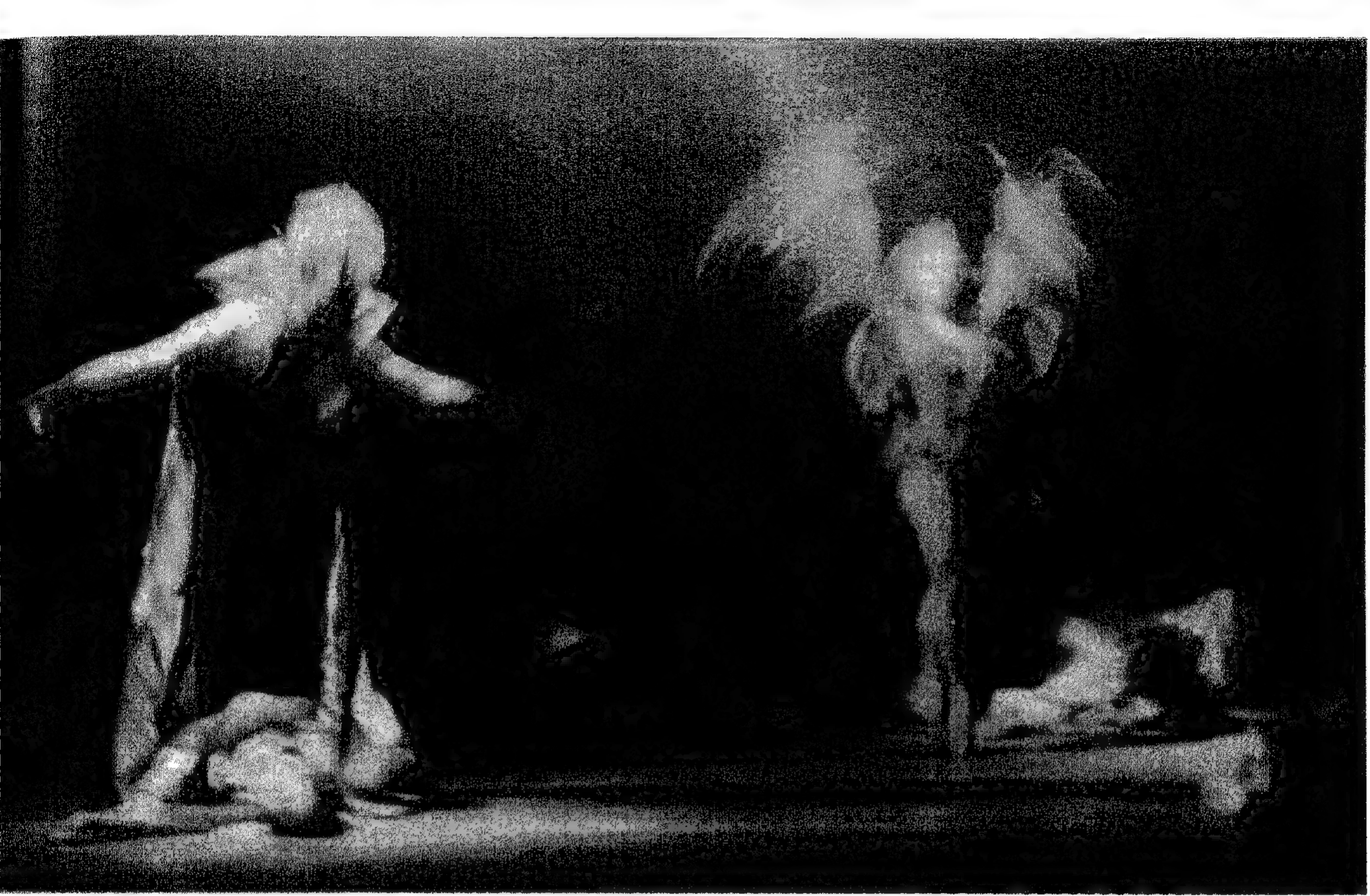
أما اسطورة النيام السبعة (اصحاب الكهف) فقد انتقلت من السريانية إلى اللغات الاخرى. ونجد عند يعقوب الساروجي Jacob von Sarug الشكل الأصلي لها. وأغلب الظن أنها تعود إلى التراث الاسطوري اليهودي

الذي يظهر في الأساطير المتوارثة المسيحية كما يدخل في نسيج الثوب الاسلامي المتطور.

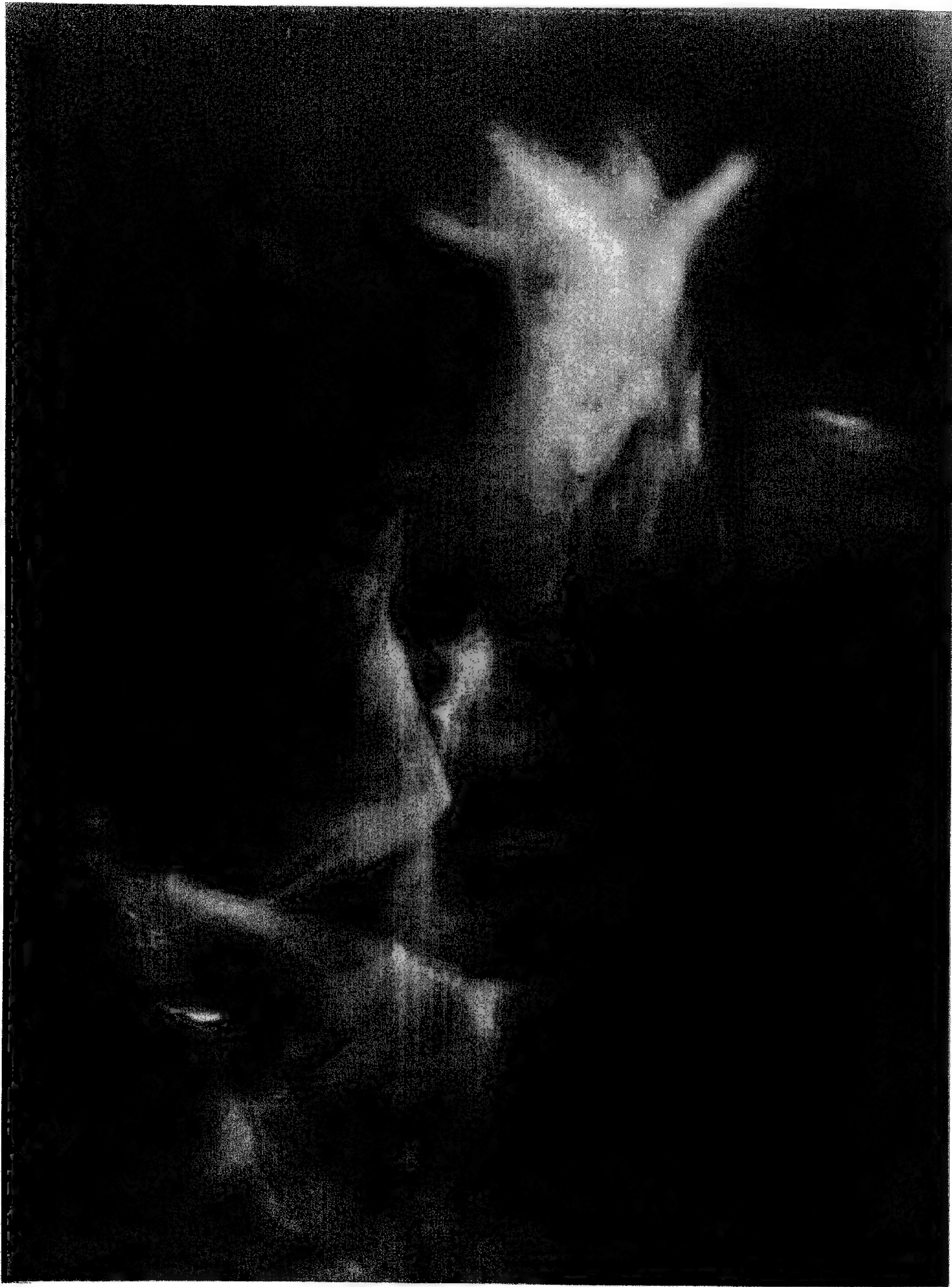
وبالنسبة لاسطورة «اوغستينوس والصبي على شاطئ البحر» Legende von Augustinus und dem Knäblein am Meer «الواسعة الانتشار والواردة كذلك في «قرن الصبي السحري» Des Knaben Wunderhorn فقد اثبتى. بولته (مجلة جمعية الدراسات الشعبية ١٦، ص ٩٠-٩٥) أن الشكل الاصلى للاسطورة جاء في العصر الصليبي إلى اوروبا وأجرى الرواة المسيحيون تحويراً عليه.

الشعر الغرامي الجرمانى الوسيطى

وهناك مسألة ترتبط بالعلاقات بين الشرق والغرب وهي مسألة أصل الشعر الغرامى الجرمانى الوسيطى الذى يدعى بالألمانية Minnesang ومسألة تطوره، وحتى الآن لم يتوصل إلى حل نهائى لهذه المسائل المعقدة. ويرفض بعض ممثلى اللغات الرومانية (مثل د. شيلودكو D. Scheludko) وجود أى تأثير خارجى على الاطلاق، بينما يعتقد بعض المستشرقين (أمثال ب. أ. ر. نيكل B. A. R. Nykl) بمقدرتهم على تتبع معالم التأثيرات العربية حتى ادق التفاصيل. ودون التعمق فى الأسباب والعلاقات الداخلية، يعزى ك. بورداخ K. Burdach مع ذلك الخصائص الخارجية للشعر الغرامى الجرمانى القديم إلى تأثيرات أجنبية - أى عربية - حاسمة. ولكن يمكن القول بكل تأكيد أن حقيقة الأمر عبارة عن ظاهرتين متشابهتين متوازيتين، يظهر بينهما تشابه مثير للانتباه، ولكن من حيث الشكل وليس من حيث المحتوى والمضمون: فبينما نجد فى الشعر العربى أن موضوع الغزل يظل مجهولاً وأنه يؤخذ من وسط عامة الشعب، نرى أن الشعر الغزلى البروفنسى يخاطب سيدات البلاط. ولو راعينا الخصائص الثقافية المتشابهة فى مركزى نشوء هذا الشعر، أى فى الاندلس والبروفانس، فأننا نعرف ونسلم دون جدل بإمكان حدوث اتصال وتماس متبادلين، دون أن نرى فى ذلك وجود العلاقة الوثيقة بين السبب والنتيجة. ولا يجوز فى هذا المجال أن ننسى أن تركيب الاغاني الغرامية الجرمانية، المتطورة من شعر التروبادور، يتألف من عناصر محلية كالتقاليد الغرامية القديمة والشعر اللاتينى الوسيط وشعر وموسيقى مارى دى فرانس، ويضاف إلى ذلك، بصفة ثانوية فقط، التراث العربى الاسبانى. ولكى نتوصل إلى الانصاف فى هذه المسائل المعقدة فى كليتها الشاملة، لا بد من ايجاد مكانها من رقعة حوض البحر الابيض الواسعة فى العصر



مشهد أن من باليه : «عصفور النار»
الذي عرض بدار الأوبرا البائية
Ballett der Bayrischen Staatsoper
تصوير : Robert Hetz



الوسيطى. وإن ما يجب أن يساهم به من جانب الأبحاث اللغوية العربية لإيضاح هذه المسائل ما يلي: ١ - جمع النصوص العربية الأساسية المتعلقة بهذه المسألة ونشرها، وخاصة نشر أشعار ابن قزمان، وهو مطلب لازم ملح؛ ٢ - نشر القصائد العربية الخاصة بالأغاني والأزجال الشعبية مثل كتاب صنى الدين الحلى «العاطل الحالى والمرخص الغالى»؛ ٣ - القيام بتحليل نصوص الأغاني الغرامية الجرمانية الوسيطية من وجهة نظر علم البيان العربى، أى من حيث الاستعارة والحجاز والكناية والتشبيه، وذلك أولاً لإظهار مدى علاقتها بالأسلوب العربى الكلاسيكى نفسه، لفصله عن العناصر الأجنبية، أى البروقنسية، وثانياً للتمكن بعد ذلك فقط من مقارنتها بالأشعار الرومانية المعاصرة إطلاقاً. وبهذه الطريقة فقط يمكن أن نميز ما بين التراث العربى الخالص، والعناصر الاسبانية المسيحية.

الشعر البطولى البلاتى

وبظهور الشعر الغرامى الوسيطى فى ألمانيا نشأت فى الشمال الغربى أولى الروايات والقصائد الملحمية الحماسية البلاتية، التى ألفت حسب نماذج فرنسية موجودة. ولكن بعض عناصرها تعزى إلى أصل شرقى. وتحتل المكان الأول بينها قصة العاشقين «الزهرة والزهرة البيضاء» Flor und Blanche flor. وتعود هذه القصة الحميلة إلى أصل بيزنطى، وقد انتقلت عبر إيطاليا إلى الغرب، حيث حورت بقلب منظوم وغير منظوم. وعلى أى حال فإن المادة القصصية ليست من أصل بيزنطى بل إنها حكاية شرقية تظهر عدة مرات فى الأدب العربى، وكذلك فى المثنوى الركى المسمى «ورقة وكلشاه» ثم تنتهى فى آخر صيغة لها فى كتاب شعبى تركى. ويمكن التدليل كذلك على وجود عناصر وموضوعات شرقية فى «زالمان ومورولوف» Salman und Morolof، وفى أورندل Orendel.

وتعتبر مادة اسطورة تريستان Tristanfabel كذلك من أصل شرقى. فبعد أن أشار إيتيه Ethé إلى صلاتها بالشعر البطولى الحماسى الفارسى، وبعد أن تحقق بيتسى من الأصل الفارسى، درس ر. زنكر R. Zenker اسطورة تريستان من حيث اعتمادها على القصيدة الملحمية الفارسية ويس ورامين، بحيث لا حاجة بي إلى الدخول فى تفاصيل ذلك. ولا أريد أن أضيف شيئاً سوى حكمى. سترتزيكوفسكى J. Strzygowski على هذه الدراسة: «إن أوجه التطابق تستبعد عامل الصدفة،

ولا يمكن تفسيرها إلا بافترض وجود اعتماد اسطورة تريستان الأصلية على الرواية الفارسية التى تعود إلى القرن الحادى عشر، أو على مصدرها الأبعد قدماً». وقد برهن سنكر Singer على وجود الشكل الأصلى للجزء الثانى من اسطورة تريستان، ونعنى بذلك قصة ايزولده ذات اليد البيضاء، فى الكتاب العربى «كتاب الأغاني». وفى قصيدة «الدوق ايرنست» Herzog Ernst (القرن الحادى عشر) ثبت الأصل العربى للمادة الروائية، حيث تتضح علاقتها بألف ليلة وليلة، بما لا يقبل الشك. ويعتبر ف. شوفان أن كل ما يمر بالدوق ايرنست من حوادث فى البلاد الغربية مستعار من حكاية «أمير خوارزم»، بينما يجد ل. يوردان L. Jordan صلات وثيقة برحلة السندباد السادسة، وكذلك بأجزاء من رحلته الثانية.

وكذلك فإن مصدر «هرقيس فون ميتس» Hervis von Metz عرنى؛ وإن يوردان لنى غاية الاقتناع بأنه «لا شك مطلقاً فى وجود علاقة بحكاية نورالدين من ألف ليلة وليلة». وبالنسبة لقصة «هاينريش المسكين» Der arme Heinrich، فإن هناك أيضاً مصادر شرقية؛ ولكن لا استطيع الدخول فى التفاصيل هنا، بل اكتفى بالإشارة إلى بحث ب. شميتز B. Schmitz وتحتوى الروايات التى تقوم على المغامرات، إلى جانب موضوعات من الأساطير البطولية، كذلك وبكل تأكيد عناصر قصصية مستوردة من بلاد أجنبية، كما نثر عليها دوماً فى أشعار الرواة. وفى أقدم رواية مغامرات، ونعنى بها رواية «رودليب» Ruodlieb، عثر على عناصر قصصية تعود بالتوارث السماعى إلى أصل شرقى. وبالنسبة لرودليب فقد ثبت «أن حكاية التعاليم الذهبية توجد فى كليلة ودمنة وكذلك فى اسطورة سكندوس Sekundus-sage، وأن هذه العناصر الشرقية فى الأصل لا بد وأنها كانت معروفة فى القرن الحادى عشر فى ألمانيا».

وفى بحث قصة بارسيفال لفولفرام Wolframs Parsival نبلغ موضوعاً معقداً لم يتضح بالتفصيل بعد. ولا ينكر أحد وجود عدة آثار شرقية فى بارسيفال، إذ يحتوى نص فولفرام عدة معلومات جغرافية وموضوعية وتفصيلية تشير إلى أصل شرقى. ويسرد فولفرام نفسه أن صاحبه كيوت - كيوت Giut-Kyot (اسم أرمينى؟) استقى القصة من كتاب ألفه «الكفار» - ويقصد بذلك العرب - وأن كيوت نقل القصة للسادة الفرنسيين فى فلسطين إلى اللهجة البروقنسية بمساعدة رجل فلكى. وأحضر الكونت فيليب فون فلاندر هذه الترجمة عام ١١٧٨ معه إلى أوروبا.

ونسبت الكتب الثمانية الأولى من بارسيفال إلى القصيدة الملحمية الايرانية الكبيرة بارزونامه. ويفسر زوتشيك Suhtscheck المعلومات الموضوعية والجغرافية والتاريخية بموجب الأصل الفارسي. وحسب روايته فقد وجد كيوت النص في $daulat = Dolet$ دولة، أى خانه خاص — Königsburg، في $Saphan = Spān = Spane$ ، في $Ispahan =$ أى اصفهان؛ وفي كلينكور Glinchor وقلعته المسحورة في «كابس في تيرا دى لابور» Kaps in terra de Labour يرى زوتشيك خنجيل Chindschil المعروفة في الاسطورة الايرانية في كابسيا في مملكة لاهور؛ وبعد تفصيلات أخرى يتوصل إلى الاستنتاج المفاجئ التالي: وهو أن ٦,٥٪ من القصة من إنتاج قولفرام الخاص، وأن ٦١٪ يشكل مادة اسطورية بطولية استقيت في عصر ما بعد الفردوسي، وأن ٣٢,٤٪ استقى من أصل اسطوري فارسي. ويتوصل باحثون آخرون إلى نتائج أخرى، ويضيق بنا المجال للدخول في تفاصيل بحثهم هنا. وعلى أى حال فإن جميع هذه المسائل الصعبة لم توضح بعد بشكل كامل لا غبار عليه. وقد حاول مؤخراً ف. ر. شرودر Fr. R. Schröder تقديم الدليل على أن الروايات المتوارثة الشرقية تسربت بواسطة الكاتاريين Katharer، والألبينغنسيين Albingenser وهم اتباع مذهبين مسيحيين تأثرا كثيراً بالشرق.

وقد زعم أن طريقة الجناس الوسيطية قد تأثرت بالقافية العربية، بحيث أشير على أثر ذلك إلى أن الكلمة الايطالية Stanza وتعني «الغرفة أو البيت» هي نفس كلمة Stanze التي دخلت الألمانية وهي الترجمة الحرفية لكلمة «بيت» العربية «بيت بمعنى منزل أو بيت الشعر». وبناء على ذلك توجد في الشعر بعض أوجه الاتفاق والافكار المشتركة على الأقل. وقد بحث بيتسى Pizzi أوجه الشبه بين الشعر الفارسي والشعر الايطالي الوسيطى، كما تحدث زينگر Singer عن الشعر العربى والأوروبى في العصر الوسيط. ويظهر الشكل الشعرى العربى — الفارسي الذى يدعى بالمناظرة، وهو شعر المنازلة، شبيهاً غريباً بالشكل الشعرى البروفنسى — الرومانى الذى يدعى Tenzonc، بحيث لا يمكن أن نعتبر ذلك مجرد تطابق حدث بمحض الصدفة وحدها. وفي الدراسة التى قام بها ف. زتگاست Frz. Setegast لمصادر الشعر الحماسى البطولى الكالو رومانى (لاينزغ ١٩٠٤) أثبت وجود علاقة بين رواية Generides الانكليزية الوسيطية وبين اسطورة شاكونتالا

وكتاب الشاهنامه للفردوسي. ومما لا شك فيه أن الشكل الأدبى لقصة القصص، كما أصبحت معروفة بفضل ديكاميرون فى اوروبا، يعود الى أصل شرقى.

دانتى وشكسبير

وفي هذا المجال أود أن اشير بإيجاز إلى عملين من مكتبة الأدب العالمى، وهما، وإن لم ينتميا إلى الأدب الألماني، غير أنهما أثرا فيه تأثيراً مخصباً قوياً، واعنى بهما: الكوميديا الالهية لدانتى، ومسرحيات شكسبير. وبالنسبة إلى بعض عناصر الموضوعات مسرحيات شكسبير فقد اشير سابقاً وفي أبحاث مختلفة إلى النماذج الأصلية من كنوز الأساطير العالمية، وللآداب الشرقية فيها نصيب كبير. وبسخاء كبير قام ي. شيك J. Schick في كتابه Corpus Hamleticum بجمع كل العناصر في مسرحيات شكسبير التى لها علاقة مباشرة ثابتة البرهان بالأدب العالمى، بحيث قدم في مجلداته هذه مادة وفيرة لأبحاث الأساطير المقارنة والأدب المقارن.

ويصعب الجواب على مسألة التأثير عند دانتى. فبعد أن كان ل. بلوشيه E. Blochet قد أشار عام ١٩٠١ إلى مصادر شرقية استقت منها الكوميديا الالهية، تباينت الآراء حول ذلك ما بين مؤيد ومعارض، إلى أن عالج آسين بالاسيوس Asin Palacios جميع هذه المسائل في إطار واسع في كتابه الكبير: La escatologia musulmana en la Divina Comedia بحيث تيسرت لمثلى مختلف العلوم ابحاث وافكار جديدة. واستناداً إلى عدد كبير من المراجع والشواهد العربية لا يظهر آسين بالاسيوس أوجه التوافق حتى أدق التفاصيل بين التصورات الإسلامية للعالم الآخر والكوميديا الالهية فحسب، بل وكذلك أوجه التطابق في المعالم الشكلية الرئيسية للتركيب الأدبى. فقد كانت الأفكار الإسلامية حول الصعود إلى السماء أو الرحلة إلى الجحيم، وتصور الجحيم في دوائر متطابقة في المركز وغير ذلك من تصورات مستقاة من نماذج أصلية يهودية ومسيحية، وكذلك بابلية وفارسية قديمة إلى حد ما، كانت جميعها معروفة لدى العصر الوسيط المسيحى أيضاً. ويعالج آسين بالاسيوس هذه التأثيرات بالتفصيل. ورغم الاعتراف بأوجه التوافق المحلية بين فلسفة الحشر والنشر (الايسكاتولوجيا) الإسلامية والكوميديا الالهية، إلا أنه ظهرت اعتراضات وشكوك جدية ووجيهة. فقد اشير إلى أن هذه التصورات الايسكاتولوجية يمكن أن تكون قد انتقلت إلى العصر الوسيط الغربى بصورة مباشرة كذلك من دوائر مسيحية، وخاصة مانوية. وحسب رأى،

فانى ما زلت أعتبر كتاب ف. بوسيه W. Bousset حول رحلة النفس إلى السماء من المؤلفات الأساسية لحل هذه المسائل؛ فهو يرى في الدين الايراني الموطن الأصلي للتصورات الزاهية الألوان، الزاخرة بالنشوة، التي استمرت عبر الديانة المثرائية Mithraskult لتعيش في العالم المسيحي والإسلامي. (وقد بحث العالم الايطالي انريكو تشرولي Enrico Cerulli عن مسألة التأثير الاسلامي في شعر دانتي في كتابه العميق المفيد Il Libro della Scala الذي عالج فيه «كتاب المعراج» العربي وتراجمه الى مختلف اللغات الاوروبية اثناء القرون الوسطى).

ادب الفكاهة والنوادر

وبالنسبة لأدب الفكاهة والنوادر الوسيطى قدم ي. بولته دراسات مثمرة حول أصل العناصر والمواد الأدبية. وفي نشره لكتب مونتسانوس Montanus الفكاهية (١٥٥٧ - ١٥٦٦) استطاع أن يرجع بعض المواد إلى اصول شرقية. وتشتمل كتب نوادر فكاهية اخرى من القرن السادس عشر، ككتاب باولى «مزاح وجد» Schimpf und Ernst (١٥٢٢)، وكتاب فراى Frey «مجتمع الحدائق» Gartengesellschaft (١٥٥٦)، وكتاب كيرشوف Wendunmuth (١٥٦٣) وغيرها، قلنا إنها تشتمل على كثير من التراث الشرقى المتداول الذى لم يستفه المؤلفون من مصادر شرقية بصورة مباشرة، وانما استعاروه من التقاليد القصصية العامة المتوارثة. وقد تابع فسلسكى Wesselski نوادر الشخصية الفكاهية المعروفة في التركية باسم نصر الدين، وفي العربية باسم جحا، حتى آخر صيغها الأوروبية.

لقد استقى هانز زاكس من الأدب الروائى والفكاهى الوسيطى، ولذا تقابلنا استعارات من الأدب الشرقى، مما أثبتناه كثيراً. وفي قصة هانز زاكس «الراهب والديك المقطع» Mönch mit dem Kapaun (التي نشأت عام ١٥٥٨) يتم قطع أوزة وتوزيعها بمكر ودهاء. وتشتهر هذه النادرة في بلاد الشرق الإسلامى في قصة اللص والقاضى. إذ يقوم اللص بتوزيع الاوزة على الشكل التالى: الرأس للقاضى، والرقبة لزوجته، والجناحان للطفلين، والقدمان للخدم، ثم يتناول الجسم لنفسه. وتنطبق القصة - حتى بتعليقاتها - تمام الانطباق على قصة هانز زاكس. (ونجد هذه النادرة، في شكل اطرف، في كتاب الحيوان للجاحظ، وقد صدرت ترجمتان جديدتان لها باللغة الألمانية في يومنا هذا).

ومع ذلك فلا يمكن أن تكون هذه النادرة من أصل

إسلامى، حيث أن المرأة لا يجوز، حسب التقاليد الاسلامية، أن تجلس بحضور رجل غريب، فكيف بها وهي تتناول الطعام في محضره؟ والحقيقة أن أصل القصة يهودى، نجده في كتاب «مدراش إيشا راباتى» Midrasch Echa rabbathi. ومن المصدر اليهودى كان يجرى سيل التوارث الاسلامى والأوروبى. وفي قصة «الذهب في عصا سيديا» Das Gold im Stabe des Gydias نعرف أوجه التشابه في الأدب التلمودى والمدراسى. أما تمثيلية ليلة الصيام «Der plint Messner» فقد ظهر أنها اسطورة هندية من كتاب البانتشانترا Pança-tantra.

وبعد أن بلغنا مع هانز زاكس العصر الحديث، نقرب من نهاية عرضنا الموجز الكثير الثغرات بسبب ضيق المجال والذى تناولنا فيه التأثيرات الشرقية على الادب الألماني اثناء العصر الوسيط. ومن الطبيعى أن تلك التأثيرات كانت في الغالب خارجية لا تتعدى العناصر القصصية، ولم تغير شيئاً من الفكر الألماني أو من وجه الأدب الألماني بحال من الاحوال. وكان التراث القصصى يستقبل كإحياء جديد، ثم يجرى العمل عليه، ويظهر أخيراً في ثوب ألماني. ومهما اشتد الجدل عند ظهور أمثلة متشابهة متوازية حول ما إذا لم يكن بالوسع تفسيرها كوليده للظروف والاضاع الإنسانية العامة، الأساسية والمتكررة دوماً، وأنها نمت وحدها وبأصالة تامة؛ إلا أن العدد الكبير من أوجه التطابق الشكلى يشهد على تدفق العناصر والموضوعات القصصية الشرقية بقوة على الغرب واندماجها في الانتاج الأدبى الغربى. ولا مفر من ضرورة اعتبار الحضارة والأدب الغربيين في العصر الوسيط، وبصورة أقوى مما جرى حتى الآن، على أساس الرقعة الشرقية المتوسطة الواسعة، ومن ضرورة البحث عن المصدر المشترك في التراث الهيلينى في أشكاله المحورة الجديدة: المسيحية منها والإسلامية. وقد أعرب الشاعر الألماني جوته بشئ من المبالغة، ولكن بأسلوب عبقرى، عن ذلك بأبياته:

*Herrlich ist der Orient
Übers Mittelmeer gedrunen.
Nur wer Hafis kennt und liebt
Weiß, was Calderón gesungen.*

يا ليهاء الشرق

يحف بالأبيض المتوسط

لن يعى ما أنشد كالديرون:

سوى من عرف «حافظ» وأحبه

ترجمة: محمد على حشيشو

ألف ليلة وليلة

بقلم هوجوفون هوفمنستال

ما من أثر من آثار الأدب الاسلامي نشط خيال الأوربيين كقصص ألف ليلة وليلة. فمن خلالها تشكلت صورة الشرق في أوربا عبر أجيال عديدة، وأكثر من رسام ومؤلف موسيقى ألماني استوحوا من هذه الأقاصيص مادة لأعمالهم الفنية. وقد ظهرت الترجمة الأولى لألف ليلة وليلة عام ١٧٠٤، حيث نقلها إلى الفرنسية الأديب أنطوان جالان Antoine Galland، وإن كانت بعض هذه القصص قد ذاعت من قبل في الغرب بعد أن انتقلت إليه عن طريق إيطاليا. ولعله لا يمكن تصور ما طرأ من تطور على أدب القصص الخيالية الألمانية دون الرجوع لهذا العمل. فقد توفر جوته على دراسته والتغلغل فيه، كما أخذ عنه الكثير من أدباء ألمانيا في عصرها الرومانسي طابعه الشرقي الذي طعموا به أساطيرهم الخرافية. وتعد أساطير فيلهلم هاوف Wilhelm Hauff (١٨٠٢ - ١٨٢٧) مستمدة برمتها عن عالم ألف ليلة وليلة. كما استمع مؤلف الأساطير الدانمركي الشهير هانس كريستيان أندرسن (١٨٠٥ - ١٨٧٥) إلى هذه القصص العربية بينما كان يتردد وهو طفل صغير على حانوت أبيه الاسكافي، وقد تأثر بها في أعماله التي أبدعها فيما بعد، مثل قصته: الحقيقة الطائرة. ومن بين المؤلفين الموسيقيين الرومانسيين الذين طالما ولعوا بمعالجة الأساطير الشرقية في أعمالهم كارل ماري فون فيبر Carl Maria von Weber (١٧٨٦ - ١٨٢٦) خاصة في أوبراه المرحه «أبو حسن»، وفي «أويرون» التي لحنها عن قصة منظومة للشاعر فيلاند Wieland (١٧٣٣ - ١٨١٣) حيث لم تخل من عناصر الأسطورة العربية. ولم يدون حتى الآن بصورة كاملة تاريخ الروايات والمسرحيات الأوربية التي عابحت أثناء القرن التاسع عشر مواضيعاً مأخوذة عن ألف ليلة وليلة، وإن كان الثابت أن معظم هذه الأعمال لم تكن من الناحية الفنية على مستوى رفيع. ومع نهاية القرن الماضي وبداية الحالى بزغ في أوربا الاهتمام من جديد بقصص ألف ليلة وليلة الأصلية؛ حتى لنجد أن شاعرين كبيرين ولدا في عامين متوالين - ١٨٧٤ و ١٨٧٥ - وهما هوجوفون هوفمنستال Hugo von Hofmannsthal وراينر ماريا ريلكه Rainer Maria Rilke قد شغفا بالتطلع ومعاودة التطلع إلى عالم هذه الأساطير. حتى أن مقطوعتين من الآثار الأدبية التي ألفها هوفمنستال في شبابه تنطقان بالطابع العربي المتغلغل فيهما، وهما: «أسطورة الليلة الثانية والسبعين بعد الستمائة» (دونها عام ١٨٩٥)، وهى قصة مليئة بالرعب باعثة على الفرع، ومسرحيته القصيرة «زواج زبيدة» التي كتبها عام ١٨٩٩. كما أنه وضع الخطوط الأولى لقصة الأميرين أمجد وأسد، وإن لم ينفذها في صورة عمل أدبي. ولا ننسى أن هوفمنستال قد صاغ أكثر من مرة قصائد من تأليفه باللغة الألمانية في شكل الغزل العربي - الفارسي. ويمكن أن نفتنى أثر عالم ألف ليلة في حياته الأدبية إلى أن دون في عام ١٩١٩ مسرحيته الشهيرة «المرأة بلا ظل»، التي لحنها ريشارد شتراوس. وقد أوردنا في العدد الرابع من فكر وفن صفحة من أغنية الباز في هذه الملهاة الغنائية الرومانسية. وإلى جوار هوفمنستال وريلكه كان الشاعر ريشارد بير-هوفمان Richard Beer-Hofmann (١٨٦٦ - ١٩٤٥)، لا ينى عن تطعيم إنتاجه الأدبي بقصص ألف ليلة. ومن ذلك نجد أنه في روايته «نعمان ووفاة جورج» يجعل البطل، حين يفجع بنياً رحيل زوجه عن هذا العالم، يهيم باحثاً عن سلوى:

«ثم تناول أحد الكتب، وإذ به جزء من ألف ليلة وليلة. وبينما كان في الشهور الأخيرة يدفع عنه من فرط اضطرابه كل مجلد أوسفر، كان هذا هو الوحيد الذى استمر في قراءته.

وبعيون صافية، لا يعتليها عذاب، تطلع الناس من هذا الكتاب، تحركهم مشاعر عارمة صادقة لا سبيل لانكار قدرها.. وعبر طرق عجيبة الثنيات مضت حياتهم معقودة على نحو غريب بحيوات الآخرين. وأدى إلى الهدف ما كان يشبه المتاهة؛ وتجمعت خيوط ما كان يبدو عليه وكأنه يدور سهلاً بلا خطة، فاذا به يتداخل في أشكال حكيمة النظام شديدة التماسك

والتعاقد، كرسوم الأرابسكا الذهبية – المصطنعة من قبل – وهي منسوجة في الحرير الأبيض لسجادة صلاة. فما من قدر أعمى باغتهم من خلفهم وانقض عليهم في شر وغل فأسقطهم أرضاً، وإنما كان مصيرهم يقف لهم على بعد بعيد بالمرصاد دون حراك، وعيونه مفتوحة عليهم بلا رحمة؛ وحتى يهربوا منه كانوا يغيرون السيل إليه .. هكذا بدا وكأنه ليس في مقدور أحد أن يصيب هؤلاء القوم بمكرهه، طالما أن لكل مصيره المكتوب .. والآن كل ما صادفوه من سعادة وبؤس قد صار معقوداً ببعضه دون فرح أو حزن، فهو ما كان سوى قضاء غريباً يستحق التسجيل..»

وإنه لما يهز الفؤاد أن الشاعر الذي تقدمت به السن كان يلتمس العزاء على ما ألم به عام ١٩٣٩ من كوارث فادحة في بيت شعري كان قد ترجمه هيننج Henning إلى الألمانية عن ألف ليلة وليلة، فأعاد هو صياغته مع تبديل خفيف جعله أكثر تعبيراً عن الروح الإسلامية:

*In seinen Zügeln laß getrost dein Schicksal laufen,
Und ruhe Nächts ohne Bang vor seinem Walten —
Denn: zwischen deines Auges Auf- und Niederschlag
Kann Gott noch jedes Ding zu anderm Ding gestalten!*

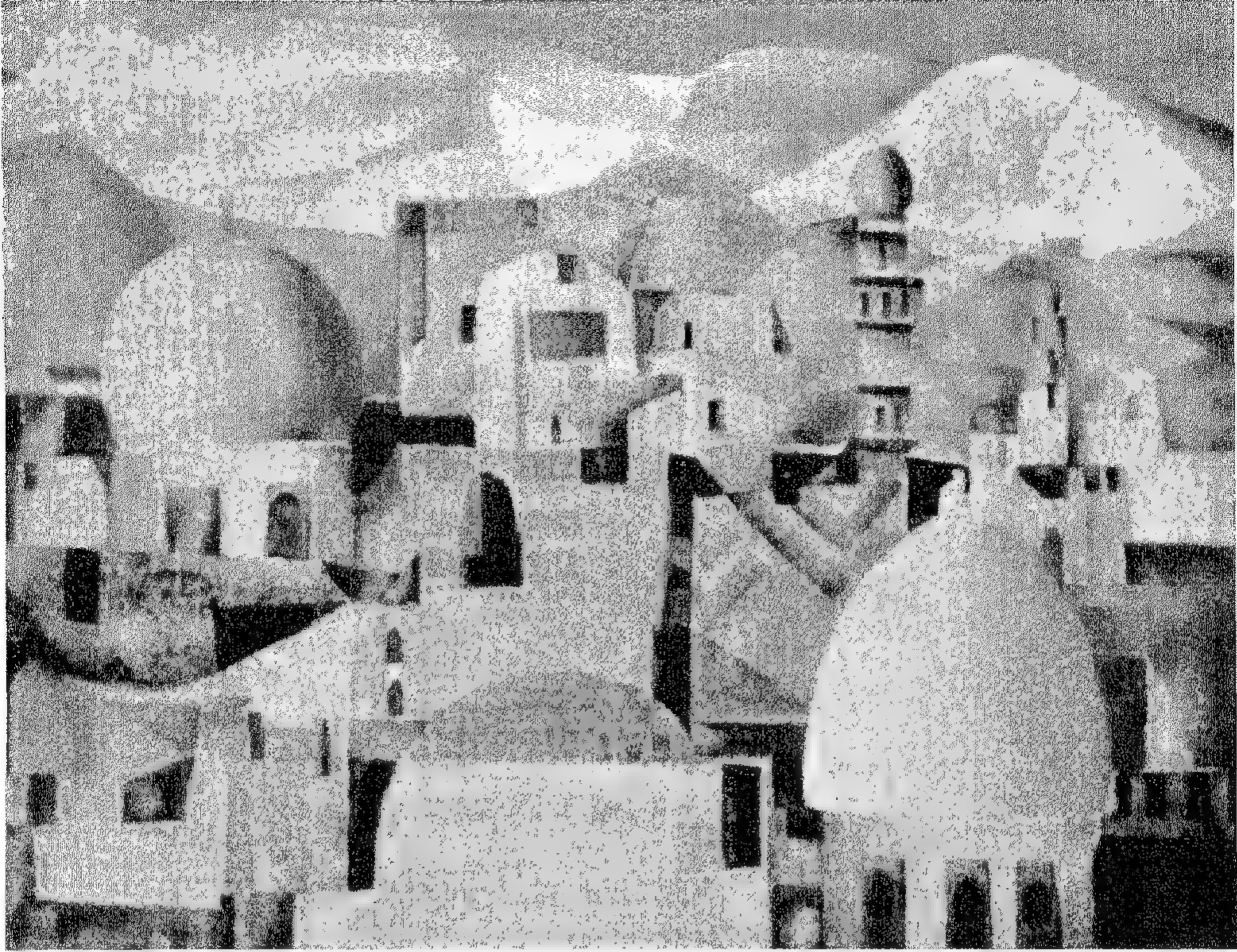
ويرجع الفضل إلى ريتشارد م. شيريتش Richard M. Sheirich في التعريف بهذه الأبيات عن طريق نشرها لأول مرة عام ١٩٦٠ في مجلة مكتبة جامعة هارفارد.

وهناك عدد كبير من الأعمال الأدبية الألمانية الحديثة التي تأثرت بألف ليلة وليلة بدرجات متفاوتة. وإن ما يحس به القارئ الألماني عند مطالعة هذه القصص هو ما عبر عنه هوجوفون هوفنستال في مقدمته التي صدر بها الترجمة الألمانية الكاملة لألف ليلة وليلة حيث قام بها «إنوليتان» على خير وجه وتولت نشرها دار إنزل Insel-Verlag وفيما يلي نص هذه المقدمة:

وها نحن الآن، وقد صرنا رجالاً، يقبل نحونا هذا الكتاب مرة ثالثة، فتحن لنا الساعة للمرة الأولى كي نمتلكه عن حق ويقين.

إن ما وقعت عليه أبصارنا في السابق من هذا الأثر (ألف ليلة وليلة) لم يعد النقل عنه بتصرف، وعرض محتواه دون التزام بنصه؛ فن ذا الذي يستطيع أن يعالج عملاً شعرياً كاملاً في قالب آخر دون أن يحطم أخص مقومات جماله وأعظم ما فيه من طاقه وقوة؟ .. ومن المؤكد أنه قد حوِّظ على المغامرة في حد ذاتها، فهي لم تندثر وإنما كان يروى مضمونها ويعاد روايته؛ غير أن الأمر هنا لا يتعلق بمجرد وقائع مغامرة — فماذا لو عرفنا هوميروس عن طريق مجرد سرد مضمون مغامراته؟ نحن هنا بصدد قصيدة، لا ريب أن أكثر من شاعر أسهم فيها، وإن كانت كما لو أنها صدرت عن روح واحدة، فهي كل متكامل وعالم قائم بذاته. وبالحال من عالم إن هوميروس ليبدو في بعض الأحيان باهتاً إلى جوارها مفتقداً إلى السذاجة. هنا عمق وتنوع، وخيال غزير مع حكمة بعيدة الغور؛ هنا أحداث لا تعرف النهاية، وأحلام وحكم، ومفارقات طريفة، وفحش معيب، ولكنه غريب؛ هنا أجسر طاقات الفكر، وأشد نزوات الحس في تداخل متعاشق، في وحدة

لم نبرح هذا الكتاب حين كنا غلماناً، وحين بلغنا من العمر عشرين عاماً، وحسبنا أن شوطاً بعيداً صار يفصلنا عن طفولتنا، عدنا إليه من جديد وعاد يجذبنا وكم عاد يجذبنا إليه! ذلك أنا ألقينا أنفسنا، في طفولة قلبنا ووحدة روحنا، وسط مدينة فسيحة فسيحة، تموج بالأسرار وتوحى بالخطر والاعراء، كما هي بغداد والبصرة.^(١) وفي خليط عجيب راحت تمتزج المغريات بالأخطار، وتملكت على قلوبنا الرهبة، واشترأت نفوسنا في تطلع المشتاق؛ وكنا نرتعد وحدة وضياعا، ومع ذلك جعل يدفعنا نحو الأمام دأب شجاع وإذ بنا ندور وسط متاهات، وسط وجوه تلاحقنا على الدوام، وإمكانات، وثروات، وسجن مكفهرة نصف محجبة، وأبواب نصف مغلقة، ونظرات قوادة شريرة في السوق الرهيبة. وكم كنا نشبه ذاك الأمير التائه بعيداً عن بلده، وأبناء التاجر الذي مات فأسلموا أنفسهم لمغريات الحياة، أجل كم اعتقدنا أننا شبيهون بهم؛ بلوح مسحور تطل منه جواهر كالعيون المتقدة، تصنع جسوماً عجيبة غريبة، حتى التهب الكتاب واشتعل نارا بين أيدينا. وكما تشابكت وتداخلت السمات والرموز الحية المشيرة لتلك المصائر، هكذا تفتحت في أعماقنا أغوار سحيقة من الصور والأحاسيس، ومن الشوق والشهوة.



فرانتس كوجلر Franz Kugler : منظر من مصر . بالألوان المائية.

واحدة. فما من حاسة فينا إلا وتحركت من أعلى عليها لأعمق دانيها؛ وكل ما بداخلنا ينتفض هنا من جديد بالحياة، بينما نداء الاستمتاع يناديه.

إنها أساطير فوق أساطير تذهب حتى الشقاوة والعبث؛ وهي مغامرات وملح تمضي حتى الهزل والقباحة؛ ثم هي حوار معقود من ألغاز وأمثال وحكايات ذات مغزى ومرمز، تدور بالمرء حتى يلهث. غير أنه في غمار هذا الكل لا نصير الشقاوة شقية، ولا القباحة ذنية، ولا طول النفس باعثا على التعب، وإذ بالعمل ليس إلا كل رائع، تشده لبعضه البعض حسية كاملة متسامية معدومة المثل.

حقا ما عرفنا شيئا حين ما عرفنا سوى وقائع هذا الكتاب، وما كانت تبدو لنا مخيفة مزعجة سوى لأنها كانت قد انتزعت من الجوال الذي تحيا به وتنفس فيه. فلا مكان في هذا الكتاب لما يرعب أو يفرع، إنما هو غاص بكل ما في الحياة من طاقات متفجرة. وإن الشهوانية الحسية البالغة فيه عنصر. عنصر يقابل في هذا العمل الشعري الضوء في تصوير رمبرانت، واللون على لوحات «تيتسيانو»^(٢). فلو أنه حد منه في أي موضع، أو تعدى هذه الحدود في مواضع متفرقة، لكان يمكن أن يخذش ويزعج، أما وهو يغمر بلا حد هذا الكل أو ذاك الكون، فهو — إذن — إلهام ورويا.

ننتقل من ذروة الدنيا لأحقر من فيها، من الخليفة للحلاق، ومن الصياد الفقير لتاجر الأمراء، وإذ بإنسانية تحيط بنا، وترفعنا على موجة خفيفة عريضة، وبينما نحن بين أشباح، بين سحرة وعفاريت نحس أنفسنا وكأننا لم نبرح دورنا. إن واقعية لا غنى عنها تصور لنا النافورة والقاعة الرائعة يكسوها بلاط باهر، وأم اللصوص العجوز يشغى رأسها بالقمل؛ وكذلك تضع المائدة، وتوزع عليها جميل الصحائف وغويط الصحون، وتجعلنا نشم روائح الأطعمة — الدسم منها والمفلل والحلو — ومشروبات عصير الرمان المثلجة، واللوز المبشور تكسوه طبقات من السكر والتوابل المعطرة، وهي على نفس الهوى تقدم لنا حذبة الأحذب، وأفعال عجائز الرجال الأشرار بأفواههم المزبدة وعيونهم التي بها حول؛ وتدع الحمار يتحدث كحماره، والكلب المسحور يفوه كما يفعل تمثال من المعدن على هيئة ملك راحل، فما ينطق كل منهم إلا بالحكمة والواقع؛ وتروح تصور بنفس البساطة — بل بذات الدعة الرهيبة — حمولة حمار مطارد، وموكبا آميريا زاخرا بالعز والسوؤدد، وإشارة لإيماءة تصدر بلا أدنى حرج عن حركات العشاق الصامتة ..

وهم في مخدع منار يفوح بالعطر بعد أن مروا بألف مغامرة ومخاطرة ..

من ذاك الذي تراوده نفسه على فتق مثل هذا النسيج الرائع؟ ومع ذلك فإن أمرا يغرينا بتحسس الوسيلة الفنية التي كان لا معدى عن استخدامها في ألف موضع حتى لا تطبق على أنفاسنا تلك الكتلة الهائلة من المواد المعالجة بواقعية قصوى، وكى لا يصعب استئثارها مع الوقت. بل أن ما يحدث هو العكس من ذلك: فكلما أطلنا القراءة كلما كرسنا أنفسنا لهذا العمل على نحو أجمل وأروع، وكلما ضعننا وسط شعر ليس بعده من شفافية ولا سذاجة، وكلما امتلكتنا أنفسنا بحق؛ كما يتلاشى ثقل المرء وهو يسبح في ماء رقاق عذب، فيحس بدنه — عندئذ — مستمتعا مسحورا. وهنا يفضي بنا السبيل إلى أبعد أعماق طبيعة الشعر الشرقي، بل إلى نسيج اللغة الغامض الغريب؛ فإن هذا الغموض العجيب الذي يرفع عنا كل ضعة وضيق، عندما تبلغ مظاهر الحياة ذروة التعقيد، هو أعمق عنصر في اللغة والشعر الشرقي على السواء: حتى أن كل ما فيها (لغة المشرق) مجاز مستمد من جذور حقيقة القدم، يمكن فهمه على أكثر من جانب ومحمل؛ وكل ما فيها يحوم .. وإن أول جذورها حسي بدائي، وجيز رهيب؛ ثم لا يلبث أن يمتد عبر تفرعات خفيفة الصوت، نحو معان جديدة مشتقة، يكاد ألا يربطها — بعد — أية صلة به؛ وإن كانت في أبعد أبعادها لا تزال تبعث ببعض من ذلك الرنين الأصلي للكلمة، وتعكس — كما على سطح مرآة غائمة — ظلالا من صورة الاحساس الأول.

من هنا نرى كيان اللغة والشعر — وهما واحد في هذه المرحلة —، وكيف يصنع منهما أغرب الأشياء على الوعي، وأشدّها خروجا على كل مألوف. وتبدو المادة في وصف واقعي بلا حدود، وكأنها تكاد أن ترتطم علينا بكل عبثها؛ غير أن ما يقترب منا لدرجة خدش المشاعر، ولو كان يتحدد بدلالة الكلمة التالية وحسب، لا يلبث أن يذوب على شكل ضباب سحري بفضل ما للتعبير الواحد من معان عدة. وبذا نستشعر من وراء المعنى التالي معنى آخر عنه استيعار الأول. ومع ذلك لا يضيع منا المعنى الأصلي الأول، وإنما حيث كان مبتدلا يتلاشى سر ما فيه من ابتذال، وكثيرا ما نتأرجح بإحساسنا المستقبل بين ما ينطوي عليه هذا المعنى من مفهوم مباشر، وما يربض خلفه على نحو أرفع وأكبر، حيث يفضي بنا في سرعة الومض إلى سنى الروعة والتسامي. إنني أريد أن أكون بسيطا في تعبيرى وأن أفهم. ولكنى طالما أتحدث عن المجاز والدلالة الاستعارية

هائما، أو - قل - وجودا إلهيا لا سبيل لوصفه يرقد فوق كل هذه الحسيات. فلما أن تعلو دوما على هذا الخليط المائج من الانس والجن والحيوان خيمة الشمس ضاربة أشعتها أو سماء قدسية مرصعة بالنجوم والأجرام. وكريح لطيفة، صافية، كبيرة تهب عبر العمل كله تلك المشاعر الأزلية البسيطة المقدسة: لإكرام الضيف، والتقوى، والوفاء على الحب. ولو أنى فتحت الكتاب على صفحة من ألف صفحة لوجدت في قصة على شار وجاريت زمر لحظة ما رضيت أن أستبدلها بأي موضع رفيع في أكثر كتبنا مكانة. وهي - مع ذلك - لا تكاد أن تذكر. فالعاشق يريد أن يخلص حبيبته التي خطفها نصراني عجوز شرير. وهو بعد أن يستكشف الدار، ويقف تحت نافذتها في منتصف الليل، ويصير عليه أن يعطى شارة متفق عليها، ثم ينتظر قليلا بعدها، إذ تباغته سنة من النوم لا مرد لها، وما أسوأها في هذا الظرف، وكأن قدرا مشثوما راح ينفخ فيه من الظلمة بما يشل حركته. وتقول القصة: بينما كان جالسا في ظلمة الجدار تحت النافذة «غلب عليه النوم، سبحان من لا تأخذه سنة ولا نوم».

لست أدري أى لحظة من هوميروس أو دانتي يمكنني وضعها بجوار هذه السطور: هكذا من العدم يفتح الاحساس بالله وسط مغامرة مختلطة مضطربة، كما يطلع القمر في حافة السماء وينظر في حياة الناس. وماذا يقال بعد ذلك عن الحكم التي تنطق بها الطيور والحيوانات، وسداد إجابات العذراوات الحسنات، وما يمس شفاف القلب من أمثال وحقائق يقطرها الآباء وحكماء الملوك المسنين في آذان الشباب، وحوار العشاق الذي لا يفرغ، والذي يدفعون به في نفس واحد عن ذواتهم سعادتهم وثقل بهجتهم، وبذا يرفعونهما عن وجودهم كي يعودا إلى الوجود العام. وكما يرفعون سعادتهم على أنفسهم، حين يعبرون عنها بكلمات الشعراء وعبارات الكتب المقدسة، كذلك يرفع الصبي وجهه عن ذاته، والسائل عوزه، والظام عطشه. وطالما كانت كلمات الشعراء مشاعا - كالهواء - على كل لسان، فقد ذهبت الضعة عن الأشياء؛ وصارت أبديتها تحوم نقية حرة فوق آلاف الأقدار المتشابكة، تعبر عنها ألفاظ أزلية الجمال لا تعرف الفناء. إن هذه المغامرات التي يعالج فحواها من أوله لآخره سعيا نهما دوويا، ومعاناة مؤلمة مضطربة، واستمتاعا أكيدا لتبدو وكأنها ما كانت سوى من أجل تلك القصائد الرفيعة التي تعلو عليها، وتحوم من فوقها - ولكن ماذا كانت تعني

فإن ذهن القارئ سيمضي في مجراه المألوف، وليس إلى حيث أريده، وعندئذ سيفكر في معنى علوى ودلالة خافية رفيعة، بينما أريد أن أكشف عما هو أقل كلفة من هذا وأحلى منه بكثير، عن تلك الظاهرة التي تتخلل نسيج هذا العمل الشعري بكامله: عن هذه اللغة - ثم أن الفضل يرجع إلى ترجمة ممتازة مكتنتنا من أن نتحسس من خلالها لغة الأصل عارية، كما نرى جسد الراقصة من خلال الرداء -، إن هذه اللغة ليست مجرد مفاهيم مصقولة؛ فكلمات الحركة وأسماء الموضوعات فيها أصيلة أولية، صيغت لتقدم حياة عريقة عظيمة تمضي على هدى السلف الأوائل، وتعرض مسلك البدو الرحل في كل ملابساته: حسياء، رهيباء، خالصا من أى ابتذال، متميزا بالصفاء، وهو في حسيته وسداجته غير مهموم متدفق الطاقة والعنفوان. ولكم نحن بعيدون هنا عن هذا الضرب الأولى من ضروب مبدء الحياة، فأين بغداد والبصرة من خيام الأجداد القدام. إلا أن هذا البعد ليس من البون - بعد - بحيث لا يسمح للغة غنية بالصور لم يصبها أدنى اندثار أن يلتحم جديدها بقديمها ألف التحام. إذ لا يوجد للتعبير عن حركة شهوانية، أو إقدام صفيقة على آنية الطعام، أو التهام لذائد المأكولات وابتلاعها في سرعة واغتنام، أو التأديب في غلظة، أو لفظة خوف أو لطفة سوى تلك الكلمات والعبارات الأولى التي يعلق بها على الدوام شيء من روعة وجلال، شيء ساذج يحث على الحبور، شيء من طبيعة طاهرة، وأحوال باهرة، وصفاء أزلي. فلا مكان هنا لتأني متكلف، ولا إشارة إلى كيان علوى أو تمثيل مجازي، اللهم إلا إذا كان يصور الحس بما يفوقه حسية، وما هو حيا بما يزيد عليه حيوية: وما من فاه يتشدد بعالم علوى، فما أشبه الأمر بالتنفس من خلال المسام، وإن كنا نستنشق من مسام هذه اللغة الشعرية الساذجة هواء عالم أولى عتيق ذى هيئة مقدسة، تحوم فيه ملائكة وشياطين، وتوقر حيوانات الغاب والصحراوات كالملوك والآباء الأولين. هكذا لا يندر أن يصبح الشائع والعارى عن الحياء، بل عبارة التقريع والذم نافذة لنا نطل منها - كما نرى - على عالم الأجداد الأوائل مضاء بنور غريب غامض، بل على أسرار تعلونا بطبقات.

ولإن رأينا الانغماس في المتع الحسية يستضيء - بكل انطلاقه - من باطنه بنوره، فإن هذا الكل مجدول في آن واحد بروحانية شعرية نصعد معها - ونحن في غاية الافتتان - من الإدراك الأول للوعي الكامل. إن شعورا

هذه القصائد، ماذا كانت تعني بالنسبة لنا، لو أنها لم تنبثق عن عالم يتمخض بالحياة؟ إنه لا مثيل لهذا العالم الزاخر بالحياة، يتخلله مرح لا آخر له، مرح طفولي حار، مرح لا ينطفئ ولا يزول، به يتشابك الكل ويلتقي جسدا بجسد وروحا بروح: الخليفة بالصياد المسكين، والعفريت بزوجة البائع الجوال، وست الحسن والجمال بالسائل الأحدب. أين كانت بصيرتنا حين اعتبرنا هذا الكتاب متاهة وحسبناه مليئا بالوحشة والرعب؟ إنه مبهج للغاية، وتزيده أفعال الشر مرحا لا حد له ولا نهاية. العاشق يريد أن يخلص حبيبته، فيجلس في منتصف الليل تحت نافذتها؛ وهي ترتقب - في الظلام - شارته. وهنا تباغته سنة نوم عنيده. ويعبر الطريق لص كردى عملاق - وهو أروع واحد من أربعين - فيرى النائم، ويتسمع على المرتبة، ثم يصفق صدفة فتركب زمرد الحلوة على كتفيه، ويركض بالحمل الجميل الخفيف وكأنه لا يحمل شيئا. وتتعجب هي من بأسه وقوته. وتروح تسأل نفسها: «أهو على شار؟» ذاك الذي يبرطع من تحتي كالحصان؟ أيعقل أن يكون هذا حبيبي الذي كتب لي بأنه قد صار ضعيفا هزيلا من حزنه على وحنينه إلى، حتى شارف على الموت؟ وما زال يركض بها حتى يتزايد قلقها، ولما كان لا يرد

عليها فقد تحسست وجهه بيديها: «وإذ بها سحنة الكردى اللعين، خشنة شائكة كفرطوسة خنزير كان قد ابتلع من نهمه دجاجة كاملة وهي حية فطلع ريش ذيلها من حلقه.» إنه لعمل مشين أن نخرج هكذا الجزء من الكل - ولكن هذا الموقف، وذاك التأمل، وما يدور في رأس الحساء وهي تندفع بسرعة عبر الليل من فوق كتف اللص المتهور، ثم لحظة الاكتشاف وذلك التشبيه غير المعقول الذي يدفع بنا في عز النهار إلى مراعى الريف فلا ننساه - لست أدري أين نعثر على ما يشبه ذلك سوى في أشد المواضع مرحا وسذاجة وصفاقة من كوميديات «لوپ دى فيجا» التي تسحر اللب. أين كانت بصيرتنا حين رأينا هذا الكتاب مروعا ومرعبا! إنه لمتاهة، ولكنها متاهة المتعة! إنه سفر يمكن أن يتحول به السجن إلى إقامة قصيرة. إنه كما قال عنه «ستندال»: الكتاب الذي يجب أن ننساه دائما كلية، حتى نعود لنقرأه باستمتاع دائم التجدد.

ترجمة: مجدى يوسف

(١) في ألف ليلة وليلة طبا .. (المترجم).

(٢) تيتسيانو فيتشيليو Tiziano Veccellio: من أروع المصورين الايطاليين في استخدام اللون. عاش في البندقية (١٤٧٧-١٥٧٦) واشتهر بلوحاته عن الحب العذرى والشهوانى. (المترجم)



الشاعر ريلكه يطوف الشرق

الشمس حين تنفذ إلى الأسواق من خروم سقوفها، وكيف تعطي بلا نهاية حين ترمى هنا وهناك بأخضر شفاف، بأحمر ساخن، بـ«موف» زاه — اليوم كان الناس يطوفون بمزاد للجيب والحادورة وكأنهم بين أحجار كريمة، يتجهون إلى قطعة من النسيج ثم يمضون ببساطة إلى داخلها، إلى خضارها الرائق، إلى بنفسجها الزاهي، أو عبر صفرة ظلت ماثلة أمامنا بلا مبرر كصفاء مشع من السماء. وفي سوق العطارين أصبح لنا صديق إذا صافحه المرء ظل يضافحه طوال النهار، وعندما يأتي الليل أظل ساهرا إذ تبدو لي أصابعي وكأن روحا عجيبة لبستها. كنت قد طلبت منه عطر نبات العتر (وهو كثيرا ما يباع على أنه ماء ورد)، فأعجبه أني طلبت هذا بالذات وليس عطر الورد، وأطلعني على سره، وهكذا صرنا أصدقاء. وبعد ذلك بأيام قلائل زار الشاعر مدينة القيروان ذات التاريخ العتيق فخلفت في نفسه أثرا بعيد الغور: * «كالرويا ترقد المدينة المسطحة البيضاء بروايتها الدائرية كالأبراج... كم هي غاصة بالأموات الراقدين أمام أسوارها في كل مكان».

ويهتز الشاعر خاصة لمراى جامع سيدي عقبة: «ذلك الجامع الرهيب، الذي تجمعت فيه مئات الأعمدة من قرطاجنه** وكافة المستعمرات الرومانية الساحلية».

وفي القيروان تكشف له عظمة الاسلام وعصريته في آن واحد على نحو لم يسبق أن بلغ لديه مثل هذا الوضوح: «المرء يحس هنا بروعة ما في هذا الدين من بساطة وحيوية؛ وكأنما كان النبي هنا بالأمس وهذه المدينة مملكته».

وكان ريلكه يعلم أن تجربته في شمال أفريقيا لم تكن بسيطة سريعة ذات طبقة واحدة؛ فهو حين دون هذه الكلمات: «ها عالم الشرق قد بدأ يفتح لي» كان يدري أن هذه الرحلة ستؤثر في عمله لمدة طويلة بعد أن نفذت إلى ما وراء ستار الشعور الواعي: «إني أرى مقدا أنه

كان ريلكه في الربع الأول من هذا القرن من أكثر الشعراء الألمان تأثيرا على أذواق معاصريه، ولا زالت أشعاره ومقطوعاته النثرية ورسائله نبعلا لا يغيض إلى يومنا هذا. وهو، كشأن هوفنستال وبيير-هوفان، عدا عن الكثير من سواهم الذين تأثروا بالشرق الاسلامي، لم يمسك عن الطواف بروحه في هذا العالم حتى انعكس ذلك بوضوح في نتاجه الأدبي.

وقد اهتم ريلكه بالاسلام في مرحلة مبكرة نسبيا. إذ يرجع تاريخ واحدة من أروع قصائده — وهي «رسالة محمد» — إلى عام ١٩٠٧، أي بعد قراءته لترجمة ألف ليلة وليلة بسنة واحدة. وتعتبر هذه القصيدة عن كبير إعجابه بالأسلوب البسيط المباشر الذي تميز به مفهوم الدعوة الاسلامية، وهو ما عاد وأكدته في رسائله التي كان يبعث بها من قرطبة.

وفي نهاية عام ١٩١٠ حط الرحال بالشاعر في شمالي أفريقيا، وهو الذي لم يعرف طوال حياته سوى التنقل والتطواف — كانت تونس تغريه بزيارتها، كما كانت تغري معظم معاصريه من الفنانين، لاسيما وأن بلوغها كان سهلا نسبيا. وفي رسائله التي بعث بها بمناسبة عيد الميلاد إلى زوجته الرسامة «كلارا ريلكه — فستوف»، وابنته «روت» بأعوامها الثانية آنذاك، راح يصف انطباعاته عن تنوع الحياة في مدينة تونس، معرجا على سوقها، ناقلا ما يعبق فيها من أجواء:

إلى كلارا في ١٧-١٢-١٩١٠

«في السوق تأتي المرء أحيانا بعض اللحظات التي تصور له عيد الميلاد: الكوات الصغيرة مزدحمة بأشياء ملونة مدلاة منها، والأقمشة وفيرة مفاجئة، والذهب يلعب ويضوى بالوعد كأنه سيهدى إلينا غدا، وحين يواجه كل ذلك في المساء فانوس واحد يشتعل ويهتز في احتياج لوجود كل ما سطع عليه نوره من أشياء، عندئذ تغمر ألف ليلة وليلة كل شيء، كل ما كان أملا لنا ورغبة وتحفزا، ويصبح عيد الميلاد غير بعيد على الإطلاق. ولكنني حتى في الصباح أعود لأشده من جديد لما تفعله

* يلاحظ أن كل ما بين قوسين في هذا المقال مقتطف عن ريلكه.
** مستعمرة فينيقية شهيرة بالتجارة أغار عليها العرب وحطموها عن بكرة أبيها في عام ٦٩٧ م.

قبل أن أتمكن من الافصاح عما يجوب في نفسى سيمضى وقت طويل، مع أن كل شيء معروف لى تماما حين أتجسس من حولى..»

وقد استعاد ريلكه ذكرياته في تونس حين زاره الرسام «پاول كليه» (راجع الأفكار والفنون) في عام ١٩١٥ وأحضر له معه عددا كبيرا من لوحاته التي صورها أثناء رحلته عبر شمال أفريقيا في ١٩١٤. وقد احتفظ الشاعر طويلا بهذه اللوحات، وراح يتعمقها ويعيد النظر إليها مرات ومرات..

ومن تونس مضى ريلكه إلى مصر ملبيا دعوة لبعض أصدقائه هناك - وكانت زوجته كلارا قد زارت وادى النيل في ١٩٠٧ مما جعله معدا للتجربة التي في انتظاره. وفي مصر قام برحلة نيلية منذ السادس من يناير ١٩١١ حتى العاشر من شهر فبراير من نفس العام، بدأها بالقاهرة عابرا بممفيس وأسيوط وأبيدوس والأقصر والكرنك وإدفو ثم أسوان. ولما كانت هذه الرحلة كلفته عناء كبيرا فقد استجم في دار أحد معارفه في حلوان حتى نهاية شهر مارس. غير أن تطوافه على صفحة النيل أثر في نفسه الشاعرة أعققت التأثير. وها هو يكتب إلى صديقه «لو أندرياس سالوى» عن تلك الرحلة في نهاية ذلك العام (١٨-١٢-١٩١١):

«... لعل تعلمت ولو قدرا ضئيلا من الشرق؛ بل كنت أحاول تعلم العربية على سطح المركب النيلي، وربما صنع منى متحف القاهرة شيئا، مع أنى دخلت عليه وأنا في حيرة كبيرة...»

لاشك أن مصر القديمة هي التي هزت هنا ريلكه وتركت في نفسه آثارا بعيدة الغور. وهذا هو يصف بكلمات طريفة عجيبة تمثال رمسيس الذى شاهده في ممفيس وأرعى إليه باحدى قصائده: «ركبنا مطايانا ونحن نعبر طريق السعف*، حيث يرقد رمسيس الرهيب تحت فيض المكان.. كما لا يرقد سوى عالم منفرد بذاته.»

وتفاعل الشاعر بسر الكرنك الذى هز أحاسيسه - وفي ذلك يكتب إلى زوجته الرسامة:

«على الشط الشرقى العربى الذى نرسو عليه يوجد معبد الأقصر بأروقته العالية ذات عواميد اللوتس المتبرعمة، وعلى بعد نصف ساعة منه يقوم عالم معبد الكرنك المستغلق على الفهم. قصده لأراه بمجرد وصولنا في الليلة الأولى، ثم مرة أخرى بالأمس تحت القمر الذى بدأ

* لا يستبعد أن يكون الشاعر هنا يريد الإشارة بصورة ضمنية إلى حادث أحد السعف المذكور في العهد الجديد. وهى على أية حال رؤية فنية تعنى المهتمين بالأدب المقارن.

يتضاءل... رأيت... عامودا على شكل قمع زهرة يقوم وحيدا، عامودا معمرا لا يفهمه أحد، وهو يقوم هكذا بالنسبة لنا فيما وراء الحياة.. وظالما أن سلسلة الجبال الليبية تقوم غربا على هذه الناحية.. هناك فيما وراء ذراعى نهر النيل والأرض الحصبة؛ فقد امتطينا اليوم ركائبنا عبر التل العظيم الذى فيه يرقد الملوك، كل تحت ثقل جبل كامل.»

ولكن أدينا لم يهتم بماضى الشرق العظيم فحسب، وإنما راح كذلك يستقبل بعيون يقظة حياته الحاضرة، ويحولها إلى أشعار - وهكذا دون في العام التالى مقطوعة نثرية «عن الشاعر» الذى «أدرك ذاته من خلال النبى المغمى على ظهر القارب النيلي، الذى به انتقلنا من جزيرة فيله إلى منشآت السد الممتدة.»

وأخيرا يودع مصر، ويودع القاهرة بعالمها مرة أخرى، القاهرة التي كانت تبدو له من زوايا عدة:

«إن القاهرة تأتى بعالم يزيد على طاقة المرء ثلاثة أضعاف ولا يعرف الواحد كيف له أن يؤدي كل ذلك: إنها عاصمة فسيحة ممتدة في نهم، وهنا الحياة العربية بكامل كثافتها حتى السواد، وخلفها تقف على الدوام رادعة مذكورة كالضمير أشياء مصر - تلك - الضخمة بلا رحمة...»

بعد ذلك بما يقرب العامين طلع ريلكه في رحلة جديدة إلى أقطار الجنوب - وكان الهدف هذه المرة أسبانيا. أسبانيا التي انعكست تجربته فيها على الكثير من أشعاره وآثاره الأدبية. كان يحب «روندا» Ronda وإن كانت زيارته للجامع قرطبه تعد واحدة من أكبر انطباعاته عن هذا البلد. وتدل على ذلك رسالته الضافية التي بعث بها في ١٧-١٢-١٩١٢، أى بعد عامين بالتمام من وصفه للألوان الرائعة في أسواق تونس، إلى الأميرة فون تورن أوند تاكسيس Von Thurn und Taxis. ولكم ثارت غضبته لمراى هذا الجامع العظيم وقد بنيت فيه كنائس صغيرة عديدة، ووضع فيه معزف أرغل بعد أن حول بناؤه إلى كنيسة. ومرة أخرى فتنه في الاسلام استقامته واتجاهه المباشر كما سبق أن افتتن به في قيروان، وذلك على العكس من الورع السطحي الذى رآه في أسبانيا وظل ينفره زينا - وهو الكاثوليكي - من المسيحية.

«منذ قرطبة غمرنى شعور حاد ضد المسيحية؛ وإلى لأقرأ القرآن فيصبح صوتى في بعض المقاطع - حين يتملك على كافة أحاسيسى وقواى، كالريح في الأرغل.. وقد كان محمدا في كل الظروف أقرب الناس إلى، كنهه عبر

جبلا وعرة يتخذ طريقه إلى الله الواحد الأحد، حيث يكلمه على هذا النحو الرائع كل صباح ..»
وقد دفع الشاعر مشهد جامع قرطبة إلى هذا القول المأثور: «الله كل شيء، الله فوق كل شيء».

من عمق اهتمام ريلكه بالعالم العربي نستطيع أن ندرك مدى كلفه بعالم ألف ليلة وليلة. فسحر فارس، بكل رتوش صورته المثالية في ألمانيا، راح ينعكس في واحدة من أروع قصائده، وهي «سونيت إلى أورفيوس» Sonette an Orpheus (١٩٢٢)، التي تغني فيها ريلكه بـ«ورود وحدائق إصفهان أو شيراز»، وقارن حياة الإنسان ببساط معقود على أروع طراز، لكل خيط فيه مكان هام وخاص — وإن هذا العنصر تصويري شرقي أصيل أجمع على استخدامه كل الأوربيين الذين عالجوا الأساطير العربية. وتتيح لنا المقالة القيمة المنشورة عام ١٩٦٠ بقلم والتر ف. جروسمان تحت عنوان: ريلكه والليالي العربية Rilke and the Arabian Nights، في مجلة مكتبة جامعة هارفارد، فرصة طيبة للتعرف على عظم اهتمام الشاعر بألف ليلة وليلة. وقد أخذنا عن هذه الدراسة القسم الأكبر من المعلومات التالية.

وفي إحدى رسائله كتب ريلكه عام ١٩٢٢، بعد أن مجد ورود إصفهان وشيراز، وتغنى بأريج الورد الشرقية: «كم أعجب رودان Rodin بهذه القصيدة الشرقية (في تركيزها الغالب عليها) .. وكم أحبها. وما أكثر ما كان يأتي بكتاب مفتوح (هو ترجمة دكتور ماردروس Dr. Mardrus الشهيرة لألف ليلة وليلة Milles et une nuits والتي تحنوي على أبيات شعرية في غاية العذوبة والدسامة) ليريني سطرين، بل سطرا واحدا ... (في هذه الوردة شيء من هذا الشعر، مع أن أريج القصيدة أنفذ وأكثر تركيزا من عبيرها الغض الشاب الذي لا يكاد أن يلحظ).»

وحسبما جاء في رسالة شاعرنا المذكورة يتبين لنا أن أول عهد ريلكه بالترجمة الفرنسية لألف ليلة وليلة كان أثناء عمله سكرتيرا لرودان في أبريل ١٩٠٦. وبعد ذلك بعام واحد كان يقرأ الترجمة الألمانية التي قام بها جريفه Graeve — لنفس هذا العمل الخالد — بحيث تضافرت قصص ألف ليلة ورسائل زوجته التي كانت تطوف مصر في تلك السنة على إعطائه صورة عن الشرق. ولكنه عاد يتعمق ألف ليلة مرة أخرى قبل أن ينهض برحلته إلى شمال أفريقيا. وفي بداية العشرينات يتجدد لقاء ريلكه بالشرق من خلال المختارات المترجمة التي صدرت آنذاك لإنوليمان عن دار نشر «إنزل» في ١٩٢٤. وقد حصل ريلكه على نسخة من هذا الكتاب في نوفمبر ١٩٢٣؛

أما نسخته الشخصية منه فمحفوظة في مكتبة جامعة هارفارد. وراحت تذكره هذه المنتخبات من قصص الورد في الأكام وأنس الوجود بترجمة ماردروس Mardrus الفرنسية، التي كان قد طلبها من زيوريخ واستمتع بقراءتها من قبل. بل أنه استعان بهذه الترجمة على تصحيح النص الألماني، وأدى به ذلك إلى أن صاغ بشعر من عنده قصيدتين كان قد سبق لإنوليمان أن نقلهما إلى الألمانية في ترجمة شعرية حرة. ويتضح الأثر الغائر العمق الذي خلفته ترجمة ماردروس في النظرة المتأمله التي كان يلقيها ريلكه على الشعر العربي من رسالة بعث بها في ١٩٢٢، أي قبل مدة طويلة من عودته إلى هذا النص، حيث يقول: «إذا غضضت الطرف عن الديوان الشرقي للمؤلف الغربي (الذي حمل إلى الألمانية سعادة اكتشاف الشرق)، فقد تعرفت لأول مرة على القصيدة العربية من خلال تلك الأبيات التي كثيرا ما ضمها «ماردروس» نصه المترجم عن ألف ليلة وليلة. وأحيانا ما كان يأتي إلى رودان من أجل سطور أربعة أو ستة، كي يجعلني أشاركه للتو رؤيتها وهي تتفتح كالزهرة، كان يأتي إلى بكتاب مفتوح — أي رونق، أي زهرة، أي عين أي يد .. كل قصيدة منفردة لا تريد على وصفة طيب! وعندما حققت فيما بعد في تونس ومصر تقدما سريعا في قراءة العربية، آه، حسبما بدا لي ... زاولني الأمل أن أتمكن ربما يوما من استيعاب هذه الأبيات وإعادة بنائها بنفسى (يقصد نقلها عن النص العربي مباشرة) ..»

إلا أن هذا الأمل لم يتحقق لريلكه، وإن يكن شاعرنا قد بذل لتحقيقه بعض المحاولات غير المباشرة كترجمته للقصيدتين المشار إليهما في السطور الماضية. كما أنه نقد لجوء «ليتمان» إلى استعمال القوافي وفضل عليها التزام المترجم بنقل المعنى على نحو أقرب ما يكون للأصل .. ولقد بدا له أن ليتمان لم يوفق في محاولته أن يكون «دقيقا بقدر الامكان» مع استخدام القافية في آن واحد. يضاف إلى ذلك أن ريلكه قد وجد في صورة الحبة الولهانة كما تعرضها قصة الورد في الأكام نموذجا من النساء طالما شغله وجذبه — تلك الحبة التي تهب نفسها للحب على نحو كامل مطلق. وهكذا يتبين لنا أن كلتي المقطوعتين اللتين ترجمهما ريلكه عن ألف ليلة وليلة ليستا مجرد تعبير عن مثله الذاتية وإنما تقدمان لنا أيضا صورة من أسلوبه في سنواته الأخيرة، وتدلان على مدى عمق الأثر الذي خلفته قصص ألف ليلة وليلة في زهرة الأدب الألماني وواحد من أكبر رواده.

zum Vergleich (siehe: Israel Alim. Seite 142. 3^{te} Zeile oben).

* O Haus, wenn morgen der Geliebte hier
vorüberkommt, mit Zwischen von Anblicken,
gib ihm zurück von mir den Größt als Duft.
Denn ich weiß nicht, wo ich am Abend bin;
was ich, wofür die Raife gult. Die fischen
wird fertig fort, und wenig mehr ich mit.
Die Nacht wird kommen; draußen im Gefäß
der Vogel wird, was mich anspielt, belagern.
In seiner Sprache sagt er: Dfuna, of Dfuna,
grausamer Dfuna zu lassen, was man liebt.
Ich selber, als ich sah, wie ich die Fische
der Fische fühlte und man sie aufsprang,
müßte (gebührend) in die Welt sein.
Doch aus (gebührend), ach, wird nie (Morgens) 1/2

* Man darf ich die Liebesklage zu, in der
meine Seele besetzen ist, wenn die Klagen der
Augen von der kühnen Hand; wenn Klage
ist das Brücken unter meinen Rissen? Aber
ist es nicht (spannen), als ich noch den Meistern!

* Vergleich. Israel = Alim. Seite 143, erste Zeile von unten

Mein Lieb ist immer geworden als der
Kau nicht zusehender, aufgezogen von den
Glücken, der Trübsaligkeiten der Abwesenheit
und den unaussprechlichen Schmerzen.

Wo sind die Augen der Freunde, daß sie
sahen den trübten Stand der Unstörung, in
den ich gerathen bin, lieber den Dackeln an ich.
Sie haben ihre Rache überstiegen, indem
sie mich fortsetzten an einem Ort, wofür
mein Geliebter nicht kommen kann.

Ich trage den Schmerz auf, meine Gräße, zu
tauschen, das Abend und am Morgen, ich zu
tragen, den Geliebten, dessen Fische den
Mord befehle, den Mord, in seinem Aufgang,
und dessen beweglicher Mord die Eingebundenheit
des jüngen Jüngers überbricht.

Ende ab den Rosen ein, (meine) Mauer
nachzusehen, ich würde den Rosen sagen: Du
möglich, ich Rosen, meine Mauer zu gleichen, ab
sei denn, ich Mauer die Rosen auf (meiner) anderen
Mauer.

Mein Mund anzeigt einen Fische, von
dessen Fische die Glück eines Fischefisches zugehen.

ترجمة ريلكه لتصيدتين من حكاية «الورد في الأكام» بخط الشاعر.

وهي محفوظة في مكتبة جامعة هارفارد، Harvard College Library, Cambridge, Mass.

Wem werf ich die Liebesklage zu, in der meine Seele befangen ist, wem die Klagen der Angst um den entfernten Freund; wem klag ich das Brennen unter meinen Rippen? Aber ich werde schweigen, aus Furcht vor dem Wächter./ Mein Leib ist dürre geworden als der Span eines Zahnstochers, aufgezehrt von den Gluten, den Trostlosigkeiten der Abwesenheit und dem unaufhörlichen Jammern./ Wo sind die Augen des Freundes, daß sie sähen den trüben Stand der Verstörung, in den ich geraten bin, über dem Denken an ihn./

Sie haben ihre Rechte überschritten, indem sie mich fortschleppten an einen Ort, wohin mein Geliebter nicht kommen kann./

Ich trage der Sonne auf, meine Grüße, zu tausenden, des Abends und am Morgen, ihm zuzutragen, dem Geliebten, dessen Schönheit den Mond beschämt, den vollen, in seinem Aufgang, und dessen beweglicher Wuchs die Biogsamkeit der jungen Zweige übertrifft./

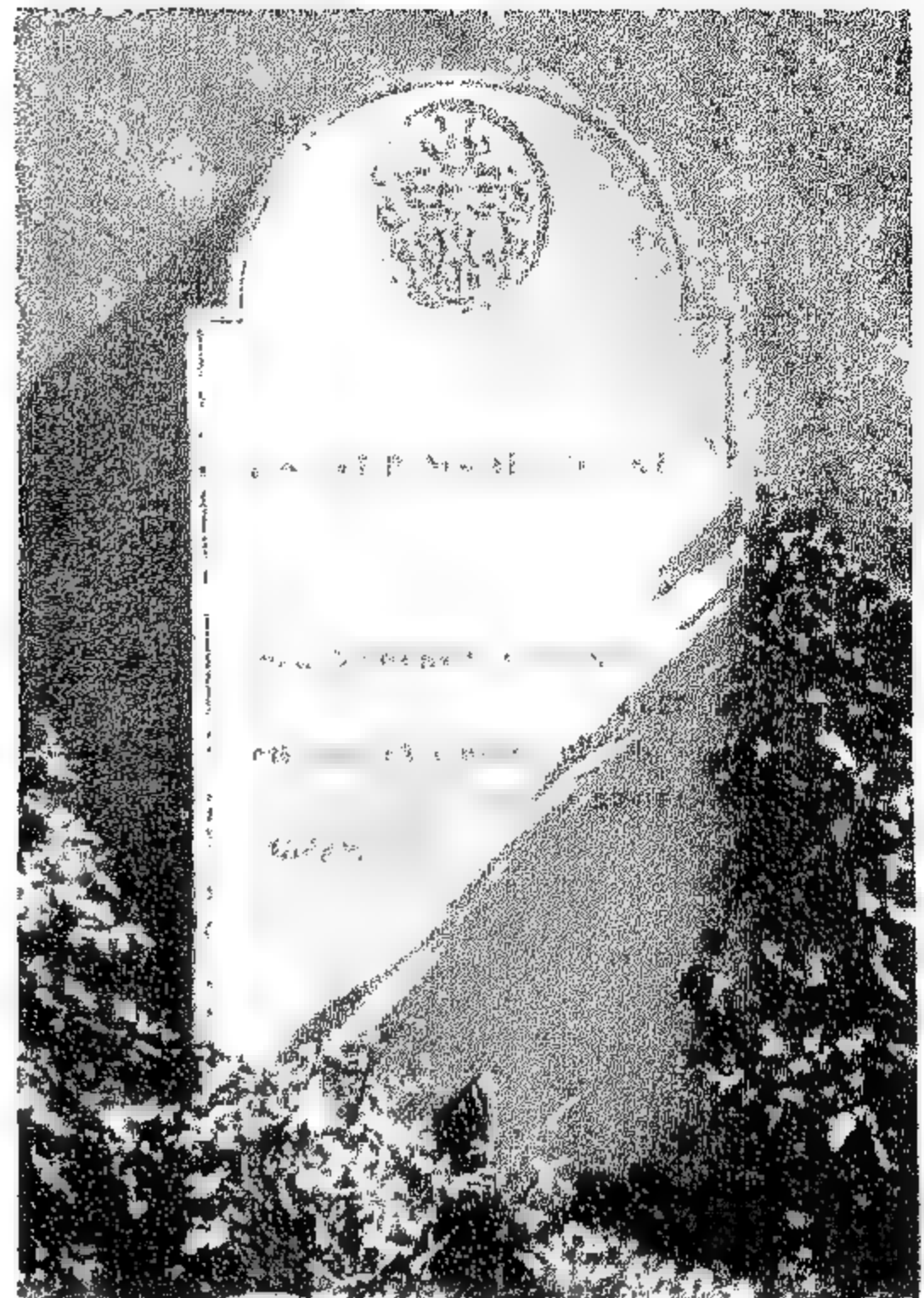
Fiele es den Rosen ein, seiner Wange nachzuahmen, ich müßte den Rosen sagen: Unmöglich, ihr Rosen, seiner Wange zu gleichen, es sei denn, ihr wäret die Rosen auf seiner anderen Wange./

Sein Mund erzeugt einen Speichel, von dessen Kühle die Glut eines Scheiterhaufens zerginge.

O Haus, wenn morgen der Geliebte hier vorüberkommt, mit Zeichen von Verliebten, gieb ihm zurück von mir den Gruß als Duft. Denn ich weiß nicht, wo ich am Abend bin; weiß nicht, wohin die Reise geht. Sie führen mich hastig fort, und wenig nehm ich mit. Die Nacht wird kommen; draußen im Gesträuch der Vogel wird, was uns geschieht, beklagen. In seiner Sprache sagt er: „Schmerz, oh Schmerz, grausamer Schmerz zu lassen, was man liebt.“ Ich selber, als ich sah, wie sich die Schalen der Trennung füllten und man sie uns aufdrang, mischte Ergebung in die Bitternis. Doch aus Ergebung, ach, wird nie Vergessen!

يا لمن اشتكى الغرام الذى بي
وشجوني وفرقتى عن حبيبي
ولبيب بين الضلوع ولكن
ولست ابدية خيفة من رقيبى
ثم اصبحت رق عود خلال
من بعاد وحرقة ونجيب
اين عين الحبيب حتى ترائى
كيف اصبحت مثل حال السليب
قد تعدوا على اذ حجوني
في مكان لم يستطعه حبيبي
اسأل الشمس حمل ألف سلام
عند وقت الشروق ثم الغروب
لحبيب قد انحجل البدر حسناً
مذ تبدى وفاق قد القضيبي
إن حكى الورد خده قلت فيه
لست تحكى إن لم تكن من نصيبي
إن في ثغره لسلسال ريق
يجلب البرد عند حر اللهيب
كيف اسلوه وهو قلبي وروحي
مسقمى ممرضى حبيبي طيبي

بالله يا دار ان مر الحبيب ضحي
مسلماً باشارات المحيينا
أهديه منا سلاماً زاكياً عطراً
لأنه ليس ندرى أين امسينا
ولست أدري الى أين الرحيل بنا
لما مضوا بي سريعاً مستخفينا
في جنح ليل وطير الأيك قد عكفت
على الغصون تباكيناً وتنعيناً
وقال عنها لسان الحال واحرباً
من التفرق ما بين المحيينا
لما رأيت كؤوس البعد قد ملئت
والدهر من هدفها بالقهر يسقيناً
مزجتها بجميل الصبر معتذراً
وعنكم الآن ليس الصبر يسليناً



فريتس هوف Fritz Huf: راينر ماريا ريلكه، تمثال نصفي من البرونز،
١٩١٥.

حجر قبر ريلكه في رارون Raron بمقاطعة Wallis بسويسرا وعليه
شعار عائلة الشاعر.

Rose, oh reiner Widerspruch, Lust
Niemandes Schlaf zu sein unter soviel
Lidern

وردة، ياتناقضا مجردا، متعة
نوم لا كان لأحد
تحت كل هذه الجفون ..

طلب راينر ماريا ريلكه في وصيته بتاريخ ١٩٢٥/١٠/٢٧ أن تنقش هذه الكلمات على قبره، وأن يكون حجر مقبرته عتيقا فرنسي الأصل: وقد نفذت وصيته. وكانت شوكة وردة قد جرحت ريلكه في أواخر شهر نوفمبر ١٩٢٦ مما أدى إلى إصابته بسرطان الدم. وتفاقمت حالته بسرعة حتى أسلم الروح في ٢٨ من ديسمبر عام ١٩٢٦.

*Rainer Maria Rilke * Mohammeds Berufung.*

*Da aber als in sein Versteck der Hohe,
sofort Erkennbare: der Engel, trat,
aufrecht, der lautere und lichterlohe:
da tat er allen Anspruch ab und bat*

*bleiben zu dürfen der von seinen Reisen
innen verwirrte Kaufmann, der er war;
er hatte nie gelesen — und nun gar
ein solches Wort, zu viel für einen Weisen.*

*Der Engel aber, herrisch, wies und wies
ihm, was geschrieben stand auf seinem Blatte,
und gab nicht nach und wollte wieder: Lies.*

*Da las er: so, daß sich der Engel bog.
Und war schon einer, der gelesen hatte
und konnte und gehorchte und vollzog.*

المغرب الأقصى في لوحاتي

بقلم اوسكار كوكوشكا

صدرت في شهر يناير من هذا العام عن دار نشر Marlborough Fine Arts (لندن) مجموعة من ثمانية عشر لوحة مطبوعة على الحجر بلون واحد تحت عنوان: مراکش؛ وهي للفنان الكبير أوسكار كوكوشكا الذي قدم لها بالمقال التالي*:

الأطلس على صور رسومهم التي خلفوها على الصخور في عصر «لا - تن» La-Tène. — كان قد أحضر الرجل على كتفه زكينة ذات حجم ضخم. ودار في رأسي: «ماذا يحمل يا ترى في زكيبته؟» لقد وضعها في الممر وجلس هو والسيدة. وزاد السائحان من نكوصهما عنا. ولو انتظر المرء في هدوء؛ وراعى أصول الكياسة، لكان من اليسير لمثل هذه اللقاءات أن تصبح مسلية مبهجة؛ إذن فقد عرضت عليه سيجارة. فقبلها شاكرا وناولها لرفيقته، التي بدا عليها أنها لازالت شابة، وإن كانت محجبة. ودخنت لفافتي بينما راح السائحان يأكلان ويشربان*. لم يقوم الناس بالأسفار والرحلات إذا كانوا يحجبون أنفسهم هكذا عن الواقع، ذلك الواقع الذي يشذب ويهذب العلاقات الانسانية في المجتمع؟ وفجأة، عند غروب الشمس يفتح رجل القبيلة زكيبته، ويخرج منها برتقالا وتمرًا ومكسرات، ويقدم لنا منها، ثم تشعل له رفيقته اللفافة بعد ذلك. وهنا لاحظت أننا كنا في شهر رمضان. وبينما كنا نتناول معهم الطعام بدأت السيدة الشابة في أن تفتح لنا صدرها أثناء الحديث، وخلعت الحجاب عن وجهها. وقد علمنا — فيما بعد — أن ذلك كان تكريماً كبيراً لنا. وكانت في غاية الجمال. ودعونا لزيارتها في مزرعتها؛ غير أنها غادرا القطار — للأسف — قبل مراکش بكثير، حيث كانت غرفنا محجوزة من سلف في الفندق. إذن لم يكن لقاءنا بهما أثناء الرحلة مدعاة للملل، كما أننا اصطحبنا معنا البرتقال الذي أهديانا إياه، بينما تركه السائحان دون أن

في شتاء عام ١٩٦٤ رسمت الأوديسه في أربع وأربعين لوحة مطبوعة على الحجر. وكان الشتاء في «فيلنوف» Villeneuve باردا ومشعبا بالضباب، مما جعلني أرحل وزوجي في نهاية شهر يناير إلى المغرب الأقصى. وفي القطار المسافر من الدار البيضاء إلى مراکش، عبر الخط الحديدي الذي أقيم تحت إدارة الجنرال «ليوتي» Lyautey، كان يجلس رجل وزوجه في غاية التصلب. ولم يبد عليهما الابتهاج بصعودنا إليهم في الدرجة الأولى. وكنا قد قضينا اليوم بطوله في الطائرة والقطار، ونسينا أنه لا توجد عربّة مقصف، ولما كنا سنبلغ الفندق أثناء ساعة متأخرة من الليل فقد افترضنا أننا لن نجد هناك أيضا ما نتعشى به. لذا فقد أدرنا وجوهنا في احتشام عندما أخرج رفاق رحلتنا أطعمتهم من لفائف معقمة وصفوها أمامهم. وكانت على ظهور حقائبهم شارات سويدية. ثم صعد في أحد المحطات الكثيرة الواقعة على الطريق واحد من أهل البربر مرتديا جلبابا، وفي صحبته زوجه التي كانت محجبة، وسألا في أدب عما إذا كانت الأماكن خالية. ولما كان الزوجان المتصلبان قد انزويا في الركن فقد دعوت القادمين للجلوس. ولاني لأحب مثل هذه المقابلات أثناء الرحلات. والبربر ليسوا بعرب، وإنما هم من أقدم السلالات التي عاشت في شمالي أفريقيا، وتأثرت بهجرة الأقوام المغاربة لتلك المنطقة كالغوطيين والونداليين Vandalen. فمن بينهم ذوى الشعر الأحمر والعيون الزرق والقامة الفارعة العملاقة، وهم في ذلك يتباينون تماما عن السلالات المختلطة في مصر الحديثة والساحل الشمالي لأفريقيا. ويحتوى

* يلاحظ أن التدخين أثناء تناول الآخرين طعامهم عادة ليست مستحبة خاصة في أوروبا. والأرجح عندي أن كوكوشكا فعلها عن شبه عمد تعبيراً منه عن استيائه من هذين السائحين. ويلاحظ أيضا أنه لم يلتقيها صدفة «بالسائحين»!! (المترجم)

* من الجدير بالذكر أن كوكوشكا وإن اشتهر كرسام كبير إلا أنه شاعر وكاتب مسرحي هز في مطلع القرن ما كان متوارثا من أساليب التأليف الأدبي باللغة الألمانية. (المترجم)

يلتفتا إليه. وبلغنا الفندق في منتصف الليل. ونظر إلى رئيس الاستقبال، الذي أخذ جوازي سفرنا: وهو يقول: «لقد تبين لي من دفتر زوارنا أنك نزلت في هذه الدار قبل خمس وثلاثين عاما.» وأخيرا قدم إلينا الطعام أيضا في ذلك المساء. ولقد قمنا بالكثير من الرحلات لما وراء الأطلس، وعدت بعدها بالعديد من الرسومات، التي طبعت — كالعادة — لدى «فولفسبرجر». وفي نهاية الرحلة صادفتنا مفاجأة. فقد استرعى انظارنا أنه في جميع الطرقات المؤدية للمدينة كانت تتزايد الخيول المحملة بالزكائب والعلف، بينما تمضي إلى جوارها أحصنة أخرى مطهمة صالحة للركوب، وإن لم تكن مسرجة. ماذا كان يعد هنالك؟ حين بلغنا مراكش علمنا أنهم كانوا في انتظار الملك، حيث أعدوا له حفلا كبيرا. فقد كان الملك الحسن يقوم برحلة عبر المغرب الأقصى كله يتفقد أحوال بلاده، وكان على مرافقيه أن يقطنوا بفندقنا الواقع مباشرة بالقرب من سور المدينة. وفي آخر يوم قضيناه هناك قبل أن نرحل كانت تغطي كلا من السهل المليء بأشجار الزيتون والساحة الفسيحة المشرفة على جدار المدينة آلاف من الخيام المصنوعة من وبر الإبل الأبيض، ومن بينها خيام البدو ذات اللون الأسود، وفي الوسط خيمة كبيرة حمراء. ومنذ الصباح الباكر تكاثرت جموع المشاهدين بالآلاف، فلاحون بجلابيهم وبدو رحل بعباءاتهم ونساء وأطفال عن قرب وبعد، ورغم أنه لم يكن هنالك شرطى واحد، إلا أن النظام كان سائدا. وكان طريق السباق الذي سيقدم فيه الفرسان ألعابهم خال لا يمر به أحد. وسرعان ما ركضت فيه، من أوله لآخره، مجموعة من خمسة أو ستة خيالة.

كانوا يحملون غدارات ثمينة قديمة موشاة بالفضة، وتبلغ من الطول والثقل ضعف الحديثة. وكان عليهم أثناء الركض بالخيول أن يلقوا بهذه الغدارات في الهواء، ثم يعودوا ليلتقطوها ويطلقوا منها النار في دفعة واحدة، بحيث تغطيهم لبعض الوقت سحابة من الدخان. وأثناء كل ذلك كان المتفرجون حكاما. فقد كانوا يعينون بتصفيةهم أي مجموعة من أي قرية هي الأحسن. وبكراس رسوماتي الكبير وقفت محشورا وسط الجموع المتأرجحة، وكلما أقبلت علينا الخيول الراكضة وتراجعت أفواج الزحام، أفسحوا لي مكانا في أدب وتطلعوا بأنظارهم من فوق كتفي بسماء الخبير العارف. وكذلك زرنا تلك الخيام الفاخرة. ولدى الشيوخ الموسرين وأسرهم كانت هنالك دواوين جلوس وراقصات وضاربون على الدفوف وموسيقى المزمار، ونسبنا الزمن والفندق الحديث القائم على الناصية، وما به من مصعد كهربائي وغرف استحمام، وشعرنا أننا انتقلنا إلى أساطير ألف ليلة وليلة. فالخيول والحمير مربوطة إلى بعضها البعض، والحمالان تثغو. وعندما أقبل الليل راح يشوى الضأن على النار في الحلاء، وأقيمت مطابخ لسلق اللحم وأخرى لصنع القهوة. ومن أعلى سطح الفندق كان منظر هذا السهل الفسيح، بعد أن أشتعلت فيه نيران الحراسة، كقرية كبيرة للغاية. وفجأة خطرت لي لوحة معلقة في ميونخ، ما أشد حبي لها: موقعة الاسكندر، لألبرشت آلتورفر.*

ترجمة: مجدى يوسف

* انظر فكر وفن ٩، ص ٥.

Hans Peter Keller:

WARTE

und

wenn es die Luft kostet

Luft zu Wind ausgefranst

Warte

solange du kannst

auch Gold rostet.

هانس بيتر كيلر:

صبرا

ولو

كان الثمن الهواء

هواء تفصد صار ريحا

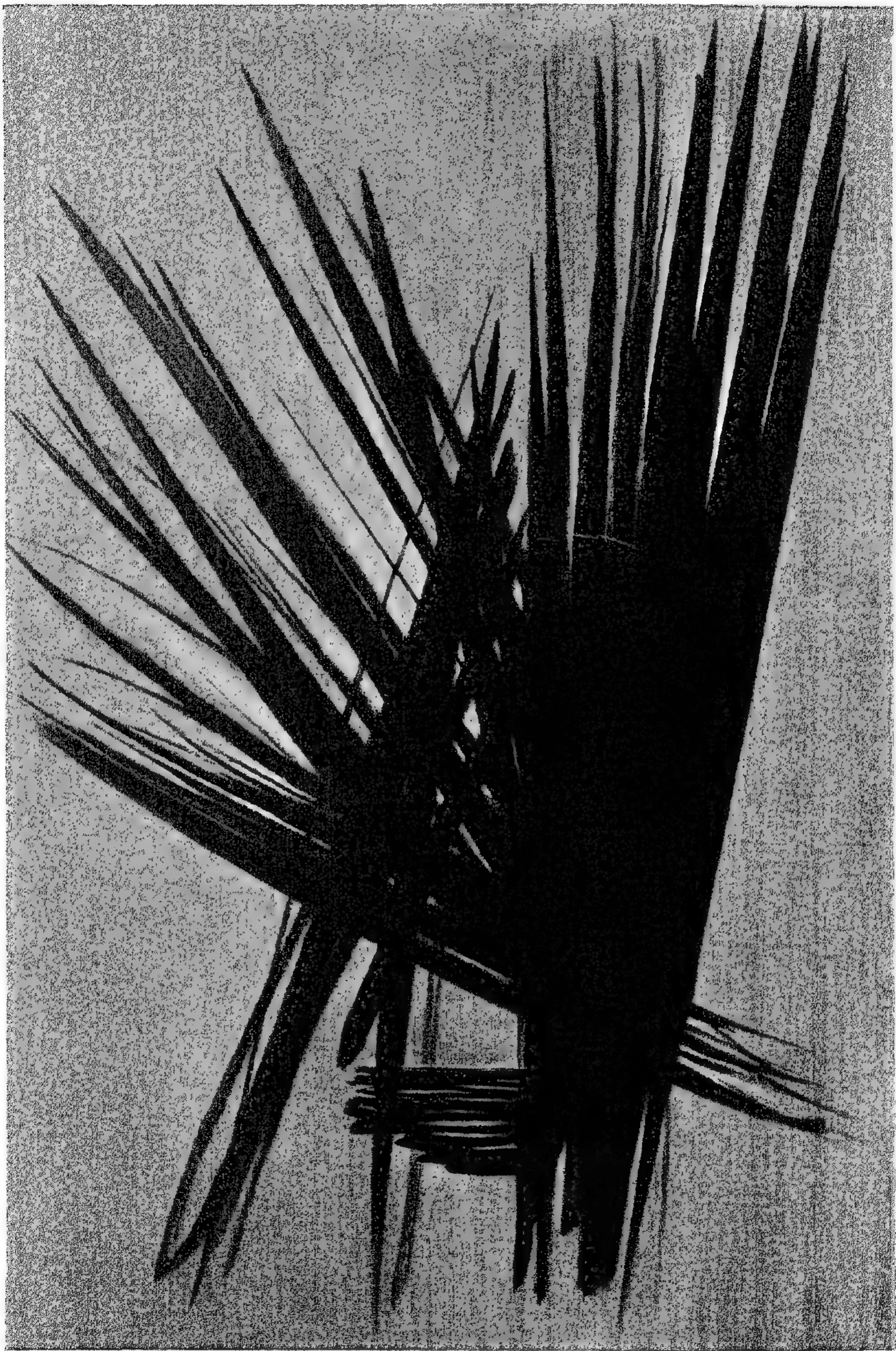
صبرا

ما استطعت سيلا

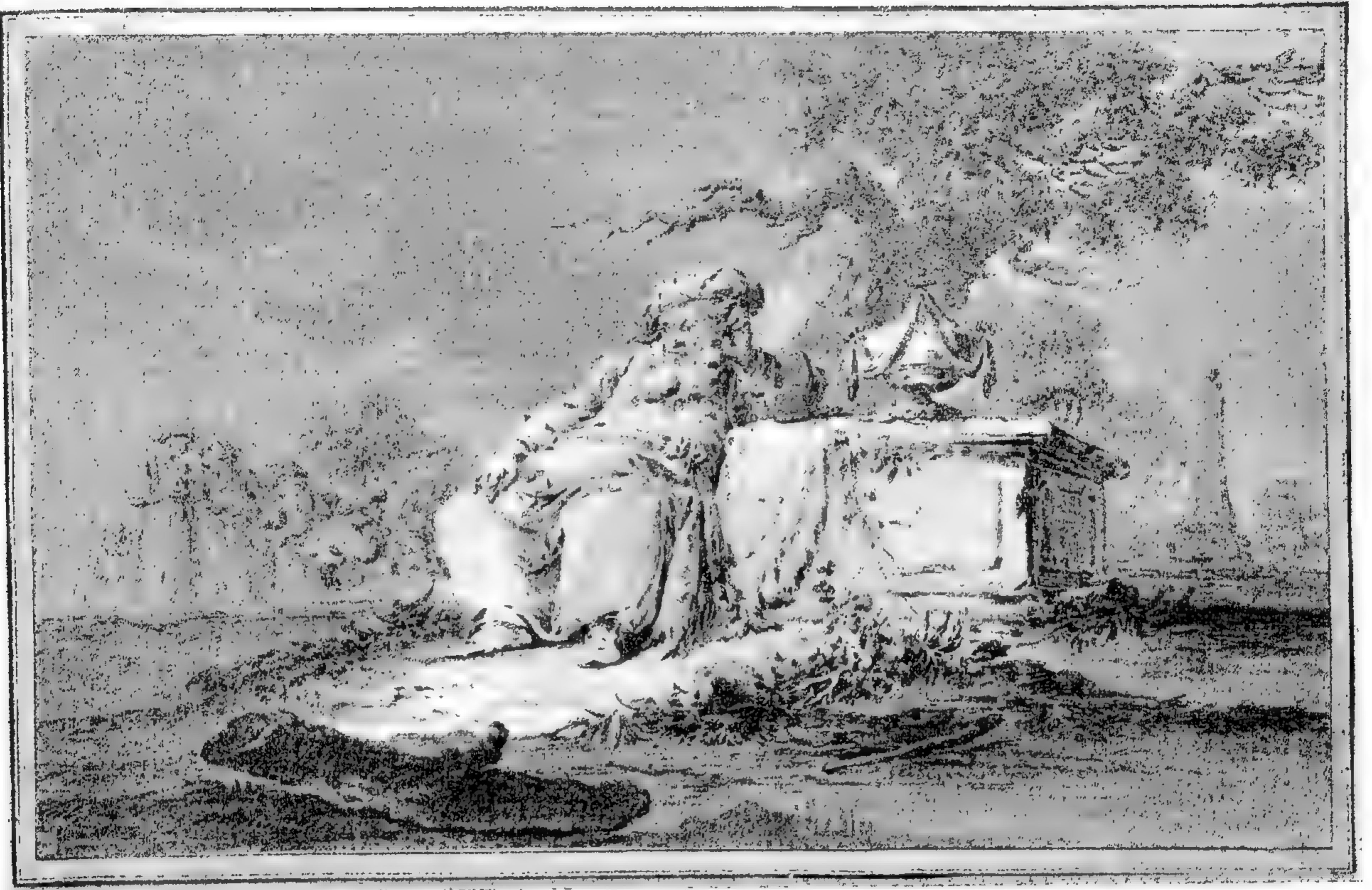
الذهب نفسه يبلى بالصدأ.

ترجمة: مجدى يوسف

Aus: Auch Gold rostet. Gedichte von Hans Peter Keller, Limes Verlag Wiesbaden, 1962.



هانس هارتونج، کومپوزیسیون ت ۱۸۰۰۰ (۱۹۰۸)
عن کتاب: 1965 کولرنا، Verlag M. DuMont Schauberg, Essen, Paul Vogt, Das Museum Folkwang,



تيريبوس ثورخ Tiberius Wocher (١٧٢٨ - ١٧٩٩): شرق متأمل بجوار قبر. نشأت عام ١٧٧٦، وهي من مجموعة Öffentliche Kunstsammlung Basel.

تاريخ

بمزيد من الأسى والأسف ننعي هنا من جديد وفاة مستشرقين شهيرين توفاهما الله في أوائل شهر حزيران (يونيو) من العام الحالي ١٩٦٧ وبذلك كانت خسارة العلم فادحة بفقدتهما. إنهما هيلموت شيل Helmuth Scheel وفرانتز بابنكر Franz Babinger - وكان كل منهما مبرزاً في حقل الدراسات التركية.

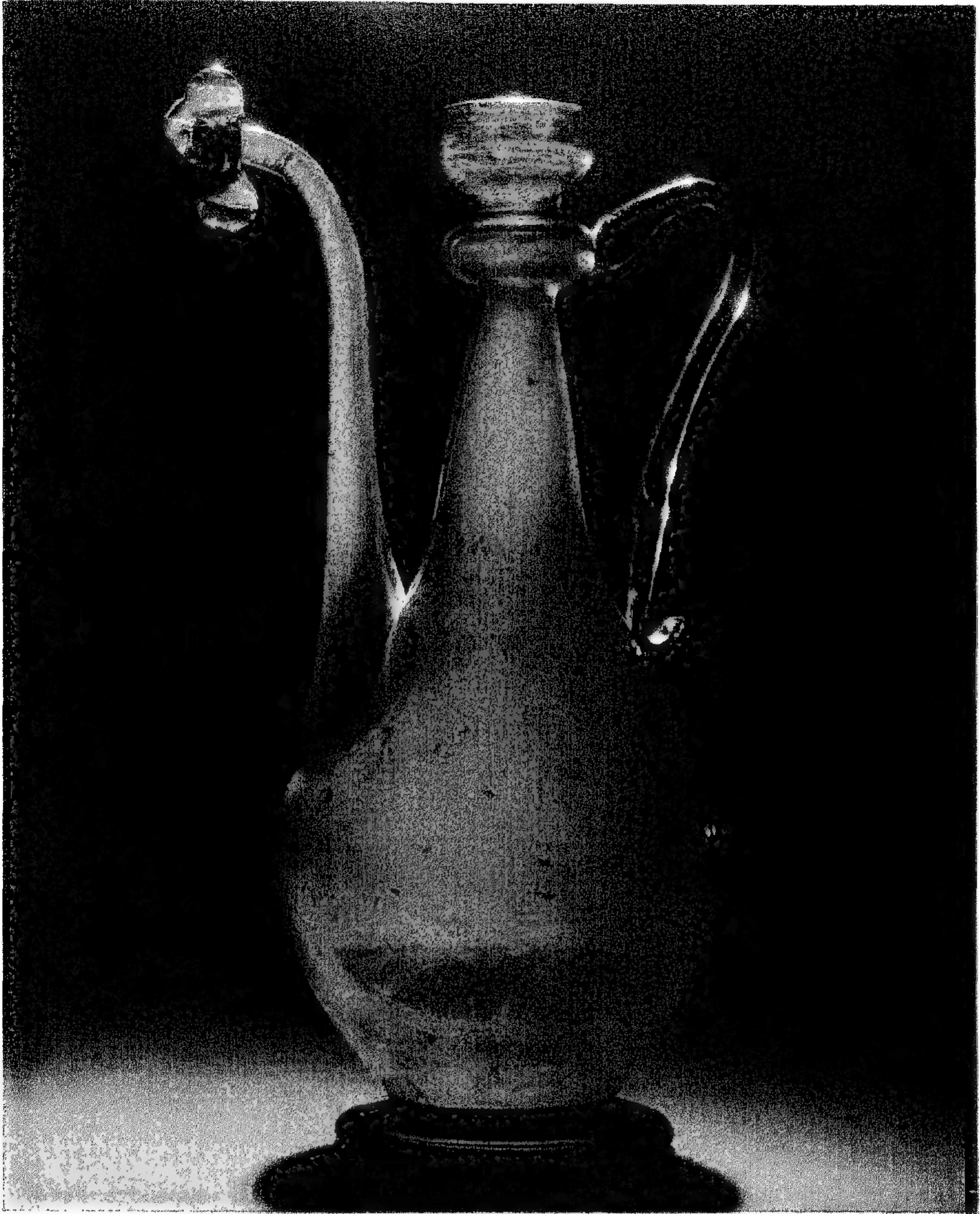
ولد هيلموت شيل في ١٩-٥-١٨٩٥ في برلين، وأصبح في عام ١٩٣٢ مدرساً في جامعة برلين. وبعد ذلك بستة أعوام أصبح موظفاً في أكاديمية العلوم البروسية، التي عين مديراً لها عام ١٩٣٩. وبعد الحرب احتل عام ١٩٤٦ مقعد الاستاذية لتدريس العلوم الاسلامية في جامعة ماينز.

وكان الميدان الرئيسي الذي تفرغ له شيل هو اللغة التركية والتاريخ التركي، وخاصة التاريخ الدبلوماسي والحقوق. وقد عالج في بعض مقالاته مسائل العلاقات الدبلوماسية التركية - الأوروبية وخاصة في القرن الثامن عشر. وفي عام ١٩٤٢ نشرت له دراسة موسعة بعنوان: «الوضع الحقوقي والسياسي للأساقفة والبطارقة في تركيا القديمة». وفي هذا البحث عالج علاقة الدولة العثمانية بزعماء الأقليات المسيحية. ولكن أهمية شيل الحقيقية بالنسبة لتاريخ العلم لا تكمن كثيراً في هذه الدراسات

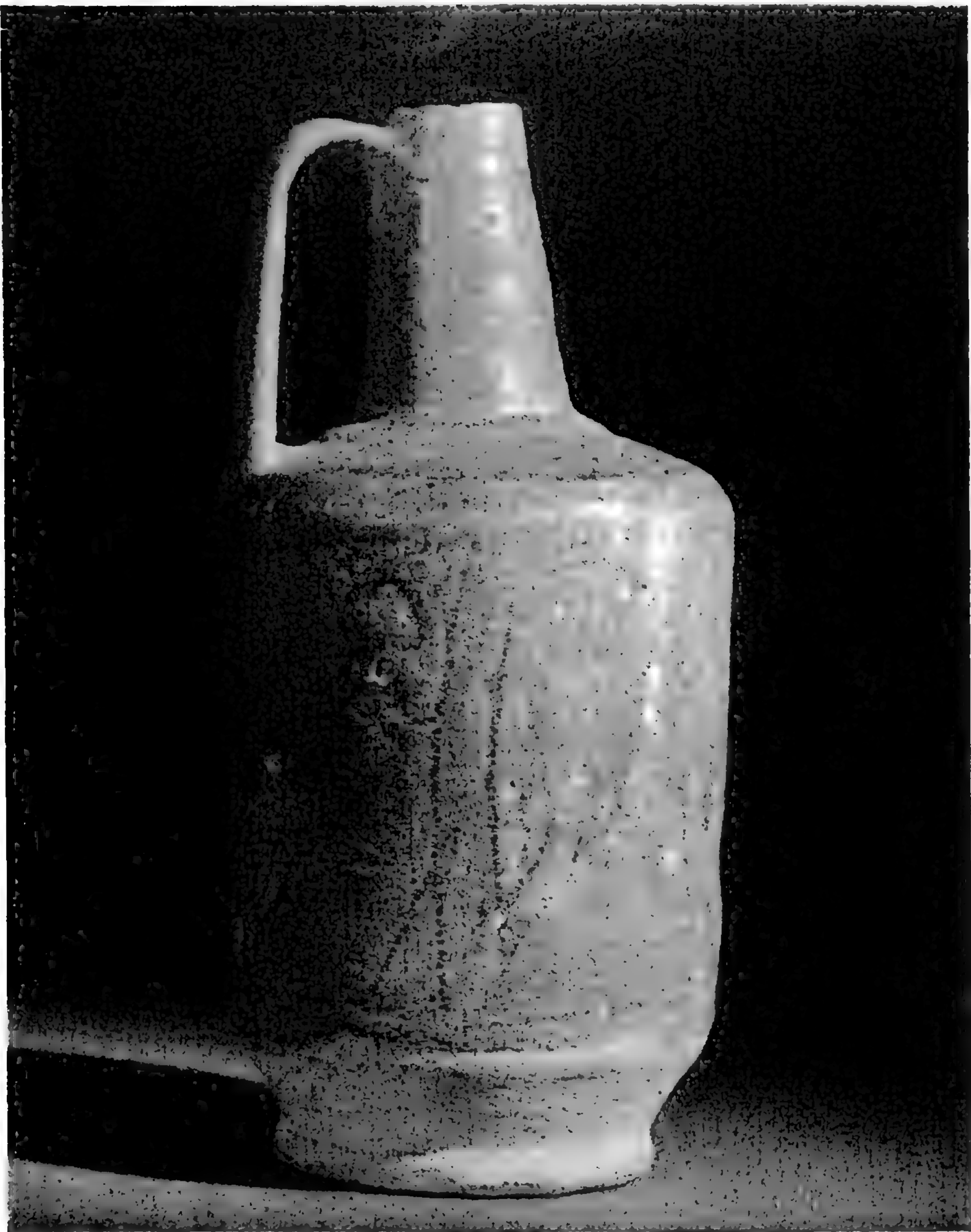
أوفى معرفته الممتازة للمخطوطات والوثائق التركية، وإنما في نشاطه التنظيمي العملي. فقد كان لأعوام كثيرة الأمين العام لجمعية المستشرقين الألمانية، وبهذه الصفة أفسح المجال للمستشرقين الألمان بأن يلتقوا على الدوام حتى في أيام الحرب العvisية وفي فترة ما بعد الحرب، كما كان يتيح لهم امكانات العون والمساعدة من كل ناحية، وتحمل اعباء إصدار مجلة جمعية المستشرقين الألمانية والإشراف على نشر عدة أبحاث علمية. وكانت مؤتمرات المستشرقين في برلين أثناء الحرب من بوارق الأمل النادرة في تلك الأعوام القاسية. وساهم شيل بعد الحرب أيضاً في إعادة بناء الدراسات الشرقية بنفس المهمة والنشاط، فقد تعهد بانقاذ مخطوطات قيمة من الوقوع بأيدي سلطات الاحتلال السوفيتية في برلين وتأمين وصولها إلى ألمانيا الغربية. كما أنه اهتم بصفته رئيساً للجنة الشرقية في اكااديمية العلوم التي انشئت بعد الحرب في ماينز بتقديم المساعدة والتشجيع الخاصين لنشر أبحاث من حقل الدراسات الشرقية كلها. ونلمس اقتراحاته مدرجة في جميع منشورات اللجنة الشرقية. وكما قام شيل أثناء الحرب، عندما لم تكن تتوفر امكانات طبع المؤلفات العلمية البحتة، بالاشتراك مع ريشارد هارتمان بنشر مؤلف جميل جامع يضم مقالات تتناول جميع فروع العلوم الشرقية مع تركيز خاص على الأبحاث الإسلامية، فقد انكب بعد الحرب خاصة على خلق موسوعة اساسية جامعة للدراسات التركية، يشترك في تأليفها علماء من جميع أنحاء العالم. وقد قامت عدة جمعيات علمية بتقدير جهوده ونشاطه، وقد مثل الاستشراق الألماني فترة طويلة في منظمة اليونسكو العالمية. وكان يعرف كيف يسيطر على أصعب المواقف بروح الفكاهة والمرح، كما أن مرض قلبه لم يعقه عن العمل ولم يقلل شيئاً من طاقته الانتاجية. ولحسن الحظ أن المقادير شاءت أن توفر عليه الاضطجاع الطويل في سرير المرض، إذ فاجأته المنية وهو يعمل بنشاطه المعهود في الاكاديمية في ماينز. وسيدكره الاستشراق الألماني دوماً بالشكر والامتنان.

أما فرانتز بابنكر فقد تناولت أبحاثه كذلك دراسة التاريخ العثماني بالدرجة الأولى. وكان قد ولد في ١٥-١-١٨٩١ في فايدن، في بفالز الأعلى (في شمالي شرقي بافاريا) وأصبح بعد اتمام دراسته في ميونيخ مدرساً جامعياً في برلين. وبعد ذلك بثلاثة اعوام احتل مقعداً جامعياً للتدريس. وفي عام ١٩٣٥ استدعى إلى جامعة بوخارست، وفي عام ١٩٣٧ إلى جاسي في رومانيا، ومنذ عام ١٩٤٨ أخذ يعمل كأستاذ كرسي في جامعة ميونيخ. ويكشف أول مؤلف كبير لبابنكر وهو «مؤرخو العثمانيين» عن حقل اهتمامه الخاص: فقد جمع من عدة فهارس ودواوين محفوظات مجهولة تضم تراجم مؤرخي الدولة العثمانية، وأصبح هذا الكتاب مرجعاً قياسياً، رغم أنه، كأول خطوة في حقل يكاد يكون مجهولاً، بحاجة إلى تصحيحات في عدة اماكن فيه. وكان الاهتمام بالتفاصيل التاريخية الطابع المميز لبابنكر. وإذا كان يجيد لغات البلقان بالإضافة إلى لغات الشعوب الإسلامية، فقد كان بابنكر يعرف أفضل من أي قرين له جميع الفهارس ودوائر المحفوظات التي كانت موجودة في المناطق العثمانية السابقة، كما كان يعرف أصغر السجلات والمحفوظات الإيطالية التي وجد فيها وثائق لا تقدر بثمن من حيث أهميتها في إيضاح العلاقات بين دول المدن الإيطالية والامبراطورية العثمانية. ويظهر كتابه الخالد عن السلطان محمد الفاتح، الذي لم يلق استقبالا حسنا بين الأتراك المعجبين بهذا السلطان العظيم بسبب موقف الكتاب النقدي، قلنا يظهر هذا الكتاب إلاماً ممتازاً بجميع المصادر التي لا تكاد تخطر على البال. واهتم بابنكر كذلك بدراسة شخصية عجيبة وهي شخصية الصوفي والناثر القاضي بدر الدين السماونوي، وكان من اهتماماته الخاصة أيضاً الميادين المجاورة لتاريخ الفن — سواء أعالج في ذلك دراسة صناعة الورق في الدولة العثمانية، وهو أحد أبحاثه المبكرة، أم تناول وصف صور الأمير التيمس جم سلطان، ابن محمد الفاتح، الذي لعب دوراً خاصاً كذلك في العلاقات بين الدولة العثمانية والمماليك، والذي اتجه أخيراً إلى البقاع المسيحية، حيث كان يقيم تارة تحت الإشراف الفرنسي وتارة تحت الإشراف البابوي، إلى أن مات عام ١٤٩٥ في نابولي. وقد عاد بابنكر كثيراً إلى التعرض لذكر هذا الأمير ذي المهبة الشاعرية الفذة والحياة المأساوية. واهتم بابنكر كذلك بطوبوغرافية مدينة استانبول، كما أن مقالاته التأنينية التذكارية لمؤرخي الفن أمثال إرنست كونل E. Kühnel وفريدريش زاره Friedrich Sarre (انظر فكر وفن العدد ٧) تظهر ميله إلى الفن الإسلامي كما تظهر فنه في تصوير الشخصيات، ذلك الفن القائم على تدقيقه في دراسة المصادر. وقد وافته المنية كذلك وهو في وسط عمله وذلك أثناء حضور مؤتمر للدراسات البلقانية في يوغوسلافيا.

وهكذا، فب وفاة شيل وبابنكر، وبالرغم مما قد يكونان عليه من اختلاف في الطبع، ينتقل آخر ممثلين للمدرسة الكلاسيكية في الدراسات العثمانية إلى العالم الآخر.



أبريق من زجاج، إصفهان، القرن السابع عشر. Staatliches Museum für Völkerkunde, München.
عن فهرست معرض الفن الأيراني في كراشة المعرض الخاص بالمتحف الإثنولوجي، ميونيخ، ١٩٦٣.



أبريق من الفخار، عليه زخارف على هيئة نباتات متسلسلة، محفورة من تحت طلاء الخزف. سلطان آباد، إيران، القرن الرابع عشر.
Staatliches Museum für Völkerkunde, München.

طلائع الكتب

Abu'l Qasim Firdousi, Das Königsbuch, deutsch von Helmhart Kanus-Credé. Lieferung 1, Buch 1—5. Verlag J. J. Augustin, Glückstadt 1967.

لم يتوقف اهتمام المستشرقين بهذه الملحمة الفارسية الكبرى. وإذا عرفت للمرة الأولى في ألمانيا عام ١٧٩٣، وفي عام ١٨٢٠ قام «جوريس» Görres باصدار ترجمته الألمانية الحرة لهذه الملحمة، وكان قد نقلها عن بعض المخطوطات الفارسية، ثم أتى بعد ذلك كل من الدوق شك Schack والرائد الكبير فريدريش روكرت فترجما هذا العمل الخالد أو بالأحرى الشطر الأعظم منه شعرا إلى الألمانية. وقد توالى بعد ذلك عدة ترجمات ألمانية حرة وملخصة لهذا الأثر الشعري الجليل، ولاقت ما لاقت من انتشار وذيوع؛ بل أنه من ألمانيا صدر قاموس «فردوسي» الأول والوحيد من نوعه لمؤلفه «فريتس فولف» Fritz Wolff. ولا زال أمام البحث العلمي كثير الكثير قبل أن يلفظ كلمته الأخيرة بصدد هذه الملحمة الفريدة، لاسيما وأنه لم ينجل الكثير من غوامضها بعد، كما أن تحقيق نصها — الذي لا يخفى أهميته القصوى — قد بدأ لتوه في روسيا، ولن يفرغ منه إلا بعد مدة طويلة. — والحين ها هو مستشرق ألماني يقدم لنا بلغته ترجمة ثرية جديدة لهذا العمل الشعري الفحل، بعد أن ظل مشغولا به زمنا طويلا. غير أنه يبدو لي هنا أن ترجمته هذه — بغض النظر عن أخطائها اللغوية — لم تبلغ الصيغة المثالية؛ فهي لا تقرأ بسلاسة كما أنها تفتقد إلى ترجمة «مثالية» لـ «شاه نامه»، ولا زلنا نعود لقراءة الترجمة الشعرية التي خلفها «روكرت» لقربها إلى حد كبير من روح الأصل.

Otto Spies, Türkische Märchen. Eugen Diederichs Verlag, Düsseldorf — Köln, 1967.

لقد اتسحت لنا الفرصة من قبل للتحديث هنا عن الاساطير العربية التي قام ماكس فايسفايلر Max Weisweiler بنشرها في مجلدين من مجموعة أساطير الأدب العالمي التي أصدرتها دار نشر Diederichs Verlag في الاعوام الأخيرة. وقد قمنا كذلك بنشر مقتطفات من مجلد الأساطير المصرية القديمة الذي أصدرته إيما برونر-تراوت Emma Brunner-Traut في السلسلة نفسها. ولذا فإن من دواعي سرورنا أن نعلن هنا عن كتاب الاساطير التركية الذي ترجمه ونشره أوتو شبيس، مؤلف مقالة: الشرق في الأدب الألماني. ويظهر شبيس في المقدمة التي أسبق بها حكاياته الخرافية الستين أن تركيا لعبت دور الجسر الثقافي في نقل الأساطير والحكايات بين الشرق والغرب. ومما يزيد من قيمة الكتاب بالنسبة لباحث الأساطير والقصص الخرافية ثبت خاص بالمصادر ودليل بأنواع الأساطير ونماذجها المختلفة، وتسدد الترجمة ثغرة حقيقية في ميدان أبحاث الأساطير والحكايات الخرافية.

Dietrich Brandenburg, Islamische Baukunst in Ägypten. Verlag Bruno Hessling, Berlin 1966.

يقدم هذا الكتاب أول عرض جامع لفن البناء الاسلامي في مصر، ولذلك فهو يعنى كل مهتم بالفن الاسلامي عامة، فضلا عن المهندسين المعماريين وزوار مصر التواقين إلى التعرف على تاريخها. وإذا كان المؤلف قد اقتصر على القاهرة بالذات فهو أمر طبيعي لما تزخر به هذه المدينة من جوامع أقيمت في مختلف عهود الاسلام، مما يجعلها بمثابة كتاب حي مفتوح لتطور أسلوب المعمار الاسلامي.

يبدأ المؤلف بعرض تاريخي موجز لفتح العرب لمصر في ٦٤٠م حتى العصر الحاضر — ويكمل هذا المختصر جدول زمني على خير وجه. ثم يتعرض بعد ذلك لتاريخ فن المعمار الاسلامي خاصة في مصر؛ يعقبه فصل عن أسلوب البناء الاسلامي في مصر وقوالبه الأولية. ويبدو لي هذا الفصل على قدر كبير من الأهمية لكل زائر لوادى النيل والأقطار الاسلامية عامة،



الملكة برينيثه الثانية، مصر، عهد بطولومايوس الثالث أولبرجيتش الأول (٢٤٦-٢١١ ق م).
عن كتاب:

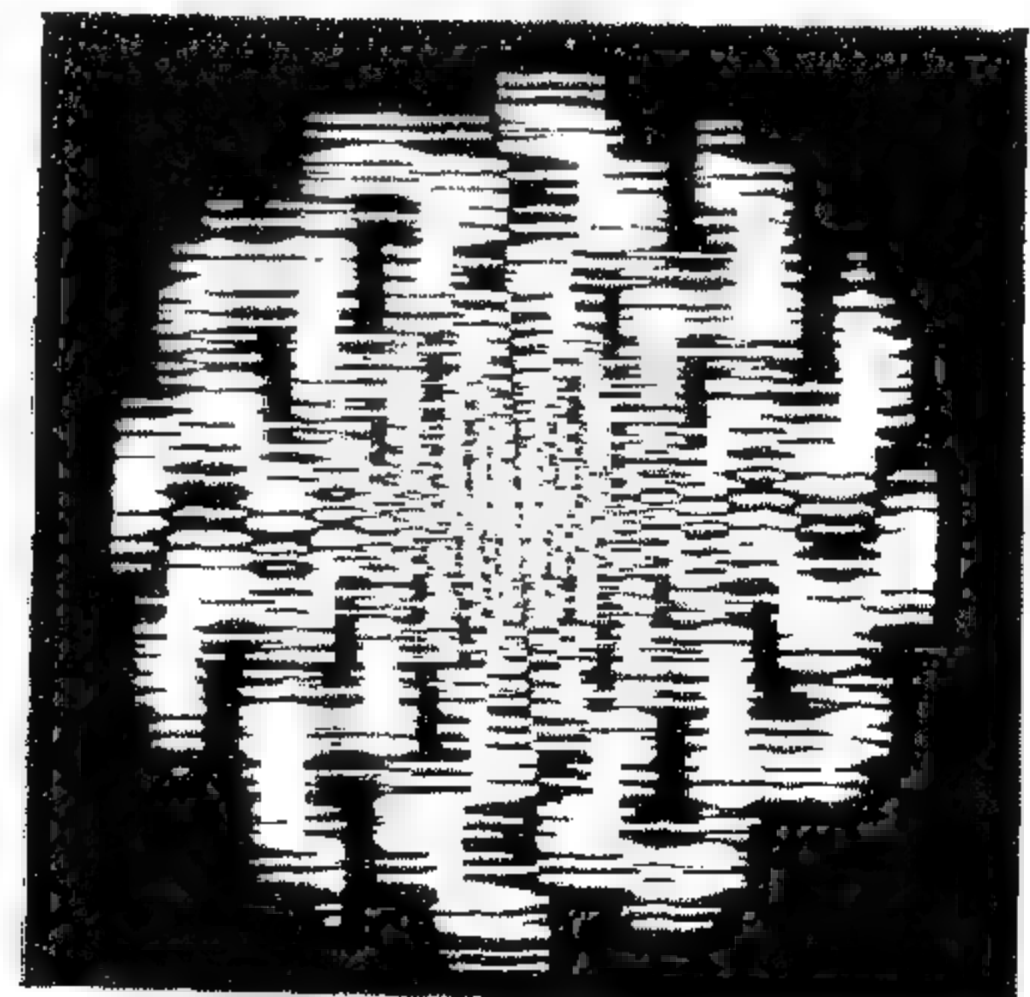
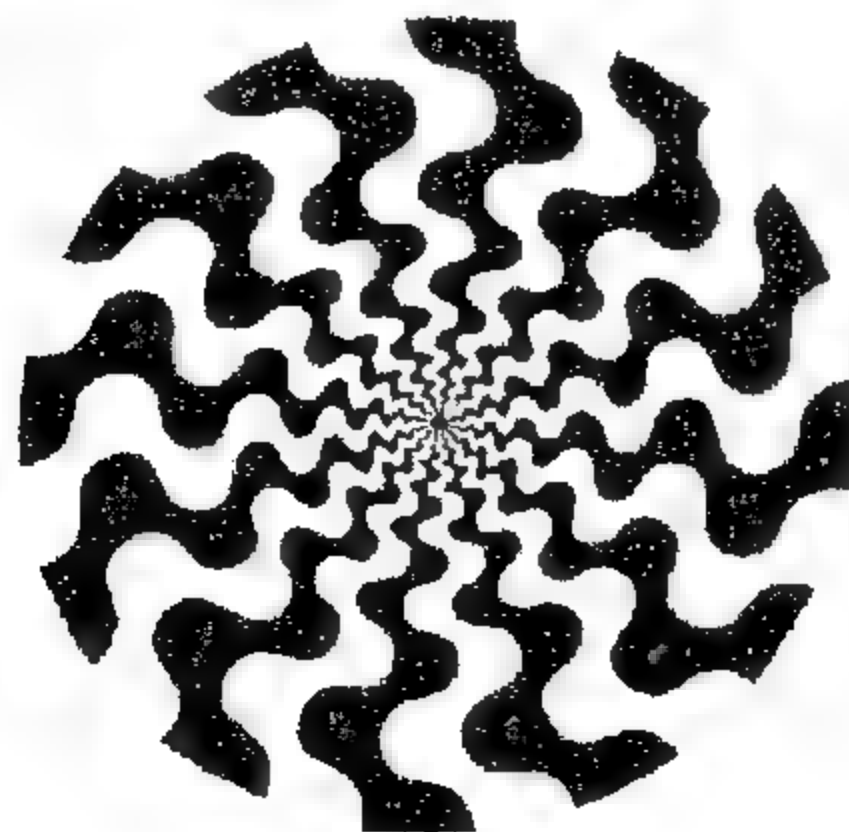
Peter R. Franke und Max Hirmer, Die griechische Münze, Hirmer-Verlag, München 1964.

إذ يتعرض لمختلف أشكال الأقواس والمآذن، وأنواع الأعمدة والشرفات، ويعرج بعدها على زينات الحائط التي تحلى جدار المبنى من الخارج، ونماذج البنايات ذات اللونين (الأبلىق)، والمقرنس، ومختلف أشكال البوابات بمصراعيها والمشربيات والقمريات الرائعة، ومن ثم التجهيزات الداخلية لاسيما بالرخام وصنوف الزينة والزخرف - حيث يدور البحث حول الفئات الرئيسية الثلاث للزخرفة الإسلامية وإن يكن بشئ من الاقتضاب : النقش العربي (ويجدر بنا هنا أن نحيل القارئ إلى كتاب ممتاز عنوانه «مسائل الأسلوب» لمؤلفه أ. ريجل، A. Riegl, 1896 حيث عرف الأرابيسك لأول مرة من الوجهة التكنيكية) ثم الزخرفة الهندسية والخط (نسخا ورقعة وكوفيا). وقد وصف النسخ المربع خطأ بأنه الخط الكوفي الشرطى ذو الشكل الخاص المعروف. وقل ما نثر على معلومات سريعة ومفيدة عن أشكال زخرفة البناء الإسلامى مثلما نجد في هذا العدد القليل من الصفحات وقد أضاف هانس رويتر إلى هذا الكتاب ملحقا خاصا ببناء القبة وفق الفن الإسلامى فى مصر.

يلى ذلك الفصل الرئيسى : ويتناول تبويب مجموعات البناء، ومن ثم المقطع التاريخى الطولى لمختلف نماذج كل مجموعة من مجاميع مباني العبادة مبتدءا بمسجد عمرو ومسجد ابن طولون حتى المباني الفاطمية ومساجد المماليك الفاتنة وجامع محمد على. وتأتى بعد ذلك المقابر التى تزخر بها القاهرة: فمقابر المماليك والخلفاء لعلى درجة كبرى من الأهمية سواء من ناحية تاريخ الحضارة أم تاريخ الفن؛ وينتهى هذا العرض الشامل بمزار أغا خان المبنى حسب الطراز الفاطمى. - ومما يثلج الصدر أن الكتاب قد أفرد عددا وفيرا من صفحاته لعرض المباني العامة، بل أنه لم يقتصر على مقياس الروضة، الذى كثر الحديث عنه، وبوابات القاهرة الشهيرة (باب النصر - باب الفتوح - باب زويلة) والقلعة، وإنما تطرق أيضا إلى دور السكنى والقصور التى قل من يعرفها والتى شيدت بين القرنين الرابع عشر والثامن عشر. كما ذيل الكتاب بكشف يضم عددا من كبار المهندسين المعماريين والصناع الفنيين، فضلا عن قاموس للمفردات والتعابير التكنيكية، وثبتا مفصلا للمصادر والمراجع ملحقا بالفصول التمهيدية.

ولا يوجد ما يؤخذ على الجانب التكنيكي ولا ذلك المتعلق باستعراض تاريخ الفن الإسلامى فى هذا المرجع الذى زودت معظم فصوله بالعديد من الرسوم والمقاطع الطولية والعرضية وبصور المساقط الأفقية للمباني. وبرغم العرض الموضوعى لهذه المباني نستشف بجلاء ما يكن المؤلف من حب بالغ لهذا الفن وأنه توفر على دراسته وتقصاه فى أعماقه.

وإذا عنت لنا بعض التنقيحات فى هذا العمل القيم فأنما نعى الجانب اللغوى فيه. ذلك أن المؤلف قد نحى نحو صحيحا حين سلك الطريق الوسط ونقل العبارات العربية بنطقها إلى الحروف اللاتينية حتى يتمكن الغربى الخالى الذهن من اللغة العربية من نطق هذه العبارات بما يقترب من الصحة على قدر الامكان؛ غير أننا كنا نرجو لو أتى المؤلف بكل لفظة عربية أو اسم علم عربى حسب طرق النسخ العلمى، ولو عند ظهور العبارة لأول مرة. ومن ذلك كلمة «مسجد» مثلا التى كان يمكن توضيحها لقراء الألمانية بسرد اشتقاقها عن فعل سجد، كما أن «السبيل» ليس من «الهبة السخية أو الجود» وإنما ما يفعل فى سبيل الله، والأفضل أن يعرف السفاح بالألمانية Blutvergießer (سافك الدماء). ونقرأ فى ص ٨٥ أن المتصوفين كانوا يرتدون ثوبا من الكتان، وصحة ذلك أن رداءهم كان من الصوف. إلا أن هذه الهنات لا تعكر صفو قراءة هذا العمل القيم الجميل الذى عالج موضوعه برساخته تجعله مرجعا ثميناً لكل مهتم بمصر والفن الإسلامى. وإنا لنرجو أن يلتقى انتشارا واسعا بين القراء.



هاينتس جرافهورست، تبيلات فوتوغرافية؛ عن كتاب. 1966، كولونيا، J. B. Bachem دارنشر. Meisterphotos der photokina.

(A) Anthologie = الأفكار والفنون

(B) Besprechung = نقد الكتب

(Ü) Übersetzung = ت، ترجمة

فهرس الأسماء

- II 4 ابراهيم، محمد عبده : علوم الطبيعة والثقافة (عن الأستاذ بيتر فلكر)
Naturwissenschaften und Bildung, nach Peter Wilker
- II 77 إنتاج الماء من الماء المالح Süßwassererzeugung aus Salzwasser
انظر ايضا IX 44 انظر ايضاً اودو بكر و روبرت شويتزر
- II 59, A 105 ابن تميم : زهرة اللوز Die Mandelblüte, Ü. F. Rückert
- VI 37 ابن خفاجة : قال يصف خاتماً سماوى الفص Über einen Ring mit blauem Stein, Ü. Ch. Bürgel
- VII 21 ابن خلدون : عن المقدمة Aus der muqaddima
- IX 29 ابن الرومى : فى كأس Über einen Becher, Ü. Chr. Bürgel
- IV 41; A 173 ابن المعتز : فى البزاة Drei Gedichte auf Falken, Ü. A. S.
- IV 92 فى أرضة وقعت فى كتبه Der Bücherwurm, Ü. Ch. Bürgel
- II 60; A 106 فى النرجس Die Narzisse, Ü. A. S.
- VII 84 قد اقفرت سر من رأى Samarra, Ü. A. S.
- II 59; A 105 ابونواس : فى النرجس Die Narzisse, Ü. F. Rückert
انظر : طلائع الكتب E. Wagner
- III 45; A 81 احمد باشا : سرنامة محبى (تركى) Eine Liebesepistel, Ü. A. S.
احمد عبد الجبار انظر عبد الجبار
- III 46; A 82 ادراكى بيگلارى السندى : زهى كاتب (فارسى) Alphabet-Gedicht, Ü. A. S.
اردمان، كورت : انظر فهرس الموضوعات
- III 50; A 86 آصف حالت چلبى : ه (تركى) He, Ü. A. S.
- II 60; A 106 اقبال، سر محمد : گل (فارسى) Die Rose, Ü. A. S.
- IV 39 : پند باز بيچه نخويش (فارسى) Rat des Falken an sein Junges, Ü. A. S.
- IV 88 : آن سوى فلك (فارسى) Jenseits der Sphären, Ü. A. S.
انظر ايضاً : راشد الحيدرى، محمد اقبال والثقافة الألمانية ؛ طلائع الكتب III 102
- VI 19; A 149 ألبرقى، ماريا : نفائس الأحجار وأعاجيبها Wunder der Steine

VII 64	Eine Wolke ... Ü. F. Rückert	امروث القيس : ديمة هطلاء
IV 80	Alle Gazellen der Steppe, Ü. A. S.	أمير خسرو : همه آهوان صحرا (فارسی)
VII 22	Was ist Planung?	آندرس، جونتر : ما هو التخطيط ، ت : شريفه مجدى
VIII 35	Die Sprache der Tiere	آوتروم، هانس يواخيم : لغة الحيوان، ت : مجدى يوسف
X 46		ايردمان، هانا: اعمال فنية شرقية في مجموعات التحف الكنيسية
	Orientalische Kunstschatze in Kirchenschätzen	
I 62; A 156	Die geöffnete Order	آيشنجر، ايلزه : الأمر المفوض، ت : محمود ابراهيم الدسوقي
VII 82		بابنجر، فرانتس : الذكرى المئوية لمولد فريدريش زاره، ت : مجدى يوسف
	Zum 100. Geburtstag Friedrich Sarres	
V 46; A 123		باخير، اينغريد : وحيد القرن ومدورته (مسرحية إذاعية) ت : محمد علي حشيشو
	Das Karussell des Einhorns	
II 61; A 107	Kein Zeichen mehr, Ü. A. S.	باقى : نام ونشانه قالمادى (ترکی)
X 12	Auf Dschamil; Ü. F. Rückert	بثينة : فى جميل
X 63	Alt-ägyptische Tiermärchen	برونر - تراوت، إمّا: القصص الخرافية الحيوانية في مصر القديمة
	Fragen eines lesenden Arbeiters	بريشت، برتولت : اسئلة عامل مطلع
	Die Lösung	الحل
	Hollywood	هوليوود
VII 81	Der Nachgeborene	الجيل المقبل
		ت : ف. المنصور
		انظر ايضا : مجدى يوسف، برتولت برشت
V 4		بستالوتزى، هاينريش : حول تفتح الانسان، ت : مجدى يوسف
	Zur Entfaltung des Menschen	
V 71		بكر، اودو : مما استجد فى علم الفلك، تعريب : محمد عبده ابراهيم
	Neues aus der Astronomie	
II 70; A 94	Mein trauriges Gesicht	بل، هاينريش : وجهى الحزين، ت : مصطفى ماهر
IV 11		بورتمان، آدولف : الحدس من الوجهة البيولوجية، ت : مجدى يوسف
	Das Physiologische als Verhaltensproblem	
I 66	Fez	بوركرارت، تيتوس : فاس
IX 60		بوف، هانس اولريش : التقدم والتقليد فى علم الجراحة، ت : مجدى يوسف
	Fortschritt und Tradition in der Chirurgie	
II 62		بويكر، هلموت : الزهور والبساتين فى المانيا، ت : ريمون عازر
	Moderne deutsche Gartenkunst	

II 98	Ü. A. S.	بیتاب، صوفی عبد الحق : دربدی اسارت (دری)
VIII 59	Die Ruinen von Dir'iya	بوئین، جرد رودیجر : مدینه درعیة الحرابة
II 96	Die Verlegung eines altägyptischen Tempels	جرستر، جورج : نقل معبد مصری قدیم
I 22; A 99	Paul Klee	جرومان، قیل : باول کلیه
III 44; A 80	Wir sind kein Dorfschulz, Ü. A. S.	جلال الدین الرومی : ما نخواجۀ ده نه ایم (فارسی)
		برچرخ سمرگاه (فارسی)
	Am Himmel erschien mir ein Mond, Ü. A. S.	
		چگونه نه برپرد جان (فارسی)
	Wie sollte die Seele nicht fliegen, Ü. A. S.	
IV 40; A 172	Am Ende bist du entflohen, Ü. A. S.	بعاقبت بیریدی (فارسی)
V 86	Glücklich der Nu, Ü. A. S.	خنک آن دم (فارسی)
V 86	Du bist's, der manchmal Ü. A. S.	توی که بدرقه باشی
VI 4		جوته، یوهان فولفجانج فون : الطیبة (قطعة من عام ۱۷۸۳)، ت : محمد علی حشیشو
III 54; A 90		شعران فی الخط العربی
VI; A 57	Ach, da standen Blumen	ت : آ. ش
		انظر ایضا : عبد الرحمن صدق
III 45; A 81		حافظ الشیرازی : دیرست که دلدارپیامی نفرستاد (فارسی)
	Lang schon hat der Herzbesitzer, Ü. V. von Rosenzweig-Schwannau	
VII 61	Die beiden Gulden, Ü. F. Rückert	الحریری : المقامة الدیناریة
		انظر ایضا : طلائع الكتب
VIII 44		حشیشو، محمد علی : رحلات نیبور و زیتسن و بورکارت ومن سبقهم من الألمان الى البلاد العربية
	Die Reisen Niebuhrs, Seetzens, Burckhardts und ihrer deutschen Vorgänger nach Arabien	
II 17; A 28	Die Deutschen im Dienste des Korans	حمید الله، محمد : الألمان فی خدمة القرآن
III 21		صنعة الكتابة فی عهد الرسول والصحابة
	Schreibkunst im Zeitalter des Propheten und seiner Gefährten	
II 24; A 46		الحیدری، راشد : محمد اقبال والثقافة الألمانية
	Muhammad Iqbal und die deutsche Kultur	
VIII 32		دروشر، فیتوس : النخبة الذکیة من الحيوانات البحرية : الدلافین تصلح لإرشاد الغواصات
		علی نحو مثالی، ت : مجدی یوسف
	Delphine, die Intellektuellen des Meeres	
VII 41		دوپفتر، جرهارد : فن الخزف الألماني الحديث، ت : مجدی یوسف
	Moderne deutsche Keramik	
II 60; A 106	Pfirsichblüte, Ü. A. S.	السراج المحار : زهرة الشمس

V 6; A 6	شبرانغر، ادوارد : هل نعاني أزمة حضارية، ت : مجدى يوسف Leben wir in einer Kulturkrise? انظر ايضا: محمد يحيى الهاشمي : ذكرى
X 6	شترىكر، غابرييل، هل تحققت مساواة المرأة بالرجل، ت : محمد على حشيشو Gleichberechtigte Frauen?
VI 85	شرام، ماتياس : مكانة ابن الهيثم في تاريخ العلوم Ibn al-Haythams Stellung in der Geschichte der Wissenschaften انظر ايضا: طلائع الكتب
IV 38	الشريف الفيحيجي : فن لم يحركه الربيع وزهره Wen nicht der Lenz bewegt, Ü. A. S.
IV 66	الشماع، صالح : رقابة النفس الداخلية في التعاليم الاسلامية Das Gewissen nach islamischer Lehre
IV 99	شميد - هوريكس، مارتينا : سياه گل، ت : مجدى يوسف Siyah-Gul
IV 75; A 143	شنوريه، فولف ديتريش : المناورات، ت : محمود الدسوقي Das Manöver
IX 44	شويتزر، روبرت : بعض النقاط البراقة من علم حياة الجزئيات، ت : محمد عبده ابراهيم Molekularbiologie
X 14	شيدر، جريته : جوته بين الرمز والصوفية، ت : مجدى يوسف Goethe zwischen Symbol und Mystik
II 45	شيمل، انامارى : الجنة - الأزهار والبساتين في حضارة المسلمين Das kleine Paradies — Blumen und Gärten in der islamischen Kultur
III 28; A 64	التشبيه بالحروف في الأدب الإسلامى Buchstabensymbolik in der islamischen Literatur
IV 23; A 159	الباز الأشهب. ملاحظات في البيرة في الشرق والغرب Der weiße Falke. Zur Falknerei in Orient und Okzident.
VI 40; A 203	أوجوست فيشر August Fischer
V 57; A 190	يوسف فون هامر - پورجستال Joseph von Hammer-Purgstall
VII 48	فريدريش روكرت Friedrich Rückert
IX 4	هرمان هسه (١٨٧٧-١٩٦٢) Hermann Hesse
X 30	لباس التقوى بين الشعر والدين Das Kleidersymbol
V 34	صائع، توفيق : بضع أسئلة لأطرحها الى الكركدن Fragen, dem Einhorn zu stellen. Ü. A. S.
I 69; A 34	صديق، عبد الرحمن : جوته والاسلام Goethe und der Islam
X 13	صفية الباهلية، تراثي اخاها Auf den Tod ihres Bruders. Ü. F. Rückert
VIII 76	عبد الجبار، أحمد : اغنية الشاطيء Sänge des Strandes. Ü. A. S.
III 44; A 80	عبد اللطيف بهتائي : كاتب لكن جئن (سندى) O Schreiber... Ü. A. S.

III 56	Der Fischer. Ü. A. S.	عبد الحميد بن جلون : صائد الأسماك
IX 23	Erglänzen vom Wein... Ü. A. S.	عراقى، فخر الدين، أكثوس
II 59; A 105	Aus dem Ilahiname. Ü. S. A.	عطار، فريد الدين : عن «الهي نامه» (فارسي)
III 44; A 80	Bald schreiben sie Ü. A. S.	گاهی منجم بصد جنون بنويسند (فارسي)
IX 41	Theodor Nöldeke	على، فؤاد حسنين : تيودور نولدكه
X 10	Paula Modersohn-Becker	على، سوسن : باولا مودرزون — بيكر، ت : مجدى يوسف
VI 88	Unsere Bücher Ü. A. S.	عليه بنت الخليفة المهدي : صحائفنا اشارتنا
VII 39	Vierzeiler über den Töpfer. Ü. Georg Rosen	عمرخيام : في الخزف (رباعيات فارسية)
IV 4	Die Bedingungen des Friedens	فايتزيكر، كارل فريدريش فون : شروط السلام، ت : محمد علي حشيشو
IX 4	Die Erkenntnis der Wirklichkeit in den Naturwissenschaften.	فراي، جرهارد : ادراك الواقع في العلوم الطبيعية، ت : مجدى يوسف
VI 36; A 155	Zwei Steingedichte	فريد، اريش : قصيدتان، ت : مجدى يوسف
III 66; A 140	Bernhard Heiliger	فلمينج، تيودور : برنهارد هايلجر، ت : مجدى يوسف فلكر، پيتر : انظر ابراهيم، محمد عبده
IV 44; A 178	Johann Jakob Reiske	فيوك، يوهان : يوهان يعقوب رايسكه، ت : ريمون عازر
IV 60	Die schwarze Flut. Ü. A. S.	الفيتورى، محمد : الطوفان الأسود
IX 78	Die drei Veilchen, Ü. H. Wehr	البنفسجات الثلاث
III 81	Nie vergess' ich den Tigris. Ü. A. S.	القاضي التنوخي : لم أنس دجلة
VIII 72	Das dicke Kind	كاشنيتز، مارى لويزه : الطفلة البدينة، ت : مجدى يوسف
X 83	Zu irgendeiner Zeit —	في زمن ما، ت : مجدى يوسف
VIII 63	Ist die deutsche Gegenwartsliteratur engagiert?	كاله، زيچريد : هل الأدب الألماني المعاصر أدب ملتزم؟ ت : مجدى يوسف
IX 84	Der Astrolab, Ü. Chr. Bürgel	كاشاجم : في الاضطراب كاله، باول ارنت : انظر فهرس الموضوعات V 90 انظر ايضا فهرس الأسماء الألمانية
I 86	Die Zucht des arabischen Pferdes in Europa	كلاوزن، ايريش : سعادة الدنيا على ظهور الخيل : تربية الحصان العربي في اوربا
X 18	Islamische Kunstformen auf italienischen Bildern	كليسه، بريجيته، زخارف اسلامية في اللوحات الايطالية، ت : مجدى يوسف
III 54; A 90	Schrift und Kunst im Werke Paul Klees	كلييه، فليكس :
I 21	Das Geheimnis der Kunst	كلييه، باول : في اسرار الفن انظر ايضا : جرومان، فيل

V 73	Das Weltbild des Cusanus	الكوساني، نيكولاس : في صورة العالم، ت : آ. ش.
IX 33	Theodor Nöldeke	ليتمان، اينو: تيودور نولدكه : ت : محمد علي حشيشو
III 7	Die menschliche Hand	گوكلجن، آلكمارفون : يد الانسان تميزه عن الحيوان، ت : مجدى يوسف
III 18; A 159	Islamische Schriftkunst	كونل، ارنست : صنعة الخط في الاسلام، ت : ريمون عازر انظر ايضا : فهرس الموضوعات V 88
II 101	Zur Geliebten. . . U. A. S.	گيسودراز : معشوقه من (فارسي)
IX 20		كولهاوسن، هاينريش : الزجاجة الفاطمية : «كأس هديج»، ت : محمد علي حشيشو
VII 39	Auf einen grünen gebrannten Krug, U. Chr. Bürgel	المأموني، عبد السلام : في كوز اخضر محرق
IX 84	Der Astrolab, U. Chr. Bürgel	في الاضطراب
II 40	Parzival	ماهر، مصطفى : ملامح شرقية في الأدب الألماني القديم : پارتسفال
VII 84	Der 16. Deutsche Orientalisten-Kongreß	مجدى، شريفة : المؤتمر السادس عشر للمستشرقين الألمان
II 34	Fünf Gesänge an den Schmerz, U. A. S.	الملائكة، نازك : خمس أغان للألم
VI 60	El Cid Campeador	الحاسني، زكي : السيد الكامبيادور
I 6	Der Intellektuelle in den Entwicklungsländern	مدثر، أحمد : المثقف في الأقطار الناشئة امام عوامل التقدم الاقتصادي والحيوي
IX 67	Die Amsel	موزيل، روبرت : الشحرور، ت : مجدى يوسف
VI 50	Moderne Strömungen in der deutschen Oper	مولر - بلاتاو، يوسف : تيارات حديثة في تأليف الأوبرا الألمانية، ت : مجدى يوسف
III 44; A 80	Ich schrieb. . . U. A. S.	مولوي آل احمد السندي : كتبت وفي فؤادي نار شوق
VII 56	Begegnung im Vorraum	نوساك، هانس اريش : اللقاء في الردهة، ت : ف. منصور هارتمان، ريشارد : انظر VI 86
II 61; A 107	Die Nelke. U. A. S.	هاشم، احمد : قرنفل (تركي)
VI 25	Arabische Steinbücher	الهاشمي، محمد يحيى : حول كتب الأحجار العربية
VIII 6	Erinnerungen an Eduard Spranger	ذكرى المربي الألماني الكبير ادوارد شبرانغر انظر ايضا : مربية باول كاله، فهرس الموضوعات V 91
VII 15	Ethik im naturwissenschaftlichen Zeitalter	هاينلر، فالتر : القيم الأخلاقية في عصر العلوم الطبيعية، ت : مجدى يوسف
VIII 4	Aspekte der neuen Naturwissenschaften	هايزنبرج، ثرنر : المنهج بين العلم الطبيعي والمسرح السريالي، ت : مجدى يوسف

I 41	هرقي، يولييان : تقاسيم مرتجلة في موضوع بغداد Improvisation in Variationenform über das Thema B-A-G-H-D-A-D
IV 88	هسه، هرمان : مقدمة لشعر محمد اقبال «جاويد نامه» Vorwort zu Iqbals „Buch der Ewigkeit“
IX 15	Glück حظ! ت: مجدي يوسف
III 61; A 135	Javad Salim هوتينكر، ارنولد : جواد سليم، ت : فؤاد ترزي
III 55; A 92	Schriftbilder هوفر، كارل جورج : خطوط
X 55	هوفر، ماريا: الأبحاث العربية الجنوبية، ت: محمد علي حشيشو Österreichische Südarabienforschung
VI 46; A 55	Der Urlaub هيلدسهايمر، فولفجانج : خارج إطار الزمن، ت : محمد علي حشيشو
VII 10	Kosmos und Leben ياسبرس، كارل : الكون والحياة، ت : محمد علي حشيشو
IV 55	يس، محمد عثمان : بين الشعر والموسيقى، بين بيتهوفن وبشاره الخوري Zwischen Poesie und Musik, zwischen Bashara al-Khoury und Beethoven.
III 70	يوسف، مجدي : تجربة الحرب في ادب بورشرت Das Kriegserlebnis im Werk W. Borcherts
IV 68	ثورة خلاقة في النظم الجامعية Revolutionäre Ideen in der Hochschulordnung
VI 7, A 18	الانسان في عصر الكائنات الآلية Der Mensch im Zeitalter der Automation
VII 71	برتولت برشت، مفكر ام شاعر ام ماذا؟ Bertolt Brecht, Denker, Dichter oder was?
IX 80	شاعرية الفيتوري من بنفسجاة Erklärung von Fauris Gedicht
<p>فهرس المقالات غير الممهورة بتوقيع</p> <p>Ungezeichnete Beiträge, allgemeine Überschriften</p>	
V 18; A 108	أسطورة وحيد القرن في الشرق والغرب Die Geschichte des Einhorns in Orient und Okzident
I 83; A 45	Arabische Spruchweisheit أمثال العرب
I 51	Ballet in Berlin und München الباليه في برلين وميونخ
I 28	Das Deutsche Bauhaus بيت العمارة الألماني
VII 4	Einführung تمهيد
X 5	” تمهيد

III 52; A 88	الحروف المحجائية في الزخرفة الحديثة الألمانية
	Buchstaben in der modernen deutschen Ornamentik
X 87	رائدات النحت في ألمانيا المعاصرة؛ ت : مجدى يوسف Moderne deutsche Bildhauerinnen
III 81	هلموت ريم: الشرق في لوحات الرسام النمساوى Der Orient in den Bildern des österreichischen Malers Helmut Rehm
	سجاجيد بالصور من حرانية، انظر : معارض
I 54	شعر عربي من الشام Arabische Dichtung aus Syrien
IV 79; A 147	من الشعر الشعبي المغربي Maghribinische Volksdichtung
I 15	الطبيعة والفن Natur und Kunst
X 37	فن النسيج الحديث في ألمانيا Moderne deutsche Webkunst
I 36	الفن الإسلامى في برلين Islamische Kunst in Berlin
IX 25	فنون الانسان في ابداع الزجاج Glasherstellung
VIII 87	قصائد ألمانية لشاعرين فارسيين Zwei persische Dichter in Deutschland
VI 38	مدينة الجواهر Die Stadt der Edelsteine
III 4	مقدمة Einleitung
IX 86	المؤتمر الدولى الاول لعلماء الدراسات الايرانية في طهران Der erste Iranisten-Kongress in Teheran
V 93	مراثى : كورت اردمان Kurt Erdmann
VI 86	ريشارد هارتمان Richard Hartmann
V 90	باول كاله Paul E. Kahle
V 88	إرنست كونل Ernst Kühnel
III 100	معارض : ٢٠٠٠ سنة من الزجاج في ايران 2000 Jahre Glas in Iran
IV 83	السجاد العصرى للحائط في ألمانيا Moderne deutsche Wandteppiche
I 100	سجاجيد بالصور من حرانية Bildteppiche aus Harraniya
III 100	صناعة الخط Schriftkunst
VII 85	صور فوتوغرافية من ايران Fotos aus Iran
VII 86	الفن التركى Türkische Kunst
III 100	الفن الحديث للطباعة Moderne Druckkunst
V 94	الفنون العراقية القديمة Sumerische und akkadische Kunst
VII 88	النحات ريشارد بلينج Der Bildhauer Richard Belling
VIII 88	نفائس ايران القديمة Altpersische Kunstschatze

VIII 89	الواقعية العربية في لوحات رسام سوري : برهان كركتلي	
	Arabischer Realismus: Burhan Karkutli	
VI 88	Widad al-‘Azzawi	الرسامة العراقية و داد العزاوي
IX 81	Der pakistanische Maler Zuberi	ملاحظات حول لوحة للرسام الباكستاني «زيري»
II 58; A 105	Aus den Gärten der Dichter	من بساتين الشعراء
III 44; A 80	Aus den Schriften der Dichter	من رسائل الشعراء
VIII 78	من روائع المصوغات الذهبية : حول موضوع عيد ميلاد الامبراطور المغولي في قصره بمدينة دلهي	
	Ein Meisterwerk deutscher Goldschmiedekunst: Am Hofe des Grossmoghuls.	
I 57	München und das Puppenspiel	ميونيخ ولعبة الدمى
I 2; A 2	Unser Ziel	هدفنا
III 17	Mutterhände	يد الأم
VIII 26	Der Prophet Jonas	يونس ذو النون

فهرس الأسماء بالألمانية

Adonis (Ali Ahmad Said): Gesang	I 54
Das Ägyptische Museum Kairo, Band 1.2.	VII 96 B
Aichinger, Ilse: Die geöffnete Order	I 62; A 156
Alberti, Maria: Wunder der Steine	VI 19, A 149
Anders, Günther: Was ist Planung?	VII 22
Arabische Dichtung	I 54
Arabische Spruchweisheit	I 83, A 45
Atabay, Cyrus: Wüstenbrunnen — Herkunft	VIII 87
Atiya, Aziz S.: Kreuzfahrer und Kaufleute	VI 89 B
Autrum, Hans Joachim: Die Sprache der Tiere	VIII 35
Babinger, Franz: Zum Gedenken an Friedrich Sarre	VII 82
Bachér, Ingrid: Das Karussell des Einhorns	V 46; A 123
Baki: Kein Zeichen mehr	II 61, A 107
al-Bayati, Abd al-Wahhab: Einsamkeit	I 54
Becker, Udo: Neues aus der Astronomie (Bearb. M. A. Ibrahim)	V 71
Bidder, Hans: Teppiche aus Ost-Turkestan	VI 90 B
Birsel, Salah: Hacıvats Frau	IV 86
Brunner-Traut, Emma: Alt-ägyptische Tiermärchen	X 63
Böcker, Helmut: Moderne deutsche Gartenkunst	II 62
Böll, Heinrich: Mein trauriges Gesicht	II 70; A 94
Bondy, François: Das Sandkorn und andere Erzählungen	II 104 B
Borchert, Wolfgang: Abschied (mit arab. und türk. Übersetzung)	IV 86
vgl. auch III 70	
Brecht, Bertolt: Fragen eines lesenden Arbeiters,	
Die Lösung	
Hollywood	
Der Nachgeborene	VII 81
vgl. auch VII 71	

Buff, Hans Ulrich: Fortschritt und Tradition in der Chirurgie	IX 60
Burckhardt, J. L.: Reisen in Arabien	IV 95 B
Burckhardt, Titus: Fez	I 66
Bürgel, J. Christoph: Die Hofkorrespondenz Adud ad-Daulas s. a. IV 92, VI 37, VII 39, IX 29, 84	VII 95 B
Chehabi, Issa: Deutsch-Persischer Sprachführer	VIII 95
Clausen, Erich: Die Zucht des arabischen Pferdes in Europa	I 86
Clauss, Ludwig Ferdinand: Die Weltstunde des Islam	V 96 B
Cusanus, Nikolaus: Das Weltbild	V 73
Demiron, Hans: Die süßen Wasser von Asien	VIII 94 B
Doepfner, G.: Moderne deutsche Keramik	VII 41
Domin, Hilde: Einhorn	V 33
Droescher, Vitus: Delphine, die Intellektuellen des Meeres	VIII 32
Eller, Karl/Wolff, Dieter: Das Goldene Buch der Türkei	VI 94 B
C. H. Engster: The Present Position of the Natural Sciences: Organic Chemistry	I 97
Esin, Emel: Mekka und Medina	VI 91 B
Erdmann, Kurt: (Nachruf)	V 93
700 Jahre Orientteppich	X 93 B
Erdmann, Hanna: Orientalische Kunstwerke in Kirchenschätzen	X 46
van Ess, Joseph: Die Erkenntnislehre des 'Adudaddin al-Ici	X 92 B
Farokhzad, Freydoun: Der Wind — Erwartung	VIII 87
Fischer, W.: Farb- und Formbezeichnungen...	IX 92 B
Flemming, Theodor: Bernhard Heiliger	III 66, A 140
Frey, Gerhard: Die Erkenntnis der Wirklichkeit in den Naturwissenschaften	IX 4
Fried, Erich: Die Zeit der Steine	VI 36; A 155
Fück, Johann: Johann Jakob Reiske	IV 44; A 178
Gadow, Jürgen: Der Berg des Unheils	X 96 B
Gerster, Georg: Die Umlegung eines altägyptischen Tempels	II 96
Goldland am Nil	VI 94 B
al-Ghazali, Der Pfad der Gottesdiener	IV 94 B
Gelpke, R.: Vom Rausch im Orient und Okzident	X 96 B
Goethe, Johann Wolfgang von: Die Natur	VI 4
Ach, da standen Blumen	VI 47; A 57
Zwei Gedichte zur arabischen Schrift	III 54; A 90
vgl. I 69	
Gramlich, Richard: Die schiitischen Derwischorden Persiens I	VII 90 B
Grohmann, Will: Paul Klee	I 22, A 99
Grotzfeld, Heinz: Syrisch-arabischer Sprachführer	VII 95 B
Grunebaum, G. E. von: Der Islam im Mittelalter	IV 94 B
Hansen, Thorkild, Reisen nach Arabien	VIII 96 B
Hartmann, Richard: (Nachruf)	VI 86
Haschim, Ahmet: Die Nelke	II 61
Hein, Wilhelm: Frühe islamische Keramik	VI 90 B
Heinrich von Murgon: Eine Frau sprach	IV 42; A 174
Heisenberg, Werner: Die Beziehung zwischen Naturwissenschaft und moderner Kunst	VIII 4
Heitler, Walter: Ethik im naturwissenschaftlichen Zeitalter	VII 15
Henle, H.: Der neue Nahe Osten	IX 96 B

Herty, Julian: Improvisationen in Variationenform	I 41
Hesse, Hermann: Vorwort zu Iqbals Buch der Ewigkeit (s. a. IX 7); Glück IX 15	IV 88
Hildesheimer, Wolfgang: Der Urlaub	VI 46; A 55
Hoefler, Karlgeorg: Schriftbilder	III 55, A 92
Höfner, Maria: Österreichische Südarabienforschung	X 55
Hoenerbach, Wilhelm: Spanisch-arabische Urkunden	VII 89 B
Hottinger, Arnold: Dschavad Salim	III 61; A 135
Ipsiroglu, Mazhar Şevket: Sarayalben	VIII 94 B
Iqbal, Muhammad: Botschaft des Ostens	III 102 B
s. a. IV 39, IV 88, II 24, A 106, 46	
Italiaander, Rolf: Die Herausforderung des Islam	VI 96 B
Jäschke, Gotthard: Die Türkei in den Jahren 1952—61	VII 95 B
Jaspers, Karl: Kosmos und Leben	VII 10
Jiha, M.: Der arabische Dialekt von Bismizzin	IX 94 B
Kabbani, Nizar: Wiederkehr des Aylûl	I 55
Kabbani, Sam: Altarabische Eseleien	VIII 96 B
Kaiser, Hans: Hundert Tore hatte Theben	VIII 96 B
Kahle, Paul: (Nachruf)	V 90
Kahle, Sigrid: In a Mesopotamian Dig	III 99
Ist die deutsche zeitgenössische Literatur engagiert?	VIII 63
Kaschnitz, Marie Luise: Das dicke Kind	VIII 72
Zu irgendeiner Zeit...	X 83
Keiser, Helen: Sie kamen aus der Wüste	VII 96 B
al-Khal, Yusuf: Erwartung	I 54
Kindermann, Hans: Über die guten Sitten beim Essen und Trinken	VI 91 B
Kiratli, Cemile: Die violetten Schafe	V 87
Klee, Felix: Schrift und Kunst im Werk Paul Klees	III 54, A 90
Klee, Paul: Geheimnis der Kunst	I 21
vgl. auch I 22, A 99	
Klesse, Brigitte: Islamische Kunstformen auf italienischen Bildern	X 18
Klessmann, Eckart: Reiherbeize im Rokoko	IV 25, A 161
Einhornjagd	V 33
Des Knaben Wunderhorn	VI 63
Kohlhausen, Heinrich: Das Hedwigsglas	IX 20
Körmürçüoğlu, E. A.: Das alttürkische Wohnhaus	IX 93 B
Körner, Theodor: Die Erde war	VI 19; A 152
Kreis für Interkontinentale Studentenkontakte	IV 81
Kroehnert, P. A./Schramm, J.: Tunesien	VII 96 B
Kügelgen, Alkmar von: Die menschliche Hand	III 7
Kühnel, Ernst: Islamische Schriftkunst	III 18, A 59
Islamische Kleinkunst	II 101 B
(Nachruf)	V 88
Kürenberger: Ich zog mir einen Falken	IV 42; A 174
Labib, Subhi Y.: Handelsgeschichte Ägyptens im Spätmittelalter	VII 91 B
Lahbabi, Mogamed Aziz: Le Fellah	II 74
Littmann, Enno: Theodor Nöldeke	IX 33
Madelung, W.: Der Imam al-Qasim ibn Ibrahim	IX 89 B
Mozarabische Dichtung	II 98

Müller-Blattau, Joseph: Moderne Strömungen in der deutschen Oper	VI 50
Musil, Robert: Die Amsel	IX 67
Nawrath, Alfred: Ägypten	I 102 B
Necatigil, Behcet: Lesung aus eigenen Werken	II 99
Nizamulmulk: Siyasetname	VI 90 B
Nordafrika, der Nahe und der Mittlere Orient im deutschen Buch	I 104
Nossack, Hans Erich: Begegnung im Vorraum	VII 65
Paret, Rudi: Der Koran	IV 94 B
Arabistik und Islamkunde	X 92 B
Parlasca, K.: Mumienporträts	IX 91 B
Pataki, Heidi: Spanne dich vor den kleinen Wagen	V 87
Pestalozzi, Heinrich: Zur Entfaltung des Menschen	V 4
Portmann, Adolf: Das Physiologische als Verhaltensproblem	IV 11
Praktische Fachglossare: Mathematik-Volkswirtschaft-Mechanik	VI 96 B
Physik	IX 93 B
Puin, Gerd-Rüdiger: Die Ruinen von Dir'iyya	VIII 59
Quézel, Pierre: La Végétation du Sahara	VII 91 B
Rasp-Nuri, G.: Brücke in die Fremde	IX 96 B
Rehm, Helmut: Der Orient in den Bildern eines österreichischen Malers	III 81
Rhein, E./A. Ghanny: Die wirtschaftliche Entwicklung Afghanistans	IX 96 B
Rilke, Rainer Maria: Der Goldschmied	VI 35
Delphine	VIII 43
Rosen, Georg: Übersetzungen nach Omar Chayyam	VII 39
Rosenthal, Franz: Das Fortleben der Antike im Islam	VI 89 B
Rosenzweig-Schwannau, Vinzenz von: Übersetzung aus Hafis	III 45
Rückert, Friedrich: Hariris zweite Makame	VII 61
Übersetzung Imrulqais	VII 64
Übersetzung Ibn Tamim	II 59, A 105
Übersetzung Abu Nuwas	II 59, A 105
Übersetzungen persischer Poesie	VIII 95 B
Die Verwandlungen des Abu Seid von Serug	VIII 95 B
vgl. auch VII 48, II 104 B; V 89; X12, 13	
Sarre, Friedrich: s. Babinger	
Schaeder, Grete: Goethe zwischen Symbol und Mystik	X 14
Schaefer, H.: Im Lande der Könige	IX 96 B
Schenk, Robert: Form in Art und Nature	I 17
Schimmel, Annemarie: Blumen und Gärten in der islamischen Literatur	II 45
Buchstabensymbolik in der islamischen Literatur	III 28, A 64
Der weiße Falke	IV 23, A 159
Joseph von Hammer-Purgstall	V 57, A 190
August Fischer	VI 40, A 203
Friedrich Rückert	VII 48
Orientalische Dichtung in der Übersetzung Friedrich Rückerts	II 104 B
Iqbal, Botschaft des Ostens	III 102 B
Hermann Hesse	IX 7
Dass Kleidersymbol	X 30
Übersetzungen verschiedener Art: II 34, 59, 60, 98, 101, III 44, 45, 46, 50, 56, 81, IV 38-41, 41, 60, 80, V 34, 86, VI 88, VII 84, VIII 76, 80-82, 86, 105, 107, 147, 172, 173	

Schipperges, Heinrich: Die Assimilation der arabischen Medizin	VII 94 B
Schmidt-Horix, Martina: Siyah Gul	IV 91
Schmieder, Oskar: Die alte Welt	VIII 91 B
Schnurre, Wolf Dietrich: Das Manöver	IV 75, A 143
Schramm, Matthias: Ibn al-Haythams Stellung in der Geschichte der Wissenschaften vgl. IV 94 B	VI 85
Schultze, J. H.: Der Ostsudan	V 96 B
Si Mohand: O Großherziger	II 75
Sordo, Enrique: Maurisches Spanien	VI 94 B
Schwyzer, Robert: Molekularbiologie	IX 44
Spranger, Eduard: Leben wir in einer Kulturkrise? vgl. VIII 6	V 6, A 6
Strecker, Gabriele: Gleichberechtigte Frauen?	X 6
Strommenger, Eva: Fünf Jahrtausende Mesopotamien	I 102 B
Taeschner, Franz: Geschichte der arabischen Welt	VI 89 B
Tukan, Fadwa: Sie und Er	I 55
Ullmann, Manfred: Untersuchungen zur Rağazpoesie	VIII 90 B
Unser Ziel	I 3
Verzeichnis der Orientalischen Handschriften in Deutschland Band VIII, Suppl. III	VIII 94 B
Vocke, Harald: Das Schwert und die Sterne	VII 96 B
Wagner, Ewald: Abu Nuwas	VII 89 B
Weber, Werner: Gedenkblatt für Mouloud Feraoun	I 98
Wehr, Hans: Ü. Die drei Veilchen	IX 78
Wein, Erwin J.: 7000 Jahre Byblos	III 102 B
Weisweiler, M.: Arabische Märchen	IX 92 B
Weizsäcker, Karl Friedrich von: Die Bedingungen des Friedens	IV 4
Wilcker, Peter: Naturwissenschaften und Bildung (Adaption von M. A. Ibrahim)	II 4
Wissmann, H. von: Arabien	IX 91 B
Wellenkamp, Dieter: Möven vor Algier	VIII 96 B
Wenk, Klaus: Thailändische Miniaturmalereien	VIII 94 B
Wessel, Klaus: Koptische Kunst	II 101 B
Wild, Stephan: Das kitab al-'ain	VII 94 B
Zick, Johanna: Islamische Keramik in deutschen Museen	VII 25
Ziock, Hermann: Der Tod des Wasserträgers	III 103 B

فهرس الموضوعات

A) Literatur	(A) الأدب
a) generell	(ا) دراسات عامة
I 69 (A 34), II 24 (A 46), II 40; III 28 (A 64); III 70; IV 55; IV 88; V 18 (A 108); VII 71; VIII 63; IX 7; X 63	
b) Übersetzungen aus dem Deutschen	(ب) تراجم من الأدب الألماني
I 62 (A 156); II 70 (A 94); III 17; IV 75 (A 143); IV 86; V 46 (A 123); VI 4; VI 46 (A 55); VII 65; VII 81; VIII 72; IX 15, 67; X 83	
c) Deutsche Gedichte	(ج) اشعار ألمانية
III 54 (A 90); IV 25 (A 161); IV 42 (A 174); V 33; V 87; IV 19 (A 152); VI 35; VI 36 (A 155); VI 47 (A 57); VIII 43; VIII 87	

- d) Arabische Gedichte mit deutscher Übersetzung (د) قصائد عربية في ترجمة ألمانية
I 54; I 83 (A 45); II 34; II 59 (A 105); II 60 (A 106); II 98; III 81; IV 38; IV 41 (A 173); IV 60; IV 79 (A 147); IV 92; V 34; VI 37; VI 88; VII 39; VII 64; VII 84; VIII 76, IX 22, 29, 78, 84; X 12, 13, 86
- e) Übersetzungen arabischer Prosa (ه) ترجمات ألمانية لمقطوعات نثرية عربية
III 56; VII 61
- f) Persische Gedichte mit deutscher Übersetzung (و) قصائد فارسية في ترجمة ألمانية
II 59 (A 105); II 60 (A 106); II 98; II 101; III 44 (A 80); III 45 (A 81); III 46 (A 82); IV 39; IV 40 (A 172); IV 80; IV 88; V 86; VII 39; cf. VIII 87; IX 23; X 96
- g) Türkische Gedichte mit deutscher Übersetzung (ز) قصائد تركية في ترجمة ألمانية
II 61 (A 107); II 99; III 45 (A 81); III 50 (A 86); IV 86
- h) Sindhi-Gedichte mit deutscher oder arabischer Übersetzung (ح) قصائد سنديّة في ترجمة ألمانية
III 44 (A 80); IX 81
- B) Erziehung (B) دراسات تربوية
IV 68; IV 81; V 4; VIII 6; X 6
- C) Geschichte, Religionsgeschichte (C) دراسات في التاريخ العام وتاريخ الأديان
II 17 (A 28); II 45; II 96; III 21; IV 23 (A 159); VI 60; VII 21; VIII 26; VIII 59; X 30
- D) Geschichte der Orientalistik (D) تاريخ الاستشراق
I 98; IV 44 (A 178); V 57 (A 190); V 88; V 90; V 93; VI 40 (A 203); VI 86; VII 48; VII 82; VII 84; VIII 44; IX 33; X 55
- E) Naturwissenschaften, Medizin (E) دراسات في علوم الطبيعة
I 86; I 97; II 4; II 62; II 77; III 7; IV 11; V 71; V 73; VI 19 (A 149); VI 25; VI 38; VI 85; VII 32; VIII 35; IX 44, 60; X 14
- F) Philosophie (F) دراسات فلسفية
I 6; IV 4; IV 66; V 6 (A 6); VI 7 (A 18); VII 10; VII 15; VII 22; VIII 4; IX 4
- G) Kunst (G) الفنون الجميلة
I 15; I 17; I 21; I 22 (A 99); I 28; I 36; I 57; I 66; III 18 (A 59); III 52 (A 88); III 54 (A 90); III 55 (A 92); III 61 (A 135); III 66 (A 140); III 81; III 99; IV 91; VII 25; VII 41; VIII 78, IX 20; IX 25, 81; X 18, 37, 46, 70, 87
- انظر أيضا : معارض
- H) Ausstellungen (H) المعارض الفنية
I 100; III 100; V 94; VI 88; VII 85—88; VIII 88, 89
- I) Musik, Oper (J) دراسات موسيقية
I 41; I 51; VI 50
- K) Allgemeines (K) عموميات
I 2, 3; III 4; VII 4
- L) Bücherbesprechungen (L) طلائع الكتب
I 102, 104; II 101—104; III 102, 103; IV 94, 95; V 96; VI 89—96; VII 89—96; VIII 90—96; IX 89—96; X 92—96

